موضوعات

من

تاريخ الفكر السياسي

إعداد

دكتور / محمد عبد الشافى المغربى

أستاذ تاريخ العصور الوسطى المساعد

رئيس قسم التاريخ

2022- 2023

بسم الله الرحمن الرحيم

الكلية	التربية عام بقنا
الفرقة	الثالثة
التخصص	التاريخ
عدد الصفحات	٢١١
إعداد	أ.م.د محمد عبدالشافى

مقدمة :

يسعدنى ان اقدم لطلابى بجامعة جنوب الوادي مجموعة محاضرات فى تاريخ الفكر السياسى اعتمدنا فيه على ما قدمه أساتذة العلوم السياسية و بعض المفكرين و جزء ثان خاص بالفكر السياسى فى تاريخ العصور الوسطى ارجو ان تعم الفائده.

والله ولى التوفيق

فهرس المحتويات

الموضوع	الصفحة من	الصفحة إلى
أولًا استعراض عام لتاريخ الفكر السياسي	٩	٢٢
ثانياً : الفرق بين الفلسفة السياسية والعلوم السياسية	٢٣	٣٠
ثالثاً تطور الفكر السياسي	٣١	٣٩
رابعاً أفلاطون السياسي	٤٠	٦١
خامساً ملامح من الفكر السياسي عن روسو	٦٢	٧٢
سادساً ميكيافلي (١٤٦٩ ـ ١٥٢٧ م)	٧٣	٨٠

سابعاً الأغنية السياسية والنشيد الوطني	٨١	٩٢
ثامناً الإقطاع والفكر السياسي في أوروبا العصور الوسطى	٩٣	١٢٠
تاسعاً الفكر السياسي في التنظيمات الحربية والقضائية في مصر البيزنطية	١٢١	١٤٨
عاشراً الفكر السياسي عند المؤرخ أوليمبيادورس الطيبي	١٤٩	٢٠٥
الملاحق: المصطلحات والمسميات السياسية	٢٠٦	٢٠٨
الحواشي	٢٠٩	٢١١

أولًا
استعراض عام لتاريخ الفكر السياسي

علم السياسة كحقل من حقول المعرفة

أنواع العلوم :

١. علوم إنسانية : تتعلق بحياة الإنسان بالمجتمع كعلوم الاقتصاد والاجتماع والسياسة .
٢. علوم طبيعية : فيزياء ، كيمياء ، رياضيات . . . إلخ .

الفرق بين العلوم الطبيعية والإنسانية :

١. العلوم الطبيعية يمكن إثباتها بالتجربة ، عكس العلوم الإنسانية .
٢. العلوم الطبيعية تخرج بنتائج محددة وأكثر دقة ، العلوم الإنسانية نتائجها تقريبية .
٣. العلوم الطبيعية محدودة العوامل المشكلة للظاهرة ، العلوم الإنسانية متعددة العوامل المشكلة للظاهرة .

علم السياسة هو علم إنساني ينصب اهتمامه على دراسة النشاطات السياسية للإنسان مثل عمليات الحكم والتصويت والضغط السياسي وتكوين المنظمات السياسية كالأحزاب وجماعات المصالح وغيرها.

لماذا ندرس علم السياسة ؟

أولاً : السلطة : مركز الإنسان هو السلطة وبالتالي لا يمكن فهم الإنسان إلا عبر معرفة علم السياسة ، وكيفية تشكل السلطة وتطورها وأدواتها .

ثانياً : المجتمع : علم السياسة يقودنا إلى معرفة كيف يبني المجتمع وطبيعة الحراك السياسي والاجتماعي والاقتصادي للمجتمع .

ثالثاً : الفكر والنظريات الفكرية : فعلم السياسة يقودنا إلى مناقشة كيف تطور الفكر تجاه الفرد والمجتمع والدولة والعلاقات الناظمة لهذه الثلاثية .

رابعاً : الدولة والحكومة : وعلاقات التأثير والتأثر ، المتعاكستين بين الفرد والحكومة .

برأيك ؟ هل يمكن أن ندرس في كلية الاقتصاد دون دراسة علم السايـاسة ، ولماذا ؟

تطور علم السياسة :

العلوم السياسية تقليدياً عرفت على أنها مجموعة العلوم التي تعالج الجوانب السياسية في العلوم الاجتماعية المختلفة مثل علم الاجتماع السياسي ، والجغرافيا السياسية . . . إلخ .

اكتسب علم السياسة شخصية متميزة عن غيره من العلوم الاجتماعية مع ظهور قائمة اليونسكو لعام ١٩٤٨ م والتي حدد من خلالها علماء السياسة المجتمعون بباريس أربعة قطاعات لعلم السياسة :

١. النظرية السياسية : تشمل النظرية السياسية وتاريخ الفكر السياسي .

٢. النظم السياسية : الدستور ، الإدارة العامة ، النظم السياسية المقارنة .

٣. الحياة السياسية : الأحزاب السياسية ، جماعات الضغط السياسي ، الرأي العام .

٤. العلاقات الدولية : العلاقات السياسية الدولية ، السياسة الدولية ، التنظيم الدولي ، القانون الدولي .

التعريف بعلم السياسة

جامعة كولومبيا :

علم دراسة الحكومات والمؤسسات والسلوك والممارسة السياسيين ، بمعنى دراسة عملية الحكم والمؤسسات السياسية بنوعيها من مؤسسات رسمية (المؤسستان التشريعية والتنفيذية) زتنظيمات غير رسمية مثل الأحزاب وجماعات الضغط والرأي العام ، كما يعني بدراسة النشاطات السياسية للأفراد مثل عمليات التصويت في الانتخابات وغيرها .

المعاجم الفرنسية :

هو علم دراسة حكم المجتمعات الإنسانية (أي علم حكم الدول)

ديفيد إيستن الأمريكي :

علم يهتم بدراسة التوزيع السلطوي الإلزامي للقيم في المجتمع . بمعنى أنه يتركز على دراسة الدور المحوري للسلطة السياسية في الحفاظ على قيم المجتمع وإنفاذ القوانين باستخدام أدوات القوة والإكراه إذا اقتضى الأمر في مواجهة الخارجين على هذه القيم والقوانين .

الفكر السياسي الإغريقي (اليوناني)

الفترة التاريخية :

من حوالي ٥٠٠ قبل الميلاد إلى حوالي ٣٠٠ قبل الميلاد .

أهمية الفكر السياسي اليوناني :

لاحظ أن أغلب المصطلحات المستخدمة في عصرنا الحالي مثل الديموقراطية والبيروقراطية والحكومة الدستورية وغيرها إنما ظهرت في الفكر الإغريقي .

من التطورات التي جاء بها هذا الفكر :

- **تقسيم المجتمع إلى طبقات واقتصار المشاركة السياسية عى طبقة المواطنين .**
- **استخدام فكرة المجالس الجماعية في ممارسة السلطة السياسية .**

أهم المفكرين الإغريق (اليونانيين)

سقراط :

- **عاش في الفترة بين ٤٦٨ إلى ٤٠٠ قبل الميلاد .**
- **ربط بين الفضيلة والمعرفة .**
- **يحتمل أن يكون أول من نادى بفكرة سيادة القانون .**

أفلاطون :

- **ولد على الأرجح عام ٤٢٧ قبل الميلاد حيث تأثر بفكر سقراط .**
- **تحدث عن معالم المدينة الفاضلة وربط بين الحكم الفاضل والمعرفة .**
- **تحدث عن : كيفية قيام الدولة ، مبدأ تقسيم العمل ، وظائف الدولة والاختصاصات لكل طبقة في المجتمع ، أهمية التعليم في مدينة أفلاطون وأنه أساس قيام الفضيلة .**

أرسطو :

- عاش في الفترة بين ٣٨٤ إلى ٣٢٢ ق . م حيث تلمذ على يد أفلاطون .
- تحدث عن كيفية قيام الدولة .
- في دولة أرسطو المنشودة رأى أهمية سيطرة الطبقة الوسطى لصلاح الدولة .
- مبادئ فكرة تقسيم السلطات .

الفلسفة الرواقية (الفترة بعد ٣٠٠ ق . م) :

- المفكر زينو الذي قال بأن هدف الحياة هو السعادة وأن هذه السعادة لا تتحقق بإشباع الرغبات وإنما في كبت جماحها وإخضاع الغبات غير الأخلاقية للعقل .
- ينادي الرواقيون بالمساواة بين بني البشر لأنهم جميعاً يخضعون لقانون طبيعي واحد قبل ظهور الدولة .

بيئة الفكر اليوناني :

بلاد اليونان القديمة (الإغريق) مقسمة إلى مدن حرة تمثل كل منها دولة مستقلة ، وأمثلة هه الدول كل من أثينا ومقدونيا وإستجيرو . . وهذه الدول تتبادل البعثات الدبلوماسية كدول مستقلة تماماً كما كان أبناء كل مدينة يعاملون في المدن الأخرى كأجانب .

البناء الاجتماعي :

كل مدينة تتكون من ثلاث طبقات :

١. المواطنون : وهم يولدون لأبوين ينتميان للمدينة ، وهؤلاء يتمتعون بكافة الحقوق السياسية .

٢. الأجانب : كل من يعيش في المدينة بصفة دائمة أو مؤقتة من الأحرار ولا يحمل جنسيتها . ولم تكن لهذه الفئة أية حقوق سياسية .

٣. الأرقاء : يمثلون الفئة الأضخم عدداً والقائمة على العملية الإنتاجية منهم أطباء ومدرسون ومسيقيون وخدم المنازل ، ولم يكونوا من الأحرار ، ولم تكن لهم أية حقوق سياسية ولا مدنية .

الفكر السياسي الروماني

لاحظ أنه ونظراً لتنامي رقعة الإمبراطورية فقد اهتم الفكر الروماني بالجوانب العملية لطريقة تنظيم السلطة .

لفكر الروماني إسهامات رائدة في حقل تطوير القوانين المنظمة لعمل الدولة .

أهم المفكرين :

شيشرون :

- عاش في الفترة بين ١٠٦ إلى ٤١ قبل الميلاد .
- أهم إسهاماته الفكرية :

أولاً : تطوير فكرة القانون الطبيعي وأنه قانون عام لكل مجتمع .

ثانياً : الدولة وتساوي الأفراد فيها .

ثالثاً : دراسة احتمالات الفساد السياسي في عمل الحكومة

خصائص الفكر السياسي الروماني:

١. الواقعية .
٢. التركيز على القانون .
٣. الاهتمام بالجوانب التنظيمية وممارسة الحكم .

الفكر السياسي المسيحي

الفترة من القرن الرابع الميلادي إلى القرن الخامس عشر تقريباً بما فيها فترة العصور الوسطى (العصور المظلمة في أوروبا) .

لاحظ أنه كان لتدخل رجال الدين باسم الله دون وجه حق في العمل السياسي أثراً سلبياً على تطور أوروبا كلها .

في الفكر المسيحي فإن المجتمع يتكون من روح وجسد وعليه فلا بد من وجود سلطتين سلطة مدنية وأخرى دينية .

تزايد قوة الكنيسة في العمل السياسي بعد الخمسة قرون الأولى من قيام المسيحية ، وظهورها كمنافس للحكام في أوروبا وذلك خلال فترة العصور الوسطى .

لم يقدم هذا الفكر شئ يذكر لتطور الفكر السياسي ، لكن أوروبا وبعد عشرات الحروب وصلت إلى نتيجة مؤداها ضرورة فصل الدين عن السياسة (فكرة العلمانية) لمنع المتنافسين على السلطة السياسية من استخدام الدين كوسيلة للوصول إلى غاياتهم .

أهم المفكرين المسيحيين

القديس أوغسطين :

- أهم كتبه : مدينة الله " ***City of God*** " .
- أشكال الدول :

١. دولة الأرض : التسلط والتملك .

٢. دولة الله : السلام والخلاص الروحي .

- نظام الحكم :

. الدولة الحقة هي التي تقوم على المسيحية .

. تبنى فكرة وحدة الأمم المسيحية .

توماس الأكويني :

- نظرته للدولة والحكم :

. هناك هدف أخلاقي للحكومة .

. يرفض الثورة على الحاكم .

- أنواع القوانين :

. الأزلي .

. الطبيعي .

. الإلهي .

- نظرته للقانون :

. سيادة القانون وقدسيته .

. القانون يميز الحكومة الصالحة عن الفاسدة .

الفكر السياسي الإسلامي

لاحظ أن الإسلام كدين يقدم لفكرة الشورى والجماعة كأساس لعمل السلطة في المجتمع .

أهم المفكرين :

- **الفـــارابي** : عـاش فـي الفتـرة مـن ٨٧٠ م إلـى ٩٥٠ م وتحدث عن فكرة المدينة الفاضلة .
- **أبو حامد الغزالي** : عاش في الفترة من ١٠٥٨ م إلى ١١١١ م وتحدث عن حاجة الحاكم إلى الأخلاق للنجاح في الحكم .
- **ابن خلدون** : عاش في الفترة بين ١٣٣٢ م إلى ١٤٠٦ م وتحدث عن دور العصبية (علاقات الدم) في تماسك الدولة .

خصائص الفكر السياسي الإسلامي :

- عدم الاستقلال الاعتماد على القرآن والسنة .
- الوسطية والاعتدال .
- التركيز على الخلافة .
- العدالة مبدأ أصيل .

الفكر السياسي في العصور الحديثة

أولاً : أهم المفكرين :

١. ميكافيللي : عاش في الفترة ١٤٦٩ م إلى ١٥٢٧ م :

- قال بفكرة أن الغاية تبرر الوسيلة وأن للحاكم حق اللجوء لكافة الوسائل .
- الدعوة إلى عزل السياسة عن الأخلاق والدين .

٢. توماس هوبز ١٥٨٨ ـ ١٦٧٩ م : فكرته في العقد الاجتماعي .

٣. جان لوك ١٦٣٢ ـ ١٧٠٤ م : فكرته في العقد الاجتماعي .

٤. جان جاك روسو ١٧١٣ ـ ١٧٧٨ م :

- بشر بالنظم الديموقراطية (حكم الشعب بالشعب) .
- الدعوة للحرية والثورة ضد استبداد الحكام بالسلطة .
- المساواة بين طبقات المجتمع .
- كان لأفكاره تأثيراً كبيراً على مفكري الثورة الأمريكية والثورة الفرنسية .

أهم المذاهب السياسية في العصر الحديث

أولاً : المذهب الفردي :

المضمون الأساسي للمذهب :

- الإيمان بالحرية الفردية وبأن للفرد حقوق مقدسة لا يحق للسلطة تخطيها وفي مقدمتها حرية التملك وحرية التعبير وأن حماية هذه الحقوق هو أساس تطور المجتمع .
- أن يقتصر دور الدولة على مجرد الإشراف على الأمن والحماية الخارجية .

النظام السياسي المقترح :

- جميـع مناصـري هـذا المـذهب تقريبـاً يؤمنـون بـالحكم الـديموقراطي الـذي يحكـم فيـه الشـعب عـن طريـق نـواب منتخبين من الشعب بصفة دورية .
- حرية الأفراد في التعبير عن آرائهم ومعتقداتهم والحق في تشـكيل التكـتلات والأحـزاب السياسـية لخدمـة القضـايا الاجتماعية والسياسية دون تدخل الدولة .

علاقة الدولة بالنشاط الاقتصادي في المجتمع :

- عدم تدخل الدولة في الاقتصاد إلا لتنفيذ المشاريع الكبيرة التي لا يستطيع الأفراد القيام بها .
- أن المصلحة الشخصية وتحقيق الذات هما الباعث الأقوى لنشاط الإنسان وأن سعي كل فرد لتحقيق مصلحته سوف يؤدي إلى تقدم المجتمع ككل وهو ما يطلق عليه في الفكر الفردي " باليد الخفية " .

أهم العيوب :

إطلاق حرية النشاط الاقتصادي قد يؤدي إلى ويلات كثيرة ولا بد من إشراف الدولة .

ثانياً : المذهب الماركسي :

كـارل مـاركس ١٨١٨ - ١٨٨٣ م وظهـرت مـن هـذا المـذهب الاشتراكية .

المضمون الأساسي للمذهب :

أن الملكيـة الشخصـية لوسـائل الانتـاج (مثـل امـالاك الإنسـان لمصنع أو متجر أو مزرعـة) بـل والملكيـة الشخصـية بصـفة عامـة هـي أساس الصراع بين البشر واستغلال الإنسان لأخيه الإنسان ، ولذلك فلا بد مـن إلغـاء الملكيـة الشخصـية بكافـة صـورها كأسـاس لتحقيـق العدالـة الاقتصادية (العدالة في توزيع الثروة) .

النظام السياسي المقترح :

أن طبقـة الكـادحين وبالـذات العمـال الـذين هـم يقومـون بعمليـات الانتـاج فـي الواقـع الفعلـي (فهـم مصـدر القيمـة الفائضـة) هم الأحق فـي الحكـم ، لـذلك ومـادامو هـم الأغلبيـة فمـن حقهـم الثـورة علـى الطبقـات البرجوازية المستغلة لجهدهم ليصبح الحكم تحت سلطة ما أسماه ماركس بدكتاتورية البروليتاريا . في هذا الشأن دعى ماركس عمال العالم للاتحاد .

علاقة الدولة بالنشاط الاقتصادي في المجتمع :

- دولـة العمـال تقوم بالاستيلاء علـى كافـة قطاعات الإنتـاج لتقوم بتوزيع الدخل الناتج من كل حسب قدرتـه (كمـا هو فـي الشكل الرأسمالي الفردي) إلى كل حسب حاجته .
- يـرفض مـاركوس نظـام الفوايـد البنكيـة ويعتبـره مـن أدوات الاستغلال في يد الطبقة البرجوازية .

أهم العيوب :

أثارت الماركسية الكثير من الأمل في العدالة في تقسيم الدخل ، لكن الفكرة تتناقض مع طبيعة الإنسان ورغبته في أن يملك نتاج جهده وإلا توقف عن العمل والإنتاج . وهذا ما حدث فعلاً في دول الاتحاد السوفييتي سابقاً حيث سقطت الفكرة الماركسية في الواقع .

ثانياً
الفرق بين الفلسفة السياسية والعلوم السياسية

الحقيقة أن أول ما يتبادر غلى الذهن من فروق ، هو الفرق العام بين الفلسفة والعلم وما يلقيه من ضوء في هذا الصدد ؛ فالمعروف أن الفلسفة هي بحث عقلي في مشكلات الإنسان عموماً، وهي لا تلتزم بالواقع إلا بقدر ما يحقق الإنطلاق العقلي نحو حل مشكلات هذا الواقع . ومن ثم كان الفرق العام بين الفلسفة والعلم يكم في غلبة الطابق المعياري على الفلسفة بينما يغلب الطابع الوصفي على العلم .

وهكذا تكون الفلسفة السياسية في طبيعتها الأصلية ذات طابع معياري يبحث فيما ينبغي أن تكون عليه العلاقة بين البشر ، حاكم ومحكوم داخل المجتمع السياسي . وبحث فيما ينبغي أن يحكم هذه العلاقة من قوانين ، بينما تركز العلوم السياسية على وصف ما هو كائن في هذه المجتمعات السياسية وبحث أشكال السلطة القائمة والبحث في أفضل أنواعها ومدى ملائمة هذه الأنواع للظروف السياسية والاقتصادية والبيئية التي يعيشها البشر في مجتمع بعينه . . . إلخ .

إن الفلسفة السياسية من جانب آخر وبما هي بحث عقلي معياري تحاول الارتقاء بالقيم السياسية في المجتمعات الإنسانية . تحاول بما لها من ارتباط وثيق بفلسفة الأخلاق . أقره معظم فلاسفة السياسة من اليونانيين والمسيحيين والإسلاميين وبعض المعاصرين . أن تؤكد على ضرورة توافر قيم الحرية والعدالة والمساواة والإخاء بين البشر في ظل أي نوع من السلطة السياسية ، فليس مهماً شكل الحكومة في أي دولة من الدول وإنما المهم في نظر الفيلسوف هو مدى تحقق هذه القيمة السياسية . الأخلاقية العليا في ظل هذا النوع أو ذاك من أنواع الحكومة أو السلطة السياسية .

ولم يعد أحد يشك الآن في قيمة هذه القيم السياسية وضرورتها بالنسبة للإنسان الذي عرفته الفلسفة كائناً حراً ، له إرادته المستقلة ، ومطالبه الضرورية مادية ومعنوية . ومن ثم فقد أصبح من المسلم به الآن أنه وراء اي أيدلوجية سياسية يوجد دائماً الفكر السياسي المحرك لهذه الأيدلوجية ؛ فعلى الرغم من أن معنى الأيدلوجيا الدقيق هو علم الأفكار ، إلا أنها تستقي هذه الأفكار في الواقع من الفلسفة السياسية الكامنة وراءها ، فالأيدلوجي المعاصر هو الذي يبحث في دراسة الوسائل التي يمكن بها تطبيق الأفكار وتحويلها إلى ما يشبه خطط للعمل المثمر من أجل رفاهية المجتمع وتقدمه .

ولعل هذا هو ما يجعلنا نؤكد على أن الطابع المعياري للفلسفة السياسية ، هو في نفس الوقت أساس الإلزام الذي تحمله الفكرة السياسية في طياتها ، إذ أن تقدم المجتمع السياسي مرهون في اعتقادي وكما تؤكد دروس التاريخ العام بما يتمثله القائمون على صنع السياسات في بلدانهم من هذه الأفكار الفلسفية ومحاولة تطبيقها في مجتمعاتهم ، فهذه الأفكار لم تأت نتيجة تأملات ميتافيزيقية للفلاسفة ، بل تأتي من تحليلاتهم للواقع السياسي الذي يعيشونه وإدراكهم للأمراض السياسية والاجتماعية التي تنتابه فيحاولون تقديم الحلول المناسبة التي يرونها لهذه الأمراض . ومن ثم يكون على صانعي القرار السياسي إذا ما أرادوا إصلاح مجتمعاتهم والإرتقاء بها أن يلتزموا بتحويل هذه الأفكار إلى واقع ملموس . وكلما كان هذا الإلتزام موجوداً من قبل الساسة كان التطوير والإرتقاء بمجتمعاتهم ملموساً وواضحاً .

ويعلمنا تاريخ الفلسفات السياسية . إذا ما ربطنا بينه وبين الظروف السياسية التي ظهرت فيها . أن الفلسفة السياسية عموماً لا

تزدهر إلا في العصور التي تشتد فيها الأمراض السياسية في المجتمعات . ومن ثم تكون الحاجة ملحة لظهور فيلسوف يشخص المرض ويقدم العلاج . وإذا ما كان التفاعل موجوداً بين الفكر السياسي والواقع السياسي نهض المجتمع من كبوته وعوفي من أمراضه.

وهذا يؤكد لنا ارتباط فلاسفة السياسة بواقعهم الاجتماعي والسياسي وعدم انفصالهم عنه بأي حال من الأحوال حتى في أكثر الفلسفات السياسية مثالية ؛ فلم تأت " يوتوبيا " أفلاطون إلا بالنظر إلى ما كانت تعانيه المجتمعات اليونانية من أمراض سياسية . ولم تأت أفكار ميكافيللي . على ما بها من تطرف في نظر البعض . إلا أن نتيجة لما كان يعانيه المجتمع الإيطالي من انقسلم وتناحر وظروف اقتصادية مهلكة . ولم يقدم فلاسفة التنوير وفولتير وروسو ومونتسكيو أفكارهم السياسية من فراغ ، بل بالنظر إلى ما كانت تعانيه أوروبا من واقع سياسي مؤلم فيه الكثير من الظلم والتعسف .

ولم تأت الدعوة إلى الليبرالية السياسية عند لوك إلا كتعبير عن مصالح الشعب الراغب في المشاركة في الحكم ، وفي صنع سياسة الدولة التي يعيش كمواطن فيها .

ولم يدعو ماركس إلى الاشتراكية وإلى الشيوعية إلا في ظل واقع اقتصادي استبد فيه الرأسمالي وسيطر على مقدرات العامل ، وكان من الضروري تحرير العامل من هذا الظلم بالدعوة إلى الاشتراكية التي تكفل حقوق هذا العامل وتعطيه حقه في الحياة الكريمة . . . إلخ . .

فكل الفلسفات السياسية إذن ظهرت نتيجة لظروف سياسية واقتصادية واجتماعية معينة عانى فيه المجتمع ، وجاءت لتلبي هذه الحاجة فتشخص الأمراض وتقدم الحلول .

والملاحظ أن تطور الفلسفة السياسية نفسها كان نتيجة لهذا التفاعل بينها وبين الواقع ؛ ففيلسوف السياسة حينما يقدم فكرته الجديدة وتجد من يطبقها تبدو جوانب الصواب فيها كما تبدو جوانب القصور ، ومن ثم يمكن لفلسفة سياسية جديدة أن تظهر لتعالج هذا القصور وتسد النقص الذي ظهر حين تطبيق سابقتها . . وهذا ما نلمحه بوضوح خاصة في الفترات التي يكون التفاعل فيها قوياً بين الفكر والواقع ؛ ففي العصر الحديث ظهرت الفلسفة الليبرالية الداعية إلى الحريات السياسية بكافة أنواعها وكذلك إلى الحرية الاقتصادية ، وجاء تطبيق هذه الليبرالية الرأسمالية ليكشف عن مواطن القصور التي حاولت الفلسفات الاشتراكية معالجتها إلى أن ظهرت الماركسية لتحمل فلسفة سياسية متكاملة معبرة عن هذه الرؤية الاشتراكية . . وقد ظهر من تطبيقها في المعسكر الاشتراكي منذ الثورة الروسية في عام ١٩١٧ م الكثير من جوانب النقص . وجوانب النقص هذه هي التي تحمل المعسكر الاشتراكي لتفكير في الأخذ بالإصلاحات السياسية من الرأسمالية الغربية . . وأعتقد أن ثمة فلسفة سياسية جديدة ستظهر محاولة التوفيق بين الرأسمالية والاشتراكية مما سيؤكد أن الفكر السياسي في الإسلام كان وسيظل هو الأقدر على حل مشكلات الإنسان السياسية حيث نجد فيه هذه المواءمة بين ما يسمى الآن بالاقتصاد الحر وبين تلك الإصلاحات ذات الطابع الاشتراكي .

" السياسي " وتأكيد أهمية علم السياسة

(أ) مكانة السياسة ومن هو السياسي ؟

تعتبر محاورة السياسي بداية التحول الأفلاطوني نحو الواقعية السياسية باعتبارها تمثل مرحلة الانتقال من الدولة المثالية في " الجمهورية " بحاكمها الفيلسوف إلى دولة " القوانين " التي يحكمها الدستور .

وقد ناقش أفلاطون في " السياسي " فن أو علم السياسة باعتباره العلم الملكي الذي ينطوي تحته كل الفنون والعلوم الجزئية الأخرى ، وهو العلم الذي يجمع كل نواتجها ومعطياتها في الدولة ليشكل منها وحدة واحدة في نسيج الدولة ككل .

كما ناقش أيضاً معنى السياسي أو رجل الدولة باعتباره العارف بهذا العلم وبمكانته بالنسبة للعلوم الأخرى . فالسياسي كالنساج الماهر الذي يحيك افضل ثوب من الخيوط المتباينة التي يغزلها من هم دونه . وليلاحظ القارئ هنا أن أفلاطون لا يزال متمسكاً بأن أهم ما في الدولة هو حاكمها ، وإن كان من الصعب أن يتوافر الفيلسوف الذي يحكمها أو كان من الصعب أن يتقبله الناس ، فإنه من الضروري توفر هذا الحاكم السياسي المتخصص كبديل له .

(ب) أشكال الحكومات :

أما عن شكل الحكومة التي يحكمها السياسي المتخصص أو رجل الدولة الواعي فيمكن أن تكون حكومة فرد أو حكومة قلة أو حكومة الكثرة ويمكن قياس مدى صلاحيتها بمدى خضوعها للقانون وتمسك القائمون عليها بالمعرفة الصحيحة ؛ فإن كانوا ممن يحكمون بمقتضى القانون والمعرفة الصحيحة فسيكون لدينا ثلاث حكومات صالحة هي الملكية وهي

حكومة الفرد العادل الأرستقراطية وهي حكومة القلة . الديموقراطية وهي حكومة الكثرة .

أما إذا انحرف هؤلاء الحكام وخرجوا على القانون ومارسوا الحكم بشكل تعسفي غير منظم وغير قائم على المعرفة الصحيحة فسيكون لدينا ثلاث حكومات فاسدة هي على التوالي : حكومة الطغيان . حكومة الأوليجاركية . حكومة الديموقراطية المتطرفة .

وإذا ما تساءلنا عن أي هذه الحكومات هي الأفضل فإن أفلاطون يجيبنا بأن أفضلها هي حكومة الملكية لأنها الأقوى من أجل الخير ، تليها حكومة الأرستقراطية التي تتوسط حكومة الفرد وحكومة الكثرة فهي متوسطة أيضاً في الخير والشر . وأقلها هي حكومة الكثرة فهي أقلهم قدرة على فعل الخير الكثير أو الشر الكثير . وإذا ما قورنت بغيرها فهي ستكون " أكثر تلك الحكومات شرعية وأكثرها خروجاً على القانون " .

وعل كل حال فإنه إذا كانت الأشكال السابقة للحكومات الصالحة ، صالحة ومنتظمة فستكون الديمقراطية هي الشكل الأخير الذي يمكن العيش في ظله ، أما إن كان يسود تلك الأشكال عدم النظام والفساد ، فإن الديموقراطية تكون هي الحكومة الأفضل التي يمكن العيش في ظلها نظراً لأن السلطة تكون في يد أكثر عدد من الناس بالقياس إلى غيرها من الحكومات الفاسدة .

والشئ اللافت للنظر هنا في " السياسي " أن أفلاطون يعترف لأول مرة بصورتين للحكومة الديمقراطية ، وهما الصورة المعتدلة والصورة المتطرفة ، والعجيب هنا أيضاً أنه يجعل الديمقراطية أصلح الدول التي لا قانون لها بالرغم من كونها أسوأ الدول الخاضعة للقانون . وعلى ذلك

تكون كل من هاتين الصورتين للديمقراطية . فيما يقول سباين . أفضل من الأوليجاركية .

ومن المؤكد أن هذا قد جهل أفلاطون يتجه في النهاية إلى ذلك الموقف الذي سيتخذه بعد ذلك في " القوانين " ، ذلك الموقف الذي يصف فيه تلك الدولة التالية في الأفضلية لدولة " الجمهورية " المثالية بأنها محاولة للجمع بين الملكية والديموقراطية . وفي هذا اعتراف ضمني بأنه لايمكن في الدولة الواقعية تجاهل أهمية الرضى الشعبي ومساهمة الأفراد في الحكم .

وعموماً فإن أفلاطون قد كشف في الجمهورية " والسياسي " كل حسب اتجاهه العام عن جوهر دولة المدينة والشخصية المحددة التي ينبغي أن تبدو عليها ، لقد وضع فيهما . على حد تعبير ليوستراوس ***Leo-Straus*** أساس الإجابة على التساؤل الخاص بالصورة المثلى للنظام السياسي ؛ ذلك النظام الذي تبدو فيه المدينة متوافقة مع طبيعة الإنسان لكنه لم يعرض فيهما لأفضل نظام ممكن تطبيقه وترك ذلك لمحاورة " القوانين " .

ثالثاً
تطور الفكر السياسي

النظام السياسي :

هو مصطلح يقصد به واقع العملية السياسية في الدولة ، أي وظائف الدولة ومؤسساتها العاملة ضمن إطار دستور الدولة وتفاعل السلطات التشريعية والتنفيذية والقضائية مع بعضها منفصلة أو متصلة أو متعاونة ، وعلاقتها المتصلة بالمنظمات السياسية في المجتمع كالأحزاب وجماعات المصالح والضغط والرأي العام ، والبيئة الخارجية ، وبما يؤدي إلى تحقيق التكيف والتوازن بين عناصر النظام المختلفة وإلى تحقيق بقاء النظام واستمراره .

الأيديولوجية السياسية :

الأيديولوجية السياسية مصطلح ابتكره الفرنس ديستو دي تراسي ١٧٩٦ م معبراً به عن علم الأفكار تميزاً له عن ماوراء الطبيعة ، والأيديولوجية السياسية نسق أو نظام فكري يفسر الطبيعة والمجتمع والفرد ، وتصلح قاعدة لعمل جماعي ، وخاضع للتطبيق من خلال برنامج معين يهدف إلى تغيير الواقع ، فالأيديولوجية هي الجانب التطبيقي للفكر والنظرية السياسية ، وظيفتها إحداث تغيير نوعي وكمي للواقع السياسي باتجاه أفضل فإذا كانت وظيفة العلم أن يعرف الإنسان العالم ، فإن وظيفة الأيديولوجية أن يغير الإنسان العالم .

وبذلك فإن الأيديولوجية هي العقيدة السياسية ، أي النسق الفكري لحزب أو حكومة ، والسعي لتحقيقها للترغيب والإكراه ، والسير على هداها حاضراً ومستقبلاً .

المذهب السياسي :

هو العقيدة السياسية القائمة على اعتناق مجموعة من الأفراد للأفكار والحقائق السياسية المتماسكة ، وتحويلها إلى قاعدة إيمان مطلق بها وتنفيذها ، وعدم القبول بالعدول عنها ، أو مناقشتها عقلانياً أو طبقاً لمنهج معين .

فهو بذلك مجموعة العقائد السياسية التي توجه الإنسان في تفسيره للوقائع السياسية وتحديد سلوكه تجاهها ، والإيمان بها وتجسيدها في الواقع .

الظاهرة السياسية :

هي الواقع السياسي المتعلق بالسلطة وأبعادها وخصائصها وعلاقتها بالمجتمع والمؤسسات السياسية الداخلية والخارجية ، وغالباً ما تعبر الظاهرة السياسية عن بروز حالة من الحالات السياسية المحلية أو الدولية في ظرف معين ومكان معين ، تتطلب الدراسة والبحث لمعرفة أسبابها وواقعها ونتائجها ومعالجتها ، كظاهرة الإرهاب الدولي .

والظاهرة السياسية هي أيضاً عملية التفاعل بين السلطة والآخرين في الداخل والخارج ، باتجاه إيجابي أو سلبي لتحقيق هدف معين أو أهداف محدودة حدثت في الماضي القريب ، وأحدثت نتائج معينة سواء بتعديل أو تغيير أو تسيير الأفكار والممارسات السياسية .

وتمتاز الظاهرة السياسية بصعوبة قياسها بالأرقام ، ولكن يمكن وصفها كيفياً .

وتعتبر الظاهرة السياسية ظاهرة سوية إذا تحقق وجودها في أغلب المجتمعات ، وبعكسها تكون غير سوية ، كما تمتاز بعموميتها وانتشارها

وتـداخلها فـي حيـاة الأفـراد والمجتمعـات ، وهـي سـريعة التغيـر والتفاعـل وشديدة التشابك والارتباط مع بعضها .

التنشئة السياسية :

هي عملية تعلم واكتساب المعارف والقيم والاتجاهات السياسية في نفوس الناشئة منذ الصغر عبر المؤسسات الرسمية وغير الرسمية ، وأنماط السلوك السياسي ، ونقلها من جيل إلى جيل من أجل إحداث تغيير جزئي أو شامل في عناصر ومكونات الثقافة السياسية ، خاصة من خلال الأسرة والمدرسة والمؤسسات السياسية والإعلام .

والهدف من التنشئة السياسية هو تحقيق مصلحة لابلاد العليا عبر شعب واع ومثقف ومدرك لأبعاد المصلحة الوطنية .

التكامل السياسي ***Political Integration*** :

هو نمط التفاعلات التي تنشأ بين مجموعة عناصر تملك من أسباب التقارب ما يجعلها أداة لبناء واحد أو كيان مشترك ، فالتكامل له طابع اختياري ينبع من إدراك الأطراف المعنية أن في اجتماعها ما يكفل أداء أفضل لوظائفها ، ويقع التكامل في التفاعلات الداخلية كما في العلاقات بين الدول ، ولا يعني بالضرورة ذوبان الوحدات أو إلغاء خصوصياتها ، وإنما تغليب أوجه التشابه على ما سواها . وقد يتخذ التكامل السياسي شكل الوحدة القومية أو الإقليمية ، وتحول الولاء الوطني إلى ولاء قومي أو إقليمي .

ومن شروطه الجوار الجغرافي ، والتشابه الاجتماعي ، والتشارك في القيم ، ووجود الدولة القائدة ، ووجود الخطر الخارجي المشترك الذي يحفز الوحدات السياسية للتكامل ، فضلاً عن المنفعة المتبادلة ، والصفقات السياسية بين مسئولين عبر الزيارات والاتصالات ، ووجود

هياكل تنظيمية حكومية وغير حكومية تعمل على زيادة التنسيق والتعاون المشترك في مختلف القطاعات ، كما يساعد على التكامل الأيديولوجية المشتركة ، والتجارب التكاملية السابقة ، والمصالح الأيديولوجية المشتركة ، والتجارب التكاملية السابقة ، والمصالح الوظيفية ، والإحساس بالتوزيع العادل للمكاسب ، وقبول الجماهيرية ، ووجود علاقات تاريخية ودية بين أطراف التكامل .

الأيديولوجية الليبرالية

الأيديولوجية :

منظومة من الأفكار المذهبية المتكاملة التي تستهدف تنظيم المجتمع في شتى قطاعاته السياسية والاقتصادية والاجتماعية وغيرها ، كما تقدم رؤية معينة للعالم .

الليبرالية :

التعددية ، ويتمثل أهم روادها في كل من جون لوك ومونتسكيو وجون ستيوارت ميل .

- في المجال السياسي ترتبط الليبرالية بمقولة رئيسية قوامها : (تعدد الآراء مشروع، وتعدد المصالح مشروع ، وتعدد التنظيمات التي تعبر عن تلك الآراء والمصالح أيضاً مشروع) . وبالتالي تقوم الليبرالية في المجال السياسي على حرية الرأي ، وحرية الفكر ، وحرية العقيدة (الدينية أو السياسية) ، وحرية التعبير ، وحرية التنظيم

(التعدديـة الحزبيـة والنقابيـة) ، والإعـلام الحـر (مرئـي ومسموع ومكتوب) .

- فـي المجـال الاقتصـادي تـرتبط الليبراليـة بالرأسـمالية ، وتقـديس الملكيـة الخاصـة ، والمنافسـة الاقتصـادية ، واقتصاديات السوق (الاقتصاد الحر القائم على العرض والطلب) ، وفكرة الدولـة حارسـة الليـل أي التـي يقتصـر دورهـا علـى تـوفير الأمـن وإنفـاذ القـوانين والقيـام بأعمـال البنيـة الأساسـية دون تـدخل منهـا فـي النشـاط الاقتصادي . وتنطلق الليبرالية من الشعار الشـهير (دعه يعمل دعه يمر) .
- في المجال الاجتماعي ترتبط الليبرالية بالمجتمع الطبقي ، أي الـذي يتـألف مـن ثـلاث طبقـات (طبقـة غنيـة ، طبقـة وسطى ، طبقة فقيرة) .
- فـي المجـال الـدولي تصـور الليبراليـة العـالم متعـدد الـدول بتعدد القوميات .

نظرية الدولة

أولاً : عناصر (مقومات) الدولة :

تتألف الدولة من ثلاثة عناصر رئيسية :

١. التجمع البشري (أي الشعب) .
٢. الإقليم .
٣. السلطة السياسية .

ولكل عنصر من هذه العناصر الرئيسية ركنان أحدهما مادي والآخر معنوي على النحو التالي :

١. التجمع البشري :

الركن المادي : هو مجرد التجمع الغريزي الفطري لجماعة من البشر ، حيث أن الإنسان كائن اجتماعي سياسي بطبعه .

الركن المعنوي : يتمثل في وعي أعضاء التجمع (الجماعة أو الشعب) بهدف تجمعهم وهو تحقيق المصلحة العليا للجماعة .

٢. الإقليم :

الركن المادي : وهو عبارة عن قطعة الأرض (المساحة الجغرافية) التي تسكنها الجماعة البشرية (الشعب) .

الركن المعنوي : ويشير إلى ارتباط أفراد المجتمع البشري (الشعب) بإقليمهم (أرض الدولة) باعتباره " الوطن " ، أرض الآباء والأجداد ، دار السلام وما عداه دار الحرب . لكي يظهر بذلك مفهوم " نحن " ليعبر به أفراد التجمع البشري عن أنفسهم ، ومفهوم " هم " ليعبروا به عن الشعوب الأخرى .

٣. السلطة السياسية :

الركن المادي : (القوة) .

الركن المعنوي : (الشرعية والخيرية) ويتمثل في تصور أفراد المجتمع لهذا الاحتكار على أنه شرعي وخير ، يستهدف تحقيق الأمن والاستقرار والسلام داخل المجتمع (أي تحقيق المجتمع الهادئ) .

ثانياً : الخصائص الكيفية (القيمية) للدولة :

وتعني :

١. خضوع السلطة للقانون (أو الدستورية) .

٢. التجانس القومي .

٣. السيادة .

وفيم يلي نعرض لكل منها :

خضوع السلطة للقانون (الدستورية) :

بمعنى خضوع السلطة (عملية الحكم) لنظام قانوني مسبق (دستور) يلتزمه الحاكمون والمحكومون على قدم المساواة . بمعنى أن الجميع سواسية أمام القانون ، لا أحد فوق القانون ، سيادة القانون .

ومن هنا يتعين التمييز بين مفهومي الدولة والحكومة :

- الدولة هي شخصية اعتبارية ، مجرد رمز للحياة العليا للمجتمع ولكنها صاحبة السلطة .
- أما الحكومة فهي جهاز عضوي يمارس السلطة ليس باعتباره صاحبها وإنما لحساب صاحبها الأصيل المتمثل في الدولة ، فالحاكم ليس صاحب السلطة وإنما هو قائم عليها يمارسها طبقاً لقانون مسبق (دستور) .

الشخصية الاعتبارية للدولة :

للدولة شخصية اعتبارية بمعنى أنها تمتع بالحقوق وتتحمل بالالتزامات ، فمن حقوقها مثلاً حق البقاء ، وحق التملك ، وحق التقاضي ، كما أن لها ذمة مالية مستقلة عن ذمة الحاكم ، فأموال الدولة تختلف عن أموال الحاكم ، وديونها تختلف عن ديونه الشخصية ، ومن التزاماتها عدم الاعتداء على سيادة الدول الأخرى ، والتزامها بتسديد ديونها ، وهكذا . وارتباطاً بكون الدولة شخصية اعتبارية مستقلة يظهر ما يسمى بمبدأ (الاستمرار) والذي يعني :

استمرار شخصية الدولة بما لها من حقوق وما عليها من التزامات بغض النظر عن أية تغييرات قد تطرأ على أي من عناصرها الثلاثة (أي الشعب

والإقليم والسلطة السياسية) . بمعنى أن تغير الحكومات على سبيل المثال لا يؤثر على الحقوق والإلتزامات القانونية للدولة .

العولمة

إن كلمة " عولمة " ***Mondalisation*** أو ***Globalisation*** تعني :

١. خفض في الحواجز بين الدول والمجتمعات .
٢. زيادة التجانس بين الدول والمجتمعات .
٣. زيادة حجم التبادل بين الدول والمجتمعات في مجال التجارة والأموال والسياحة والمهاجرين.

شاع استعمال كلمة " عولمة " بعد نهاية الحرب الباردة أن المعنى اللغوي للكلمة هو : " أن يصبح الشئ عالمياً " يصبح الشئ عالمياً عندما يصبح معروفاً عالمياً والمعرفة بحاجة إلى وسائل الإعلام والنشر والاتصال والمواصلات والإنسان الذي يعرف لا يعود بإمكانه التصرف كم لا يعرف .

سياسياً : العولمة تعني التنسيق بين الحكومات وفي الوقت نفسه تعني زيادة التعاون بين المجموعات غير الحكومية عبر الحدود ، وزيادة التفاعل بين الثقافات وتجاوز سيطرة الدولة في هذا التفاعل وذلك دون التقليل من أهمية دور الدولة .

هناك مبادئ ثلاثة تقود العولمة على المستوى السياسي المساواة والديمقراطية ، والحقوق وهي تشكل برنامجاً يمكن أن يغير العالم .

- المساواة هي تلك التي من المفترض أن تتحقق بين الدول والشعوب بدعم من القانون الدولي والدبلوماسية وهي لا تزال صعبة التحقيق .
- الديمقراطية . . . نرى أنها تعززت في العديد من البلدان وإن لم تكن الغالبية وبنفس الدرجة ، ولتحقيق وتطوير وتعزيز الديمقراطية لابد من العمل لتحقيق شروط إقتصادية واجتماعية وثقافية وأيضاً سياسية .

رابعاً
أفلاطون السياسي

عاش أفلاطون (٤٢٧ . ٣٤٧ ق.م) في عالم يرفض التوحيد بين العلم والعمل أو بين النظرية والتطبيق . . وإذا كنا نحن الآن نعتقد أن هذا التوحيد ضروري لحياة الإنسان فإن الإغريقي لم يكن يرى العالم الأرضي إلا عالماً ناقصاً خادعاً غير معقول . . يقابله عالم كامل ومعقول ، ذلك هو عالم المثل . .

ويتفرع عن هذا أن ينقسم المجتمع إلى طبقات ، يعني بعضها . وهو الغالبية العظمى من السكان الذين يشكلون طبقة العبيد . بالشئون العملية ، ويتفرغ البعض الآخر لشئون السياسة والفن والرياضة . . لقد كان من الطبيعي أن يرى الإغريقي عندما يفكر . كما رأى أفلاطون . أن هناك عالمين : أحدهما علم الحقيقة المثلى والآخر عالم الظواهر الناقصة ، إنهما عالما العقل والحس.

فكما أقيمت التفرقة بين النظر والعمل ، أقيمت الحواجز بين الطبقات : ((فكانت تقسم كل جماعة إلى نوعين من البشر : الإنسان الحر ، والعبد ، وكان يفرض بألا يتمتع أولئك الذين كانوا يقومون بالعمل الأساسي في المجتمع بثمار هذا العمل . . وترتب على ذلك بالطبع أن العبد فقد كل دافع لإجادة وتطوير العمل الذي كان يقوم به من الناحية الفنية . ولم يقل أثر هذا النظام على سادة العبيد خطورة ، فقط أصبح من المألوف أن يربط المرء بين العمل اليدوي وبين العبيد ، بحيث بدأت الثقافة اليونانية تضع فاصلاً بين هذا العمل وبين شئون الفكر)) .

ولقد كان أفلاطون ابناً وفياً لذلك العصر . .

وفي عصر أفلاطون كانت أثينا تعيش أزمة المدينة . الدولة التي عرفتها بلاد اليونان . وكانت تتمثل هذه الأزمة في اضمحلال أثينا ، فلقد

كانت تلك المدينة آنذاك تعيش على أنقاض مجدها القديم بعد أن ذهبت هزيمتها في حرب البلوبوينز بأطماعها ، وشعر سكانها . ومنهم أفلاطون . أنهم يعيشون في خاتمة مرحلة من مراحل النمو .

فعلى الرغم من أن أثينا تحولت إلى مركز ثقافي لبلاد لابحر الأبيض المتوسط ، حيث نشأت فيها على التوالي مدرسة إيسوقراط *Isocratos* والأكاديمية ومدرسة المشائين ثم اللوقيون ثم مدرسة الأبيقورية ومدرسة الرواقية . . . إلا أن نهاية القرن الخامس قبل الميلاد ، وضعت أثينا أمام عجزها عن استمرار ديموقراطية الطبقات الوسطى وعن سيادة النظام الطبقي .

ذلك أنه في ظل نظام من هذا النوع ، يحتقر العمل اليدوي يبقى مستوى التقدم الفني في مرحلة لا تستطيع مسايرة زيادة عدد السكان ، خاصة وأن التوسع والاستغلال الاستعماريين كانا يسيران في طريق يوفر أعداداً جديدة من العبيد ، دون أن يوفر من موارد الثروة ما يزيد من مدخول البلاد بنسبة متفقة مع زيادة العبيد .

أمام هذا الاضطراب كان عدد من اليونانيين يتطلعون نحو نظام جديد ونمو ديمقراطية أوسع، وقد تجدلى ذلك في قيام حركة واسعة ضد العبودية .

لقي هذا الاتجاه معارضة عنيفة من المدافعين عن الامتيازات الطبقية ومنهم . أفلاطون ثم أرسطو . اللذان وجدا في كا اتجاه من هذا النوع مقدمة للإفلاس الشامل . ولذلك يجب النظر إلى أفلاطون بوصفه المدافع الصريح الحازم عن الامتيازات الطبقية كما يقول " بوبر " في كتابه " المجتمع المفتوح " ولا يصح النظر إليه كخيالي ، ومثالي من علم آخر ينسج مدته الخيالية من الأحلام.

وكانـت أسـرة أفلاطـون أسـرة أثينيـة عريقـة ، وكـان أبـواه مـن المواطنين الشرفاء ، فأبوه " أرسطون " ينحدر من صلب " فودرس " آخر ملوك أثينا الأقدمين ، وأمه " فاريقطوني " من أسرة حكام أثينا ومشرعيها وتمت بالقرابة لصولون المشرع والحكيم المعروف . . وقد اشترك أحد أقاربه في قيادة الثورة الأولغارشية التي قامت سنة ٤٠٤ ق.م ، حتى أن الجمهرة الغالبة من الشراع والمؤرخين نسبت نقده للديمقراطية إلى أرستقراطية نشأته . .

ولكن هناك زاوية أخرى تلقي ضوءاً على تفكير أفلاطون السياسي . . تلك هي مصاحبته لسقراط وتأثره به منذ صباه ، إذ أنه قد تلقى من أستاذه النقاط الأساسية التي سيطرت على أفكاره كلها ، ومنها أفكاره السياسية ، يضاف إلى هذا حادثة إعدام سقراط التي أثبتت للفيلسوف أن نظام الحكم السائد لن يحقق حياة التقدم والازدهار لأثينا ، ومن هنا قال هذا النظام يبعث على الاستياء والضيق ، وهو يوضح ذلك قائلاً : " ظننت أن النظام الجديد سوف يضع حكم العدل مكان حكم الظلم ، وكرست له كل انتباهي لأرى ماذا سيفعل ، فرأيت هؤلاء السادة في وقت قصير جداً وقد جعلوا الديمقراطية التي حطموها تبدو وكأنها العهد الذهبي ! لقد ذهبوا إلى حد أمر سقراط صديقي المسن الذي لن أتردد في تلقيبه بأعدل رجال عصره أن يشترك في القبض على مواطن كانوا يريدون إزاحته من طريقهم ، وكانوا يبغون من وراء ذلك إشراك سقراط ، أراد هو أو لم يرد ، في أعمال النظام الجديد . وقد رفض سقراط الخضوع بهذا الأمر ، واستعد لمواجهة الموت ، مؤثراً هذا على أن يصبح أداة لجرائمهم .

وعندما رأيت هذه الأشياء وأخرى كثيرة عداها ، شعرت باشمئزاز عميق وتخليت كلية عن هذا الحكم المؤسف " .

وإذن فإن هذا النظام السائد ليس هو بالنظام المرجو ، وإذا كان أفلاطون قد تطلع في شبابه إلى الاشتغال في السياسة وترقب أن تدخل ثورة الثلاثين سنة ٤٠٤ ق.م بعض الإصلاحات ، إلا أن الأولغارشية سرعان ما جعلت من الديمقراطية بمثابة العصر الذهبي ، ولو أن الديمقراطية نفسها عندما أعيدت أثبتت فشلها بإعدام سقراط . . وهنا نعود إلى الخطاب السابع : " كانت نتيجة ذلك أنني بعد أن كنت متلهفاً إلى أقصى حد للاشتغال بالشئون العامة ، أمعنت النظر في معترك الحياة السياسية فراعني تلاحق الأحداث فيها وأخذ بعضها برقاب بعض . فأحسست بدوار ، وانتهى بي المطاف إلى أن أتبين بوضوح أن جميع أنظمة الحكم الموجودة الآن وبدون استثناء أنظمة فاسدة ، فدساتيرها جميعاً أدنى إلى أن تكون مستعصية على الإصلام ما لم تجتمع لإصلاحها معجزة من المعجزات القديمة مصحوبة بالتوفيق الحسن . . " .

<u>والحل !</u>

ليس طبعاً في العودة إلى النظام الديموقراطي ولا في البحث عن أحسن أنواع النظام الأولغارشي ، وإنما الحل في ترك الحكم لمن هم أهل له ، وتنشئة جيل جديد من هؤلاء الحكام الأكفاء . كما سنرى فيما بعد . ومن هنا كانت ضرورة قيام الأكاديمية كمدرسة لتخريج الحكام ، وأهمية وضع كتاب الجمهورية . .

ويسترسل أفلاطون فيقول : " ومن هنا وجدت نفسي مضطراً إلى إبرازز الفلسفة الحقة ، إلى إعلان أنه بدونها لا يمكن الاهتداء إلى العدالة الحقة ، وتدعيمها بالنسبة للدولة وللفرد ، وقلت أن البشرية لن تضع حداً للشر إلا عندما يتمتع الفلاسفة الحقيقيون بالسلطة السياسية أو عندما يصلح الساسة بمعجزة ما فلاسفة حقيقيون " .

وأخيراً لقد سجل أفلاطون آراؤه الأولى عن السياسة في محاورة الجمهورية في وقت كان نظام أسبرطه العسكري فيه سيد الأنظمة السياسية ، وذلك قبل أن يثبت فشل مثل هذا النظام ، وكان من الطبيعي آنذاك أن يتأثر الفيلسوف بهذا النظام العسكري المحكم ، ولم يكن متوقعاً منه أن يناصر ديمقراطية أثينا المنحدرة ذات النظم المتغيرة المتقلبة . .

كل هذه عوامل ساهمت في تحديد معالم فلسفة أفلاطون السياسية وكان لها أكبر الأثر في أفكاره كما سنرى . .

أولاً : الجمهورية

كتب أفلاطون محاورة الجمهورية في شبابه ، وقد استغرق وضعها عدة سنوات ، يدل على ذلك التباين في أسلوب كتابتها . فيما يذهب البعض . وعلى كل حال فهي من المحاورات التي كتبت في بداية رجولته يدل على ذلك حماسة الشباب الظاهرة فيها.

وفي هذه المحاورة نجد كل جوانب فلسفة الفيلسوف فهي جامعة لأكثر وجهات نظره ، ومن هنا كانت صعوبة تصنيفها تحت أي باب من أبواب الدراسة . . إلا أن غالبية الباحثين تضعها تحت عنوان السياسة لأن الفكرة الأساسية التي تطغى عليها هي الحياة السياسية في المدينة .وسنعرض الآن لملخص أفكار أفلاطون السياسية في تلك المحاورة عرضاً تحليلياً :

١. بين الفضيلة والمعرفة :

تلك الفكرة التي أخذها أفلاطون عن سقراط ، وأنشأ أكاديميته مدفوعاً بها ، تعني وجود الخير الموضوعي . . والإنسان الذي يعرف هذا الخير يكون أقدر من غيره في حكمه على الأشياء، ومن هنا ضحى الفيلسوف بالكثير عندما أوصله هذا إلى القول بأن أحسن أنواع الحكم هو

الحكم المطلق المستنير . . حيث يسود نظام يتميز بوجود طبقات بحسب مقدرة المواطنين على المعرفة ..

بعد هذا لابد من القول بمبدأ التخصص في العمل بحسب مقدرة المواطنين على المعرفة وبالتالي بحسب وضعهم الطبقي ، وعلى ذلك : " يمكن القول بأن نظرية أفلاطون تنقسم إلى قسمين أو قضيتين رئيسيتين : الأولى أن الحكومة ينبغي لها أن تكون فناً يعتمد على المعرفة الصحيحة ، والثانية أن المجتمع هو تبادل إشباع الحاجات بين أفراد تكمل مواهب بعضهم مواهب البعض الآخر " .

أن سوء التعليم وعدم فهم أن الدولة تقوم على المعرفة من جهة ثم عدم فهم الناس لأهمية التعاون أدى إلى وجود كثير من العيوب في المدينة . الدولة :

أ. جهل رجال السياسة وعدم توفر المعرفة الكاملة لديهم ، ومن هنا كانت أهمية وضع نظام جديد للتعليم والتدريب في الدولة كما جاء في الجمهورية عندما تعرض أفلاطون للتعليم العالي .

ب. عدم الكفاية وعدم فهم أن الحياة السياسية الناجحة تقوم على التوفيق بين المصلحتين العامة والخاصة . . ولا يتم ذلك إلا عن بطريق التعليم الموجه الذي يقدم المصلحة العامة على أي اعتبار آخر .

جـ. الأنانية وروح الانقسام الحزبي الناجمين عن تضارب مصالح الطبقات مما يظهر تغيير نظام الملكية الفردية بل القضاء عليها وإلغائها .

لقد نهض أفلاطون بأفكاره في المعرفة معارضاً وجهة نظر المدرسة السوفسطائية التي كانت ترد المعرفة إلى الإدراكات الحسية مما يترتب عليه أن تكون متباينة عند الأفراد . . أما أفلاطون ـ وقد كان متأثراً بخطوات أستاذه سقراط ـ فقط وجد أن المعرفة ترجع إلى الإدراكات العقلية ، وأنها تتشكل من حقائق كلية ثابتة توصل إليها العقل ووعاها دون أن يكون للحواس سوى دور المساعد، إذ أن الحواس تعطينا خبرات متغيرة متعددة لا توصلنا إلى المعرفة الحقة . . ولا تستطيع الحواس أن تتجه بنا إلى المعاني المجردة كالعدالة والمساواة والفضسلة والجمال . . . إلخ . . وبذلك أعاد فيلسوفنا للعقل مكانته . .

أما غاية المعرفة عنده فهي الوصول إلى الخير والفضيلة بذاتهما ، الفضيلة والخير الكليين دون الجزئيات ، فالجزئيات والحسوسات ليست موضوع العلم ، فلا يكون موضوع العلم إلا بالمفاهيم المشتركة أو الصور الكلية أو الماهيات ، والعلم الحقيقي هو العلم بالمثل . . وإذا كان للمعرفة عند أفلاطون أربع مراتب : الإحساس والظن والإستدلال واليقين . . فإن المعرفة الحقة لا تكون إلا باليقين وهو التوصل إلى معرفة حقائق الأشياء أي معرفة المثل الثابته وتذكرها وبالتالي معرفة الفضيلة الكلية . . وهذا النوع من المعرفة غير ميسور إلا للقلة النادرة من الناس . .

٢. بين الدولة ومثال الدولة :

إذا كان أفلاطون قد أكد على أهمية المعرفة وضرورتها في إقامة الدولة ، إذ أن الخير لا يتم التمتع به إلا عن طريق المعرفة ، فإن هذه المعرفة هي ذاتها في كل مكان وزمان . . وعندما وضع الفيلسوف كتاب الجمهورية كان ينشد وضع نظرية الدولة المثلى أو المدينة الفاضلة الثابتة والتي تعتبر أولى على بقية المدن ، فهي تقوم على المعرفة والعلم

اليقينيين . . إنها دولة تحاكي المدن السماوية وهي نتيجة لمعرفة الخير ، وليست مجرد هفوة من هفوات الخيال .

فإذا كان الخير خيراً في ذاته فإن هذه المدينة فاضلة بذاتها بغض النظر عما إذا كانت توافق رغبات الناس وأهوائهم أم لا وبغض النظر عن إمكانية تحقيقها أم لا .

والحق أن أفلاطون كان متأثراً بالمدرسة الإيلية حيث قال برمنديس وزينون أن عالم الحس هم عالم التغير والوهم أما عالمالوقائع فهو وراء عالم الحس وهناك يكمن عالم الأبدية الذي لا يتغير . وقد توصل الإيليون بناءً على هذا إلى نتائج خطيرة خلاصتها أن الحقيقة لا تتغير لأن التغير في تناقض دائم وأن الحق لا ينكشف إلا للعقل أو للنفس ، كما كان أفلاطون متأثراً أيضاً بالنظام السائد في عصره والذي كان يحتقر العمل ، وهكذا وصل إلى القول بالدولة المثالية التي لن تتحقق ، فكان أن تخبط الفيلسوف بين عالمين : قلبه وعقله يصبوان إلى هناك نحو عالم كامل وأقدامه تظل هنا .

هذه الدولة التي دعا إليها أفلاطون دولة لن تكون ، وإذا كانت فهناك أربعة أنواع من الحكومات الفاسدة سرعان ما تنشأ عنها إذا ما تسرب الجهل :

أ. أول هذه الحكومات الفاسدة هي حكومة التيموقراطية وهي تلك التي يسيطر فيها الطامعون وتنشأ في الغالب من تعاون الحكام المسيطرين مع الجند على استغلال الشعب ، هنا يبدأون على الأرجح بداية حسنة ثم سرعان ما ينقلبون إلى إقطاعيين مرتشين

ب. والحكومة الثانية هي حكومة المال " الأولغارشية " أو حكومة القلة ، وفيها توجد طبقة قليلة العدد غنية ، وطبقة كثيرة العدد معدمة ، وتنتهي هذه الحكومة قبالصراع بين الطبقتين . .

جـ. والحكومة الثالثة هي اليمقراطية وهي حكومة الكثرة الشعبية وفيها يسيطر الشعب ويتشتت الحكام ويتنفس الشعب عبير الحرية المطلقة والمساواة المزعومة . . فشعار هذه الحكومة هو الحرية والمساواة دون النظر إلى الفروق بين الرجال وقيمهم المختلفة هذه أسوأ أنواع الحكومات .

د. رابعاً الحكومة الاستبدادية هي تلك التي تقوم حين ينهض من بين أفراد الشعب من يمسك بمقاليد الحكم ويستغل غفلة الشعب . .

٣. تبادل الخدمات :

ظهرت الجماعات البشرية في نظر صاحب الجمهورية نتيجة للحاجات البشرية ، ومن هنا كانت أهمية النظر إلى الدولة كنظام لتبادل الخدمات يقوم فيه كل عضو بدوره في الأخذ والعطاء ، ومهمة الدولة هنا تنظيم التبادل في الجماعة والبحث عن أحسن الطرق لإشباع الحاجات وتبادل الخدمات " والأفراد في مثل هذا النظام إنما ينفذون الأعمال المطلوبة وتتوقف أهميتهم الاجتماعية على قيمة العمل الذي يؤدونه فكل ما يمتلكه الفرد إذن هو أولاً وقبل كل شئ مركز أو وضع هو مندوب للعمل فيه ، والحرية التي تكفلها الدولة له ليس غرضها تمتعه بإرادة حرة بقدر ما تستهدف تمكينه من أداء الخدمات المطلوبة منه " .

وباختصار فإن أفلاطون يرى :

أ. أن المنظمات الاجتماعية إنما تستند إلى الطبيعة البشرية إذ أنه من الواضح أن انتاج الأشياء يزداد إذا تولى الأفراد المهمات التي

جعلتهم الطبيعة صالحين لها ، وكان عملهم قاصراً عليها دون غيرها من الأعمال . .

ب. وهذا يقودنا إلى القول بأن فكرة تبادل الخدمات تجرنا إلى التسليم بمبدأ تقسيم العمل والتخصص في الأعمال إذ أن عدم التخصص يعني انتفاء عملية التبادل . .

وهذا يستتبع . فيما بعد . عند أفلاطون أمرين هامين : أولهما إلغاء الملكية والثاني إلغاء الأسرة . . ذلك أن قيام الفرد بواجبه تجاه الجماعة يتطلب منه أن يتخلى عن كل رغبة تدفعه إلى جمع المال وتصرفه عن الاهتمام بواجباته نحو مدينته . . ولقد وجد أفلاطون من خلال مشاهداته أن الثروة ليست إلا شراً على الحكومات . واعتقد أن الثروة هي السبب في فشل كثير من الدول ومن هنا كان على حراس الدولة " الجنود والحكام " أن لا يملكوا أية ثروات . .

ليس هذا فحسب بل إن نظام الأسرة من الأنظمة التي تساهم في هدم الحكومات ، كيف لا وفي نظام الأسرة يكون الحراس مضطرين إلى الاهتمام بشئون أسرهم والانصراف عن شئون الدولة . . ثم أليس نظام الأسرة هو الذي يسمح بالزيجات التي تتم دون دراسة ودون مراقبة ودقة في الإختيار ؟ وهو الذي يفسح المجال لتربية النشء ، تربية غير موحدة ؟ ما يؤدي إلى عدم وجود ولاء روحي شامل يتطلبه قيام الدولة المثلى . .

وهكذا يخلص أفلاطون من مناقشة هاتين المسألتين إلى القول بضرورة إلغاء الملكية من جهة والأسرة من جهة أخرى . . وهنا كان أفلاطون متأثراً بالنظام السائد في أسبرطة ، حيث حرم على المواطنين استعمال النقود ، كما كانت الدولة تتعهد برعاية الأبناء .

ولكن لا بد لنا من التنبيه هنا إلى أن شيوعية أفلاطون هذه كانت مقصورة على طبقة الحكام وطبقة الجند فقط دون سائر المواطنين . . . فالصناع يحق لهم الاحتفاظ بأسرهم وأموالهم . . ولكن كيف يفسر أفلاطون هذا مع أن المجتمع يشكل وحدة متكاملة ؟ هذا ما لا يجيب عليه الفيلسوف . .

٤. العدالة :

إن قيام كل مواطن بدوره في المجتمع دون أن يتخطى حدوده ، هو عين العدالة ، ولا تكون المدينة عادلة إلا إذا قام الحاكم والجندي والصانع كل بدوره دون أن يتدخل في أعمال الآخرين . " الطبقتين الأخريين " . وقد اهتم أفلاطون بتوضيح معنى العدالة ، ذلك لأن الغاية الشكلية التي ترمي إليها الجمهورية . فيما يقول برتراند رسل . هي تحديد معنى كلمة عدالة ، ولقد كانت هذه العدالة في نظره هي أن يؤدي كل فرد عمله دون أن يتدخل في أعمال الآخرين . .

هذه العدالة التي قال بها أفلاطون لا تكاد تتفق في شئ مع ما نطلق عليه اليوم اسم عدالة ، فلقد اقترنت كلمة العدالة الآن بفكرة المساواة تحت تأثير التيار الديمقراطي الذي بدأ يسود لاعالم ، في حين أن عدالة أفلاطون إنما تقوم في رفض المساواة وفي إقامة الحواجز الصلبة بين الطبقات في المجتمع الواحد . .

فإذا عدنا إلى تعريف أفلاطون للعدالة فإننا نجد أنه لا بد من وقوع تفاوت في السلطة وفي الحقوق عند المواطنين وفقاً للفروق الطبيعية بين الأفراد ، دون أن يتعارض ذلك مع كلمة عدالة .. فالعدالة هنا تعني أن تكون السلطة من حق أحكم أعضاء المجتمع دون غيرهم ، والظلم يعني أن يكون في أفراد الطبقتين الأخريين من هم أكثر حكمة من أفراد الطبقة

الحاكمة ، ولهذا فإن أفلاطون يجيز الانتقال من طبقة إلى أخرى ، مع ملاحظة أن القاعدة العامة تسير على نحو نجد فيه أبناء اولياء الأمر ، بما يتمتعون به من أصالة المنبت أكثر استعداداً من الآخرين لتولي شئون الحكم والإدارة . .

وهذه الفكرة متأثرة بما كان عليه تفكير اليونان أيام أفلاطون وقبله ، حيث كانت تسود فكرة تقول ، أن لكل شخص ولكل شئ مكاناً خاصاً ومهمة خاصة ، وهذا يصدق بالنسبة للأفراد كما يصدق بالنسبة للآلهة . من أمثال زيوسي وأورانوسي وأفروديتي . وهو صادق أيضاً فيما يتعلق بالكواكب . . ومن هنا كان إيمان فلاسفة اليونان السابقين على أفلاطون بالقانون الطبيعي الذي يسود الكون . . ثم جاء أفلاطون وتناول هذه الفكرة وطبقها على المجتمع البشري . .

وفكرة العدالة كما يقول بها أفلاطون تتطلب وجود دولة حازمة تسهر على تطبيق العدالة ، فتحفظ بذلك المجتمع من الانهيار ، لأنه لو حدث أن فرداً من نحاس . من طبقة الصناع . أخذ مكان فرد من فضة ثم من ذهب . طبقة الحراس والحكام . لكان معنى هذا الانهيار الأكيد للدولة .

٥. التعليم :

يتضمن التعليم جانبين رئيسيين : الموسيقى من جهة والألعاب الرياضية من جهة أخرى ، والمقصود بهاتين الكلمتين غير ما نفهمه منهما نحن اليوم ، إلا أن الموسيقى تعني عند الفيلسوف، كل ما يتضمنه عالم الفنون فهي أشبه ما تكون بالثقافة ، ولارياضة ليست عند الفيلسوف مقصورة على التمرينات الرياضية فقط بل تعني إصلاح الجسد وتقويمه

فإذا كانت الموسيقى تصلح الروح فإن الرياضة تصلح الجسد وبذلك يتحقق كمال الإنسان . .

وغاية التعلم هي : " إعداد " السادة المهذبين " بالمعنى المفهوم من كلمة " جنتلمان " في إنجلترا الآن ، وهو معنى يرجع إلى أفلاطون إلى حد كبير ، فأثينا في عهده كانت في وجه من وجوهها شبيهة بإنجلترا في القرن التاسع عشر ، ففي كل منهما طبقة أرستقراطية تتمتع بثروة ومنزلة إجتماعية ، لكنها لا تحتكر السلطة السياسية ، وفي كل منهما كانت الطبقة الأرستقراطية تحاول جهدها أن تظفر بكل ما يسعها أن تظفر به من النفوذ عن طريق التأثير بسلوك أفرادها ، لكن الأرستقراطية في مدينة أفلاطون الفاضلة تحكم حكماً مطلقاً من كل قيد " .

والواقع أن التعليم عند أفلاطون يلفت انتباهنا إلى درجة جعلت البعض يعتبرونه موضوع البحث الرئيسي في محاورة الجمهورية . . ولا ك أن هذا لم يأت اعتباطاً بل لهدف قصد إليه أفلاطون ، ذلك أن الفضيلة في نظر الفيلسوف تقوم على المعرفةة وهي قابلة لأن نتعلمها ، ومن هنا أيضاً كان التعليم يعني أول الأمر بغرس الصفات الحسنة كالرصانة والإقدام والذوق في نفوس المتعلمين . . وعلى هذا فقد رفض أفلاطون أن تقرأ على الأطفال قصص فيها عويل وبكاء وصراخ أو ضحك عنيف صاخب ، كما هو الحال في الإلياذة والأوديسة وغيرهما من شعر هوميروس وهزيود الذي يسئ إلى الآلهة حيث يجعلها تقدم على عمل الشر أو تضحك بالقهقهة العالية أو تنقاد لشهواتها .

كما يرفض أفلاطون أن يستمع الطلاب إلى الموسيقى " الليدية " التي تعبر عن ، الأحزان ، أو " الأيونية " التي تدفع إلى الانحلال . أو غيرهما من أنواع الموسيقى الغير متفقة مع روح الحماسة والشجاعة . أما

الموسيقى الممتازة فهي الموسيقى " الدورية " التي تعبر عن الحماسة والموسيقى " الفريجيه " التي تدفع إلى ضبط النفس.

وهكذا يستمر أفلاطون في الحديث عن برامج التربية مبتدئاً بالموسيقى منتهياً بالرياضة فيضع لنا قواعد للطعام ، يقول إنها تجعلنا لا نحتاج لطبيب في يوم من الأيام ثم يشير إلى أهمية التدريبات الرياضية والعسكرية . . حيث يأتي نظامه في نهاية الأمر أقرب ما يكون إلى النظام السائد في أسبرطة أثناء فترة شباب الفيلسوف . .

فإذا أردنا أن نعرض بالنقد لآراء أفلاطون الواردة في الجمهورية فإننا نلخص هذا النقد في أقوال جون لويس في كتابه " مدخل إلى الفلسفة:

أ. نرى أولاً شيوعية مقصورة على أقلية ضئيلة من الأرستقراطين الذين ، بعد إعفائهم من العمل اليدوي يعيشون في تقشف ويحكمون الدولة وقد وفر لهم الغذاء والكساء والمسكن بواسطة كد طبقة محتقرة من الكادحين .

ب. المجتمع في مجموعة ينقسم إلى طبقات بشكل جامد ، العدل يكتسب مضموناً جديداً : انصرف إلى شئونك وقم بواجبك في مركزك الذي تفضل الآلهة إسناده إليك ، هذا هو العدل ، فلتكن كل طبقة اجتماعية بإنجاز ما يخصها من أجل استمرار حياة الجماعة إنجازاً متقناً وليحذر الناس انتحال دور ليسوا معدين له . .

جـ. دع الطبقة الحاكمة المختارة تصبح طبقة الفلاسفة ما دام الفلاسفة هم وحدهم الذين يحق لهم أن يحكموا ، وبما أنه من المحال . كما قال زيمرن في كتابه . " أفلاطون اليوم " أن تصبح الكثرة من

الفلاسفة ، فإن الجماهير لن يكون لها شأن بالقوانين اللهم إلا الرضوخ لها .

وفي دولة من هذا النوع لا توجد أية حاجة إلى القوانين ، إذ أن إرادة الحاكم الفيلسوف تقوم مقام أي قانون ، بل هي فوق أي قانون ، كيف لا وقد تحققت لهذا الحاكم المعرفة التامة والفضيلة الخالصة والخير الأمثل . . ؟ وما وجه الحاجة لقانون ليس له من الميزات إلا أنه نتيجة الفضيلة العملية ؟ وهذه لافضيلة لن يتأتى لها أن تكون فوق الفضيلة النظرية على الإطلاق . . ولافيلسوف الحاكم هو الحاصل على الفضيلة النظرية ولن يكون بحاجة إلى أي قانون . .

ثانياً : كتاب السياسي

في هذا الكتاب يتحدث أفلاطون حديثاً مستفيضاً عن الدولة الكاملة ، ويبحث من الجانب العملي مشاكل الحكم والإدارة . . وقد عمل في هذا الكتاب على التمييز بين الحاكم الكامل وهو الفيلسوف وبين النظرية العلمية للمدينة الفاضلة أو الدولة ، كما حاول التمييز بين رجل السياسة وبين طرق الإدارة العملية في الحكم . . والواقع أن كتاب السياسي ليس إلا تدريباً على فن التعريف ومحور البحث فيه هو تعريف السياسي .

يصل الفيلسوف في هذه المحاورة إلى القول بأن السياسي هو أشبه ما يكون بالوالد يدير شئون الأسرة أو الراعي يسوس القطيع فهنا " حكم من أسلم صور الحكم هو وحدة الحكم الحقيقي حيث نجد الحكام متمكنين من العلم حقاً وليست عليهم سيماؤه فقط ، وسواء في ذلك أحكموا بالقانون أم بغيره ورضي رعاياهم أم لم يرضوا " .

فالحاكم كالطبيب يقوم بالعلاج لأنه يعرف طرق العلاج . . وكذلك الحاكم يجب أن يلم اولاً وقبل كل شئ بالمبادئ النظرية للحكم .

لقد كانت آراء أفلاطون في هذه المحاورة أقرب إلى المعقولية من الآراء التي أدلى بها في الجمهورية. وهي على كل حال قريبة من محاورة أفلاطون السياسية الثالثة " القوانين " أو هي خطوة ممهدة لها . فهنا نجد أفلاطون يصرح بأن السياسي الأصيل إنما هو الفيلسوف العاقل الذي يكون هدفه تلقين الفضيلة والعدل لشعب ، ولكن وجود هذا الحاكم ليس بالأمر اليسير فإن كان أن عثرنا على حاكم من هذا القبيل فلنا أن نترك له أن يحكم حكماً مطلقاً دون التقيد بقانون من القوانين . . وإذا لم نجد هذا الحاكم لأنه من المتعذر وجوده ، كان لا بد لنا من قوانين مدونة متفقة مع العادات والتقاليد والحكم السائدة في المجتمع . فالقانون والعادات والتقاليد والحكم إنما هم جميعاً نتيجة الحكمة العملية والتجربة والمراس والتجارب .

وفي حالة من هذا النوع ، أي عندما لا نعثر على الحاكم الفيلسوف يذهب أفلاطون إلى ضرورة إطاعة القوانين السائدة في الدول واحترامها . ثم إنه يقسم الحكومات تقسيماً مغايراً للتقسيم الذي قال به في الجمهورية . ذلك أنه إذا خضعت الدولة للقوانين كانت الملكية أحسن أنواع الحكومات والديمقراطية أسوأها ، وتكون الأرستقراطية وسطاً بين النوعين. ولكن وفي حالة عدم خضوع الدولة للقوانين فإن الديمقراطية تكون الأولى على سائر أنواع الحكم ويأتي بعدها في سلم التدرج حكومة الأولغارشية ثم حكومة الطغاة. وعلى كل حال فإن الأولغارشية هي الحل الوسط في كلا الحالتين.

وهكذا يتبين لنا أن حكم الفرد المستنير بالقانون هو أحسن أنواع الحكم في حين أن حكم الفرد هذا إذا لم يتقيد بالقانون يكون أسوأ أنواع الحكم . . وهنا بفضل الفيلسوف الديمقراطية . . إلا أن الديمقراطية ضعيفة ومحدودة الإمكانيات وعاجزة عن فعل الخير والشر ، وخلاصة القول أنه إذا فقد الحاكم الفيلسوف فعلينا بالقانون يستنير به الحاكم الفرد وإلا فليس أمامنا إلا الديمقراطية كحل .

ثالثاً : القوانين

عمل أفلاطون على تحقيق آرائه الواردة في الجمهورية وذهب إلى صديقه ديون حاكم " سراقوسه " أملاً في تحقيق أفكاره وتجسيدها وإخراجها إلى حيز التطبيق العملي . . ولكنه ارتد خائباً أكثر من مرة ، وخرج من تجربته هذه فاقد الأمل بائساً من الوصول إلى مراميه . . ولم يكن أمامه إلا تعديل أفكاره بحيث تأتي ممكنة التحقيق في الواقع . . هذا إلى أن أفلاطون كان قد ناهز الثمانين من عمره ، فكان من الطبيعي أن يأتي عمله الأخير وهو كتاب النواميس أو القوانين خلواً من تلك الأفكار المتطرفة التي هي دائماً من وحي الشباب والرجولة ، وأن تكون أقرب إلى التطبيق العملي وإلى ما يسمى بالحكمة العملية . " فبمادئ الدولة . كما تظهر في النواميس . هي المبادئ التي يقول بها شيخ عرك الحياة وعرف تجاربها ، ثم يئس من مثله العليا فحاول المسالمة ولم يكن هداماً ثائراً يحاول أن ينقض بناء الجماعة ، بل كان مسالماً يحاول قدر الإمكان أن يتفق مع مقتضيات الواقع وطبيعة النفوس الإنسانية ، من حيث أنها طبيعة منحطة يمازجها الكثير من الشر كما يمازجها الكثير من العجز . . هذا إلى أن طور الشيخوخة يجر وراءه دائماً النزعة إلى التصور الساذج ،

وبالتالي النزعة إلى الدين ، ومن هنا نجد الروح الدينية بمعناها الشعبي الساذج تسود هذه المحاورة . . "

بناءً على هذا جاء تعديل أفكار الجمهورية . .

ولكن يبدو أن كتاب النواميس لم يستطع أن يشد الجمهور إليه كما هو الحال بالنسبة لكتاب الجمهورية ، ومرجع ذلك ـ فيما يرى البعض ـ هو أن في الكتاب كثيراً من الحشو والترداد . . ثم أن أفكاره لم تأت منسقة منظمة ، ولم يسر فيه صاحبه على نسق فكري واحد ، بل كان يتقلب منهجه تبعاً لموضوعات البحث المعقدة . . والتفسير لارائج لكل هذا هو أن المؤلف لم يراجع كتابه المراجعة الأخيرة . .

ومع هذا فقد لعب الكتاب دوراً كبيراً في تحديد وتوجيه تفكير فلاسفة كثيرين ، فنحن نجد كتاب " السياسة " لأرسطو أقرب ما يكون من " نواميس " أفلاطون . وأهم أفكار هذا الكتاب أو هذه المحاورة ما يلي :

١. ارتداد أفلاطون عن معارضة القانون :

أدار أفلاطون النقاش في الجمهورية موضحاً عدم ضرورة القانون ومشيراً إلى أن الحكم من مهام رجال أحسن اختيارهم وتدريبهم يعملون وقد أطلقت أيديهم من كل قيد قانوني ويحكمون طبقاً لآرائهم وأفكارهم التي تعتبر فوق كل قانون . . . ولعل الفارق الرئيسي بين " الجمهورية " و " القوانين " يظهر في نظرة كل منهما إلى القانون . .

ولكن هل غير الفيلسوف وجهة نظره في المعرفة والفضيلة وتركها إلى الإيمان بالقانون ؟ وهل هجر أفكاره القديمة في الحاكم الفيلسوف ؟

الواقع أن صاحب " القوانين " مجد القوانين واعتبرها أداة التفرقة بيننا وبين الحيوانات وأثنى عليها وطلب إلى الناس أن لا يخضعوا لفرد من البشر بل أن يخضعوا للقانون . . ولكنه ومع هذا لم يفتأ يكرر في "

قوانينه " أن هذه المحاورة ليست إلا تتمة لأفكاره الأولى في السياسة ، وهو ومع دعوته إلى التمسك بالقانون فإنه يرى أن ظهور حاكم كفء ينفي الحاجة إلى حكم القوانين ، كيف لا والمعرفة أعظم شأناً من أية شرعة وأي قانون ، فلليست للقانون أية أهمية إلا على ضوء معرفتنا ، أن الوصول إلى الحاكم الجديد أمر عسير . . . وإذا جاء إسقاط القانون من الجمهورية نتيجة ذلك التحليق المثالي ، فإن العودة إلى القانون لم تكن إلا على ضوء التجربة الواقعية المريرة التي تأكدت للفيلسوف . .

ولكن ، كيف تكون محاورة " النواميس " تتمة لمحاورة المدينة المثلى ؟ مع أن هذه الأخيرة تقوم على فكرة جوهرية هي القول بحكم العقل أي الحكمة النظرية في حين أن الثانية تلجأ إلى حكم القانون أو الحكمة العملية ؟ أليس في هذا تنافر وتضاد وتناقض صريح ؟ وكيف وجد الفيلسوف مخرجاً أمام هذا الإشكال . . ؟

أن اجتماع البشرية وبحثها عن الحاكم الكفء الجديد لن يصل إلى نتيجة مجدي . . فالملك المفلسف مستحيل وجوده ، ومن هنا لم يكن أمام البشر إلا الاعتماد على ما في نفوسهم من نزعة فطرية نحو الحكمة العملية التي تكمن في القانون والعرف والعادة . وعلى هذا كانت " القوانين " تالية في الأفضلية بالنسبة للجمهورية أو هي مكملة لها . .

٢. تعديلات أخرى :

ولكن بالإضافة إلى رأي أفلاطون الجديد في القانون ، هناك تعديلات أخرى في الكثير من نظريات الفيلسوف السياسية ويمكن أن يرد ذلك . فيما يرى البعض . إلى منهج البحث في كل من المحاورتين ، ففي القوانين يتخلى أفلاطون عن منهج البحث الاستدلالي الذي كان متبعاً في الجمهورية ويستبدله بمنهج إستقرائي ، وهو إذا كان في الكتاب الأول

يتحدث عن الدولة المثالية التي نتوصل إليها عن طريق الاستدلال النظري الصرف ، فإنه في الكتاب الثاني يتناول الدولة من جانبها العملي ، وأسباب إزدهارها وعوامل سقوطها . . . إلخ . . فيبحث (على سبيل المثال) في أباب سقوط أسبرطة ويرد ذلك إلى اهتمامها بالنظام العسكري دون ما سواه من علوم وفنون ويبحث أيضاً في أسباب إنهيار أثينا ويرجع ذلك إلى تطرفها في اعتمادها على الحرية . . ولقد كانت كل من هاتين المدينتين تستطيع الازدهار والتطور لو التزمنا جانب الاعتدال . .

ويخلص في النهاية إلى القول ببعض القوانين التي تسير الدولة وتتحكم في مستقبلها فيقول أن الحياة الإنسانية محكومة بأمور ثلاثة : الله والحظ والفن . . ووفقاً لهذا يشرع في النظر إلى العوامل المكونة للدولة : الجانب الاقتصادي والجانب الاجتماعي . . . إلخ . . فيعرض لموقع المدينة الجغرافي وطبيعة تربتها ومناخها مما يظهر بوضوح عند أرسطو في كتابه السياسة . .

ومع أن القوانين تحتفظ ضمنياً بكل أفكار الجمهورية إلا أن تعديلات كثيرة تدخلها . . فالبنسبة للملكية مثلاً نجد أن الفيلسوف يسمح بها ، بل يسمح بعدم تساويها عند الأفراد على أن لا تزيد عن نسبة معينة . وبالنسبة لتقسيم العمل فإننا نجد أن العمل الزراعي هو من اختصاص الأجانب غير المواطنين على أن يكونوا أحراراً في حين أن العمل السياسي والإداري من مهمة المواطنين.

وكذلك بالنسبة لنظام التعليم فإن أفلاطون يسعى في القوانين . وقد ابتعدت الدولة عن أن تكون معهداً لتعليم رئيساً على جميع الموظفين في الدولة .

أما بالنسبة للدين فإن أفلاطون يحدد ضرورة معاقبة الخارجين على دين الدولة . . وهم في نظره ثلاث فئات : المنكرون لوجود الآلهة ، والمنكرون لعناية الآلهة بسلوك البشر ، والمؤمنون بأن الآلهة ترضى سريعاً عما يرتكب من ذنوب . وعقوبة هؤلاء هي السجن في الحلات العادية والموت في الحالات المتطرفة ، وبالإضافة لتنفيذ القانون الديني فإن على الدولة الاهتمام بتعيين الكهنة واختيارهم .

والنقد الرئيسي الذي يوجه لأفلاطون حول محاورة النواميس هو تحدثه عن تعديلات لا يؤمن بها إيماناً جازماً ، فهو في حديثه عن القوانين وعن دولة القوانين نراه يعود ليؤكد بين الفينة والأخرى آراءه الأولى في الجمهورية . . فلقد كتب الفيلسوف النواميس دون إيمان جازم بها ومن هنا جاءت مضطربة الأفكار مشوشة غير واضحة .

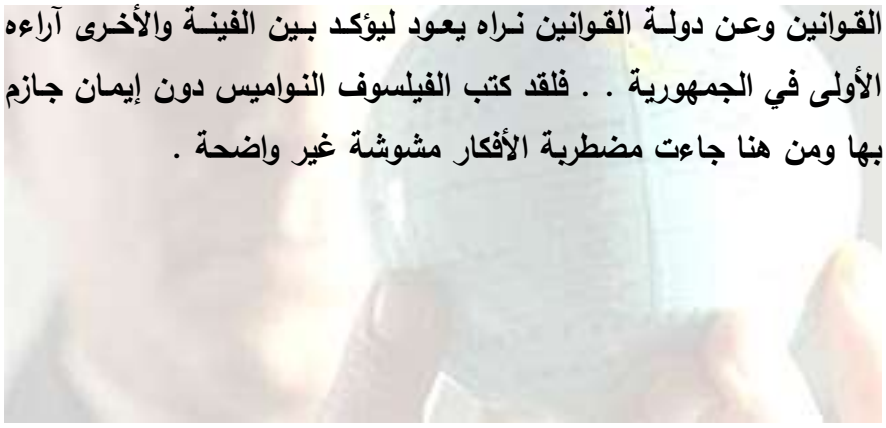

خامساً

ملامح من الفكر السياسي عند روسو

ملامح من الفكر السياسي عند روسو

(١٧١٢ ـ ١٧٧٨ م)

أولاً : ظروف حياته :

ولد جان جاك روسو لعائلة فرنسية الأصل في مدينة جنيف بسويسرا في (٢٨ حزيران / يونيو ١٧١٢ م) . تميزت حياة روسو ومنذ ولادته بالشقاء والتشرد والتعاسة . فبعد ولادته بأسبوع توفيت والدته لتتركه يتلقى العناية عند عمته .

وبعد دخول والده في مشاجرة عنيفة واعتدائه بالضرب على الآخرين ، واضطراره للعرب من جنيف خوفاً من ملاحقة العدالة له ، بدأت حياة الشقاء والتشرد تلاحق روسو لتبني شخصيته المعقدة . فقد أدخل لمدرسة داخلية بقي فيها سنتين اضطر لتركها بعد أن أخضع ظلماً لعقاب صارم. وبعد تركه المدرسة وضع ليتعلم على أيدي أحد النقاشين مهنة النقش ، ولكن ظلم معلمه وجوره اضطره للهرب من جنيف ليقيم عند سيدة محسنة في مدينة آنسي الفرنسية ، دفعته للتخلي عن المذهب البروتستانتي واعتناق المذهب الكاثوليكي في توران بإيطاليا ، وهو في السادسة عشرة من عمره .

ولدى عودته بعد ذلك إلى باريس نزل في فندق وضيع ، وأحب القيمة على البياضات فيه ، وكانت تدعى " تيريز لوفاسور " ، وكانت في الثانية والعشرين من العمر ، ومن بداية الأمر صارحها أنه لن يتزوجها أبداً وأنه لن يتخلى عنها أبداً أيضاً . ووفى بوعده وعاش مع تلك المرأة وأنجب منها خمسة أولاد لم يتحدث عنهم إلا في اعترافاته التي نشرت بعد وفاته ، وكان مصيرهم جميعاً الهجر والتنشئة في جمعية للأطفال . يقول

روسو إن ضميره أنبه على فعلته هذه كثيراً ، ولكن دون أن يمنعه ذلك من التمادي في السعي وراء مصالحه ولذائذه .

عرفت حياة " روسو " بعد ذلك بعض الاستقرار ، فاشترك في شمروع " ديدرو " الكبير لإصدار الموسوعة ، وحرر جميع المواد التي وردت بها عن الموسيقى . وعندما بلغ السابعة والثلاثين فاز بالجائزة الأولى لأكاديمية " ديجون *Dijon* " . عن بحثه الموسوم بـ " الخطاب في العلوم والفنون " الذي نشر عام ١٧٥٠ م ، ولقي ترحيباً كبيراً . حيث طرحت الأكاديمية المذكورة التساؤل الآتي : " هل يسهم تجدد العلوم والفنون ، في إفساد الأخلاق ، أم في إصلاحها ؟ " ، فأجاب روسو عن هذا التساؤل بالقول إن العلوم والفنون تقتل فراغ الرجال ، وتعودهم البطالة ، وإنها مسئولة وحدها عن الانحطاط والفساط ، وعرض لمصر والفرس وبيزنطة والصين ، فبرهن على أن توغل الانحطاط فيها مواز لتقدم الحضارة ، وأن الترف طمس على فضائل البطولة الحربية .

في أواخر حياته عانى " روسو " من المطاردة والفقر وعدم الاستقرار ، وفي كانون الثاني ١٧٦٦ م ، وصل " روسو " إلى لندن حيث استقبله الفيلسوف " ديفيد هيوم " وأسكنه ضاحية صغيرة بالقرب من العاصمة ، حيث يمكنه مواصلة كتاباته .

وقد أسهمت مقالات انتقادية أخرى أوحاها أو كتبها " فولتير " في تفاقم نوبة الجنون التي اعترت " روسو " آنذاك . فقرر أن يترك إنجلترا ويعود إلى فرنسا ، بعد أن سمح له بالرجوع إليها، حيث كان البرلمان قد أصدر قراراً يمنعه من دخولها . وساءت حالته الصحية منذ عودته إلى باريس ، وفي الثاني من تموز من عام ١٧٧٨ م داهمته الوفة ، نتيجة تسمم في الدم . ناتج عن مرض مزمن في المرارة رافقه طوال حياته .

ودفن " روسو " في جزيرة صغيرة تسمى " جزيرة الحور " ، وفي عام ١٧٩٤ م قررت الحكومة نقل رفاته باحتفال رسمي إلى مقبرة العظماء في باريس ، حيث كانت رفات عدوه " فولتير " قد نقلت قبل رفاته بثلاثة أعوام

ويرجع تعرضه للمضايقات ومحولات الاعتقال إلى آرائه التي لم تكن مقبولة من السلطات في ذلك الوقت ، فقد عبر دائماً عن فضه للتقاليد الإقطاعية الموروثة والسلطة الحاكمة ومظاهر المدنية ، لهذا انتقد بشدة نظام الحكم في فرنسا لاعتماده على فلسفة الحق الإلهي ، وتفشي الفساد والظلم فيه ، وانقسامه إلى طبقات شديدة التفاوت من الناحية الاجتماعية ، انعكس هذا على كتاباته فهو لم يكون مستعداً لقبول الإصلاحات المعتدلة سواء تلك التي نادى بها " فولتير " بإنشاء نظام ملكي مطلق مستنير ، أو التي عبر عنها " مونتسكيو " في النظام ذي السلطات المتوازنة اقتباساً من الدستور الإنجليزي . إنما كان روسو يهدف إلى موقف أعم ؛ هو الإقرار بحريات الإنسان ، وأن تمتد الحقوق لتشمل الفلاحين والعمال والطبقة الوسطى . كذلك ، فإن النقد الذي وجهه إلى فكرة أن التقدم وليد المعرفة مخالفاً بذلك لتيار التنوير ، قد كشف عدم اطمئنانه لمظاهر المدنية الصناعية في أوروبا التي ترتكز على الإنجازات العلمية الجديدة . لقد كانت له مواقف مغايرة حول كل هذه المفاهيم ، ولهذا نادى بإعادة بناء النظام الاجتماعي والسياسي على أساس الديمقراطية المباشرة والمساواة .

أهم مؤلفاته ذات العلاقة بالسياسة : (خطاب في أصل التفاوت بين البشر) ، (العقد الاجتماعي) ، (خطاب في الاقتصاد السياسي) ، (إميل) .

ثانياً : نظرية العقد الاجتماعي عند روسو :

يـرى " روسـو " أن الاجتمـاع بـين الأفـراد لا يمكـن أن يسـتند فـي أساسه إلى القوة ، فاجتماع الأفراد سواء في أسرة واحدة أو اجتماعهم في هيئة جماعة عامة ، إنما يستند في أساسه إلى رغبة هؤلاء الأفراد في العيش معاً وإلى اتفاقهم على ذلك .

كما أن الجماعة العامة لا تقوم إلا على أساس اتفاق الأفراد فيما بينهم ورغبتهم في العيش معاً ، وعلى ذلك ، فلا يمكن تصور وجود مجتمع منظم إلا على أساس إرادة أفراده واتفاقهم على الاجتماع معاً ، ويكون العقد الذي يتم باتفاق إرادة الأفراد على العيش معاً هو أساس وجود الدولة بالتالي .

ولقد كانت لأفكار " روسو " التي تضمنها مؤلفه الشهير " العقد الاجتماعي . *Social Contract* " أكبر الأثر على رجال الثورة الفرنسية الذين اعتنقوا الكثير من آرائه ، لذلك وصف كتاب " العقد الاجتماعي " بأنه " إنجيل الثورة الفرنسية " .

فـ " روسو " يرى أن الإنسان كان يتمتع في حالته الفطرية الأولى بالحرية والاستقلال ، إلا أن تعدد المصالح الفردية وتضاربها قد يؤدي إلى تعريض حقوق الفرد وحرياته للخطر ، لذلك عمل الأفراد على ترك حياة العزلة التي كان يحياها الأفراد البدائيون غير الخاضعين لأي سلطة عليهم ، والدخول في مجتمع منظم ، حفاظاً لحقوقهم وصيانةلحرياتهم التي يتمتعون بها في المجتمع الفطري البدائي . وكان السبيل إلى ذلك هو العقد الذي انتقل الأفراد بواسطته من حالتهم الفطرية البدائية إلى حالة الجماعة المنظمة .

أما بالنسبة لأطراف العقد الاجتماعي ، فيرى " روسو " أن هذا العقد لم يتم بين الأفراد فيما بينهم ، فيلتزم كل منهم في مواجهة الآخرين كما ذهب إلى ذلك " هوبز " ، وهو أيضاً لم يتم بين الأفراد من جانب والحاكم من جانب آخر كما ذهب إلى ذلك " لوك " بل إن هذا قد أبرم بين الأفراد أنفسهم ولكن بصفتين ؛ الأولى : باعتبارهم أفراد مستقلين ومنعزلين كل منهم عن الآخر ، والثانية: باعتبارهم أعضاء متحدين يتبدة من مجموعهم الشخص الجماعي المستقل .

على هذا النحو تصور " روسو " أطراف العقد الاجتماعي ؛ أفراد الجماعة أنفسهم ، الطرف الأول : الأفراد الطبيعيين على انفراد ، والطرف الثاني : أفراد الجماعة متحدين أو الشخص الجماعي العام .

أكما بالنسبة لمضمون العقد ونتائجه ، فيرى " روسو " أن الأفراد عند دخولهم المجتمع المنظم يعملون على التنازل كلية عن جميع هذه الحقوق والحريات الطبيعية ، إلا أن هذا التنازل يقابله استعادة الأفراد لحقوق وحريات جديدة تتمشى والمجتمع المنظم ، تقرها السلطة العامة . ويمكن تسمية تلك السلطة العامة " الشخص الجماعي " ؛ وهو الطرف الثاني في العقد عند روسو ، أو تسميتها " إرادة المجموع " أو إرادة الأمة للأفراد وتعمل على حمايتها .

ثالثاً : نظريته في الإرادة العامة :

الإرادة العامة " ***General Will*** " هي الركيزة الأساسية المميزة لفلسفة " روسو " السياسية ، وقد جاءت أول إشارة لها في دراسته " خطاب الاقتصاد السياسي " ، ثم استكمل بحثها بالتفصيل في مؤلفه " العقد الاجتماعي " . والإرادة كمصطلح لا تعني الإرادة فقط من حيث القصد والنية أو اقرار ، وإنما تعني أيضاً الرغبة " ***Wish*** " أو الحاجة إلى شئ ،

أو الاستعداد والرغبة في الاستجابة " ***Willingness*** " والإرادة العامة في مفهوم " روسو " تختلف تماماً عن الإرادة الخاصة " ***Particular Will*** " التي هي مختلفة بطبيعتها بين الأفراد ، كما تختلف أيضاً عن إرادة الجميع أو الكل " ***Will of All*** " .

إن توجيه الدولة وحكمها يتم بواسطة الإرادة العامة للشعب بصفتها مجموع كل المصالح المشتركة ، بينما المصالح الخاصة المتباينة للأفراد والتي تكون إرادتهم الخاصة ، لا يمكن أن تكون أساساً وإنما تصلح فقط كرابطة بين عصبة معينة أو فئة سياسية ما . بالمثل ، ينطبق هذا على المصطلح الثالث ؛ إرادة الجميع ، أو الكل الذي يطلقه على أغلبية المصالح الخاصة التي لا تستند إلى المصلحة المشتركة للجماعة ككل أو للمجتمع ككل .

ففي المجتمع الذي توجد به أحزاب أو تكتلات ، لا يعني التوصل إلى تصويت بالأغلبية أنه يمثل الإرادة العامة ، وإنما فقط إرادة الجميع ؛ أي مجموع الإرادات الخاصة التي قد لا تكون عادلة بالنسبة للمجتمع ككل

بعبارة أخرى ، فإن الإرادة العامة عند " روسو " هي ما يريده الناس عندما يتطلعون إلى الخير العام على أساس من المصلحة المشتركة ، ويتخلون من أجل ذلك عن مصالحهم الأنانية الضيقة . " فالإرادة العامة تمثل حقيقة فريدة في المجتمع ، ألا وهي وجود مصلحة مشتركة ، مختلفة عن مصالح الأفراد الشخصية " .

ويضيف " روسو " أن الإرادة العامة هي المصدر الوحيد لكل القوانين العادلة ، وأنه لا شئ سواها يلزم الأفراد ، والإرادة العامة كما ذكر " روسو " مراراً وتكراراً ، تكون دائماً على حق ، وهذه مجرد حقيقة بديهية

، لأن الإرادة العامة تمثل الخير الاجتماعي الذي هو نفيه معيار الصواب ، وما ليس بصواب ، يكون مجرد شئ آخر غير الإرادة العامة .

هذه الطاعة للإرادة العامة تمثل في رأيه واجباً أخلاقياً أسمى ، كما تمثل استجابة للمصالح الحقيقية للفرد ، ما دام هذا الفرد يعيش مجتمع حقيقي . ويعتبر " روسو " أن عدم امتثال الفرد لطاعة الإرادة العامة هو نوع من الأنانية التي تدفعه إلى الرغبة في التمتع بحقوق المواطنة دون تحمل تبعاتها ؛ أي دون تحمل واجباته كفرد من المحكومين . وفي تحذيره من أن مثل هذه الأنانية أو العصيان قد يؤدي إلى انهيار المؤسسة السياسية ، بتوعد " روسو " في عبارة صارت مثل جدل عميق ، من يعصي الإرادة العامة بأنه سيجبر على طاعتها قصراً .

رابعاً : فلسفته في الدولة القومية :

تصنف كتابات روسو ضمن الفلسفات السياسية للدولة القومية نظراً لما ورد بها من نصائح في كتابه التعليمي " إميل " ، وتختلف آراء روسو هنا أيضاً مع الفلسفة الفردية السابقة عليه ، وخاصة تلك التي عبر عنها لوك ومفهومها الفردي القائل إن قيمة أي جماعة بشرية تكمن في قدرتها على توفير السعادة والرضا النفسي للفرد ، ولا سيما في مجال حماية حقوقه المتأصلة في الملكية الفردية والتمتع بها ، وإن حقوقه سابقة على وجود المجتمع ، وإن هذا الأخير ما نشأ إلا من أجل الفرد ومصالحه . وطبقاً لهذه الفلسفة ، فإن البشر منساقون للتعاون بموجب مصلحة شخصية مستنيرة ، وحساب دقيق لما يعود على الفرد من منفعة ، وإن وظيفة المجتمع الأساسية هي تحقيق هذه المنفعة . أي أنه كمجتمع لا قيمة له في خد ذاته ، والدافع الذي يقوم عليه هو الأنانية وحب الذات ، وتنحصر مهمته في المقام الأول في تحقيق رفاهية الفرد وأمنه .

لكن ابتداء من روسو بدأت مرحلة جديدة من التأثير اليوناني في الفلسفة السياسية ، إذ أدى تأثره بأفلاطون إلى تخلصه من تلك الفلسفة الفردية ، وكانت النظرة العامة التي أخذها روسو عن أفلاطون تتضمن ما يأتي :

- التسليم بأن الولاء السياسي هو أخلاقي أساساً قبل أن يكون مسألة قانون وسلطة . فمجتمع دولة المدينة يشغل قمته مواطنون أحرار يقوم كل منهم بمهمته خدمة للصالح العام ، ولا يستطيع العيش خارج هذا المجتمع إلا إله أو حيوان .
- يمثل المجتمع في دولة المدينة القيمة الأخلاقية العليا لأنه الوسيلة الرئيسية للتهذيب الأخلاقي .

ومن بين آراء روسو السياسية التي تستحق التنويه لعلاقتها بمفهوم القومية موقفه من نظام الرق ، ونظام التعليم ، فالبشر في نظره يجب جعلهم مواطنين قبل أن يكون في الإمكان جعلهم بشراً ، لكن لكي يكونوا مواطنين يضع " روسو " عدة شروط ومنها أن تعمل الحكومة على ضمان الحرية في حدود القانون ، وتوفير الرفاهية المادية ، وإزالة التفاوت الشديد في توزيع الثروة .

وفي واقع الأمر إن النزعة القومية قد حصلت على دفعة قوية من خلال كتابات روسو التي جعلت منها الفضيلة العليا ومنبع كل الفضائل الأخرى .

خامساً : مكانة روسو السياسية :

كانت آراء " روسو " التي أشرنا إليها هدفاً لنقد والتحليل ، فقد بولغ في نقده والنيل من قيمة آرائه ، والتقليل من شأن كتابه " العقد

الاجتماعي " وما يتضمنه من مبادئ سياسية . فقط انتقدوا نظريته في نشأة التعاقد ، وانتقدوا نظريته في الإرادة العامة المعبرة عن سلطة القانون ، فمنهم من ذهب إلى القول إن بحوث " روسو " لا تعد بحوثاً فلسفية جديرة بالتقدير والاعتبار .

وقد أجمع المفكرون الذين حللوا آراء " روسو " على أن هؤلاء الذين انتقدوه قد اقتصروا في دراساتهم على ما جاء بكتابه " العقد الاجتماعي " ، وأغفلوا ما عرض " روسو " من بحوث سياسية في مؤلفاته الأخرى . ويبدو كذلك أنهم علقوا أهمية كبيرة على ما جاء بكتابه المذكور من عبارات توهم بالتناقض ، وألفاظ تدل على الاضطراب والتخبط .

والحق أن " روسو " لم يكن عنده الصبر الكافي للوقوف عند موضوع واحد بعينه ، أي إنه لم يكن منهجياً صبوراً يقتل الفكرة بحثاً وتحليلاً ثم ينتقل إلى فكرة أخرى ، ولكنه كان سريع التنقل بين مختلف الأفكار والاتجاهات ، قد يتوفر على وجهة نظر معينة بالدراسة والتحليل ، ولا يدخر جهداً في تأييدها وتدعيمها بالحجة والبرهان ، ثم يتحول فجأة إلى وجهة نظر أخرى ويتحمس لها بطريقة توحي بأنه يناقض نفسه ويهدم في لحظة ما توفر على بنائه في وقت سابق .

وفي حقيقة الأمر ، إن " روسو " قدم نظرية سياسية متكاملة ، كان أهم أركانها محاولة اتخاذ الطبيعة بقوانينها كأساس لإصلاح المجتمع المتمدن ، وتصوره للعقد الاجتماعي ، وإذا كانت الطبيعة قد خلقت الناس أحراراً متساوين ، فإن العقد الاجتماعي يعيد الإنسان الذي أفسدته العلوم والفنون إلى حالة الصفر لكي يكون الجميع سواسية وأحراراً .

وإن كان الأمر كذلك فإن السيادة لا تتعلق بفرد أو هيئته ، وإنما تعود برمتها إلى إرادة الشعب العامة ، ومن ثم لا تمييز ولا تفوق ، كما أن

القانون لا يضعه فرد أو هيئة ، إنما هو صادر عن إرادة الشعب الكلية والعامة ، فليس ثمة فرق بين واضع القانون وبين منفذ له وبين مطيع لأوامره ، ما دام أنه يصدر وينفذ ويطاع من الشعب بأسره . والنتيجة أن الإنسان ما زال حراً مساوياً لكل إنسان آخر .

سادساً

ميكيافلي

ميكيافلي (١٤٦٩ ـ ١٥٢٧ م)

حياته :

ولد في فلورنسا وينحدر من عائلة قديمة في هذه المدينة الإيطالية . شغل أول منصب سياسي له في عام ١٤٩٤ م بعد سقوط الديمقراطية الثيوقراطي في *Savonarole* ، لتقوم سلطة جمهورية كلاسيكية مكانها قادها منذ عام ١٥٠٢ م *Gonfalonier* وكان ميكيافلي رجل الثقة في هذا النظام الجديد . أما مهمته فكانت " سكرتير " (لجنة العشرة من أجل الحرية والسلام) ، وهي شكل من أشكال وزارة الداخلية والحرب . خلال أربعة عشر عاماً قضاها في خدمة الجمهورية تم تكليفه بالعديد من المهام الدبلوماسية في فرنسا وروما ، أيضاً عمل في المسائل العسكرية حيث حصل من حكومة فلورنسا على قرار بإنشاء جيش وطني دائم . شغل ميكيافلي ثلاث مرات مناصب رسمية هامة ، في عام ١٥٢٠ ، ١٥٢١ و ١٥٢٥ م .

أعماله :

١. كتاب " الأمير " . وهو الأكثر شهرة ، ولكنه ليس الأكثر أهمية من بين أعماله . كتبه بين عامي ١٥١٣ و ١٥١٤ م .
٢. " خطاب حول أو عشر كتب " ، كتبه بين عامي ١٥١٣ ـ ١٥١٩ م . وهو الكتاب النظري الأساسي عند ميكيافلي .
٣. " تاريخ فلورنسا " (*Storie Fiorentine*) كتب بين ١٥٢٠ و ١٥٢٦ م . يتحدث الكتاب عن الفترة من ١٢٥١ إلى ١٤٩٢ م . ويتحدث فيه عن الأحداث التي حصلت منذ سقوط الإمبراطورية الرومانية في الغرب .

٤. كتب ميكيافلي أيضاً وبين عامي ١٥١٣ و ١٥٢٠ م كتاباً في غاية الأهمية عن " فن الحرب " .

يعتبر الكثير من علماء السياسة أن ميكيافلي حتى ولو كان أو " أعتبر " منظراً سياسياً ، إلا أنه لا يمتلك نظاماً مفهومياً متطوراً بشكل كلي أو شامل أو أنه متماسك . ففي جميع أعماله التي كتبها مستفيداً من خبراته العملية والوظائف التي مارسها يظهر وكأنه كتب فقط كمستشار للحكومة، الأمير ، الباباوات أو القضاة في فلورنسا . ولكن يمكننا القول من جهة أخرى أنه بحث عن قوانين دائمة للحياة السياسية .

منهج ميكيافلي :

أ. الواقعية :

رفض ميكيافلي كل أوهام المثالية : " بما أنني أحاول كتابة أشياء يمكن الاستفادة منها لمن ينتظروها ، فإنه يظهر لي أكثر إقناعاً أن أتبع الحقيقة الواقعية للأشياء وليس كما نتخيلها " . وبسبب منهجه " الواقعي " أعتبر ميكيافلي من قبل العديد من الكتاب المعاصرين كأب " لعلم السياسة " . وربما يكون هذا التصنيف له ناتج عن أن ميكيافلي كان أول من فصل الأشياء السايسية عن جميع الأشياء الأخرى ، الدين ، الأخلاق والاجتماع .

ب. الطبيعة الإنسانية وفق ميكيافلي :

أفكاره تستند في الكثير منها على التشاؤم ، وهي رؤية ما ارتبطت بعد الاستقرار وحالة انعدام الأمن ثم العنف الذي غرفته إيطاليا في زمنه . يعتقد ميكيافلي أن البشر هم هكذا بطبيعتهم في كل زمان ومكان وهذا شئ من المستحيل تغييره أو إصلاحه : " منافقون ، جشعون وشرهون للحصول على الربح " . (من كتاب اتلأمير، الفصل السابع عشر ،

الصفحة ٣٣٩) . أيضاً بالنسبة لـه جميـع البشر هم طغاة ، والفرق بين إنسان عادي وطاغية ، هي أن الثاني لديـه الوسائل بينما الأول لا يملكها كي يصبح طاغية ولكنهما متماثلان في الطبيعة .

بالإضافة لذلك ، يرى ميكيافلي أن الفضائل غير موجودة . وفقط هي الضرورة التي تقود إنساناً ما ليكون جيداً في بعض الأحيان ، وهو لن يكون ذلك أبداً بشكل عفوي . وإذا اقتنعنا بعكس ذلك سيكون هذا وهماً خالصاً . ولا يتردد في وصف الإنسان بأنـه حيوان ، أسد أو ثعلب ، وفق الظروف . وهنا يقول أننا نستطيع الحكم بالوانين على ما هو إنساني في الإنسان ، وبالقوة على ما هو من " خاص بالحيوانات " . وعندما القوانين لا تكفي علينا ألا نتردد في استخدام القوة ، وعلى الأمير أن يعرف استخدام هذه أو تلك (الأمير ، الفصل ١٨ ، صفحة ٣٤١) .

جـ. الميكيافلية ***Machiavélisme*** :

عندما لا يحدث أي وهم فيما يتعلق بالطبيعة الإنسانية فإن رجل الدولة سيستطيع الحفاظ على الحد الأدنى من النظام الاجتماعي ، هكذا يرى ميكيافلي . وبما أنـه لا يوجد في الكتمع سوى القوة ، المصالح والأنانية ، وليس هناك قيم للعدالة والأخلاق تسمح بإبقاء القيم في حالة تناغم مع المصالح ، فإن المشكلة التي على رجل الدولة حلها هي الحفاظ وبشكل مصطنع على التوازن بهدف وضع حدود لتبادل المصالح . وكل فكرة تهدف لإقامة " العدالة " تركها ميكيافلي أو في أحسن الأحوال تجاهلها .

ويبدو أن ميكيافلي في فكره السياسي يفضل ما يدعوه المعاصرون " بالبراغماتية " . حيث أنه لا يوجد مبادئ أخلاقية أو قانونية يمكن فرضها بشكل دائم ، فإن القيادة لشئون الحكم عليها أن تسترشد باعتبارات عملية

خالصة ، وبقدر تغير الظروف فإن قرارات الحكم يمكنها أن تتغير . " على الأمير أن يكون جاهزاً ليدور مع رياح الحظ وتقلبات الأشياء التي يقودها " (الأمير ، الفصل ١٨ ، الصفحات ٣٤١ . ٣٤٢) .

المعيار القاطع ، في السياسة ، ليس أن تكون جيداً أو شريراً ، وليس أيضاً أن تكون ضعيفاً أو قوياً ، ولكن سعيداً أو كئيباً في هذه السياسة . وهنا يؤكد ميكيافلي على أن الغاية تبرر الوسيلة . فليس المهم ما يفعله رجل الدولة في مراحل اتخاذ القرار بل المهم هو نتيجة هذا لاقرار . إن كل أفكار ميكيافلي تتمركز ضمن هذا المنطق أو النظام . ولكنها تختلف وفق ما يمكن أ، نسميه أو نعتبره بالسياسة الداخلية أو بالسياسة الخارجية .

د. السياسة الداخلية :

يفضل بالنسبة للحاكم أن تخافه الناس لا أن تحبه . شئ مثالي أن يكون محبوباً ، ولكن ، إذاً من الواجب الاختيار بين الوسيلتين ، الأفضلية يجب أن تعطى إلى الخوف . وهذا يبرر ويعود إلى الطبيعة العميقة للإنسان (الأمير ، الفصل ١٧ ، الصفحة ٣٣٩) . بمعنى آخر ، الأمير الواعي أو المتيقظ عليه أن يوجد وفق ما يريد هو ، وليس على ما يريد الآخرون ، ومن هنا تأتي أفضلية الخوف كأداة في السلطة (المرجع السابق ، الصفحة ٣٤١) . واقعية ميكيافلي وتفكيره حول إستراتيجيات فعالة للتوازن بين القوى الاجتماعية تقوده يعلن عن الأطروحة التالية : أحياناً ، الحكام ، ومن أجل تهدئة الشعب ، عليهم ألا يترددوا في تقديم " كبش المحرقة " والذي سيخدم في مخرج من غرائزه العدوانية وبالتالي إيجاد حل لراحتهم ولجميع المواطنين . في الواقع هذا التفكير الميكافلي حول التضحية بأحد المواطنين من قبل الدول هو ما يمكن أن نسميه "

بجريمـة الدولـة " . فهـو يعطـي الشـرعية للحكـام بتنصـفية المعارضـة مـن خلال ارتكاب الجرائم ، ومن غير تقديم هؤلاء للعدالـة ، لـذلك نـدرس الفكـر السياسي الميكافلي هنا كجزء تابع لمرحلـة الحكم الاستبدادي أو المطلق (يمكن مراجعة " الأمير " الفصل ١٧ ، الصفحة ٣٣٨) .

هـ. ميكيافلي بين الملكية والجمهورية :

سـاند ميكيـافلي وبشـكل متـزامن فـي كتابـه " الأميـر " وكتـاب " خطابـات " ، الأطروحـات الملكيـة والجمهوريـة ، لدرجـة أن العديـد مـن المحللين اعتقدوا أن أطروحاتـه غير متماسكة . في الواقع مسألة نموذج أو شكل الحكم كان ثانوياً بالنسبة لـه . فقد كان في البداية مدفوعاً بمسألة الاستقلال الإيطالي ، إذا أنـها الدولـة كمجسدة للأمـة ، التـي اهتم بهـا فـي المقدمة . ولكن بواسطة من هذه ستؤسس ويتم حكمها ؟

في " الأمير " يتحدث ميكيافلي عن الحل الملكي . ولكن فـي كتاب " خطابـات " يظهـر وكأنـه جمهوريـاً . فـي الحـالتين ، الدولـة الميكيافليـة عليها وفي جميع الظروف أن تحكم من غير اعتبارات للقوانين أو الأخـلاق . فروح الجمهوريـة الرومانيـة التـي تم تحليلها فـي كتاب " خطابات " هـي نفسها المملكة الفرنسية والإسبانية ، أو بمعنى آخر سلطة سياسية مطلقة . ولكن يمكننا القول أن ميكيافلي اعتقد أن الجمهوريـة ليست شكلاً جيداً للحكم في إيطاليا آنذاك ، وهي على كل فكرة كانت سائدة بشكل واسع فـي ذلك العصر . إذاً بالنسبة للدولـة يجب أن تكون خاضعة لرجل واحد فقط يظهر قوة لا تعادلها قوة أخرى في الدولة (من كتاب " خطابات " الفصل ٩ ، الصـفحة ٤٠٥) . أمـا السـلطة التنفيذيـة يجـب أن تكـون واحـدة غيـر مقسمة لا سيما في أوقات الأزمات .

من جهة أخرى لا يتردد ميكيافلي في القول أن التعددية فيها إيجابيات كثيرة ، زخاصة التعددية في ظل " جمهورية " . فأفضل القوانين في روما كما يقول ، كانت ثمرة للتعددية . ولكن على هذه التعددية أن تتماشى مع اختيارات الحكام .

و. ميكيافلي والقومية :

كان ميكيافلي يشعر بالإهانة بسبب الحالة التي تعيشها بلاده أمام الغزو الفرنسي والإسباني ، التي الدول التيى اعتبرها أقل حضارة من إيطاليا وهي في نفس الوقت أقوى منها لأنها استطاعت أن تبني وحدة وطنية . من هذا أراد تحقيق الوحدة الوطنية في إيطاليا . قدم ميكيافلي مفهومه للأمة كشخصية مجردة وهي في نفس الوقت أسمى من الفرد الذي يكونها وأيضاً لها طابع دنيوي خالص. هذه الأمة هي شئ آخر غير الفرد فليس من شأنها الخضوع لأي أخلاق أو قانون . الفكرة الأهم عند ميكيافلي فيما يتعلق بالشعور القومي كانت في إنشاء جيش وطني مؤلف من جميع المواطنين وليس من ميلشيات . أيضاً وقف ميكيافلي إلى جانب استخدام جميع الوسائل في العمل الدبلوماسي ضد العدو خاصة إذا كنا لا نملك القوة لمحاربته . فالأمة هنا ليست مضطرة لاحترام كل أنواع المعاهدات والإتفاقيات التي وقعتها من أمة أخرى .

أخيراً وفيما يتعلق بميكيافلي ، نستطيع القول أن أفكار ميكيافلي السياسية لاقت إعجاباً كبيراً من قبل أنصار الحكم الاستبدادي المطلق في مختلف الدول الوروبية ، فالملو الذين ترددوا في السير خلف شعار " الغاية تبرر الوسيلة " ، وجدوا في كتاباته الوسيلة التي حررتهم من هذا التردد . أما في القرن العشرين فحصلت أفكاره على قوة أكبر عند اليمين المتطرف كما عند اليسار المتطرف . وحتى في القرن التاسع عشر لاقت

ترحيباً عند ما يسميهم مؤرخ الأفكار السياسية ***Philippe Nemo*** " بأسياد الشك " ماركس ونيتشه ، إلى منظري التوتاليتارية الذي أخذوا أيضاً من أفكاره ، واستخدمه كمرجع كل من الفلاسفة ***Pareto, Sorel, Maurras*** ، كما كان مشهوراً في الأوساط الجامعية الفرنسية كمفكر سياسي كبير وخاصة عند المفكرين المقربين من الماركسية . ونذكر هنا أن المنظر الماركسي الإيطالي الشهير أنطونيو غرامشي اعتبر أن النظرية الميكيافلية في كتاب " الأمير " هي أول نظرية " للثورة " ، وقد كانت " اليعقوبية " في فرنسا الثورة الفرنسية وروسيا البلشفية التجسيدات التاريخية الأولى لكتاب " الأمير " .

سابعاً
الأغنية السياسية والنشيد الوطني في الموسيقى العربية

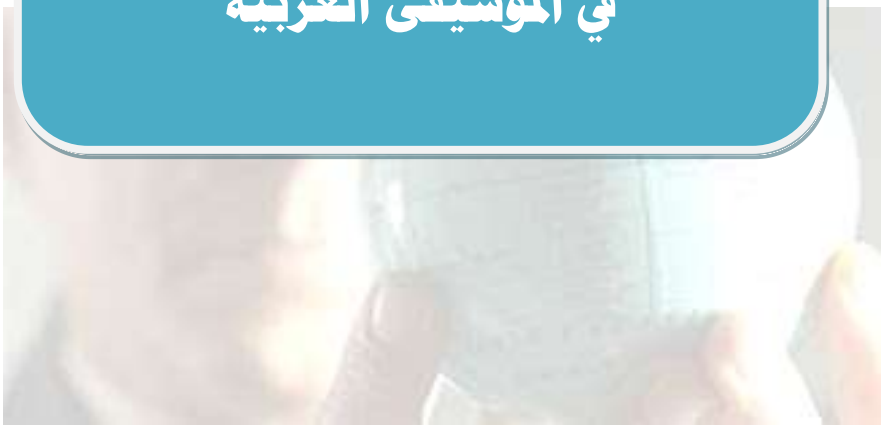

إنه من الصعب جداً أن نفكك بين الإنتاج الموسيقي الخالي من الكلمات والذي يعبر عنه في الكتب القديمة " بالموسيقى المحضة " أو " الفارغات " ويسميه بعضهم الآن موسيقى صامتة وبين الغناء في شتى أغراضه ومشاربه ويعسر على التصفح للتراث الموسيقي العربي أن يجد أناشيد وطنية في أي عصر من العصور قبل التقسيم الذي أدخله الاستعمار على وطنا العربي ليصنع منه كتلات صغيرة سهلة الاستثمار والذوبان في الثقافات الغريبة عنها .

والمعروف عن أغانينا أنها لم تتناول سوى الخمريات والغزل وشئ من الوصف في أسلوب يبعث على الخنوع والضعف والاستسلام فهذا الشيخ السيد الصفتي يسجل لنا :

تـــذلل لمـــن تهـــوى
فلـيس الهـوى سـهل
ففـــي حبـــه يحلـــو
التهتـــــك والـــــذل

وهذا الشيخ سلامة حجازي الذي يعتبر من رواد المسرح الغنائي يسجل :

ســـمحت بإرســـال
الـــدموع محـــاجري
لما تزايد في التجني
هـــــــــــاجري

وهذا الشيخ يوسف المنيلاوي سجل بدوره :

الله يعلـم أن الـنفس

قـــــد ســـــلكت

باليـأس منـك ولكنـي

أمنيهـــــــــــــا

وهذا الموشح الأندلسي الذي يغني حتى الآن يقول :

جـاز مـن الربيـع ثيابك إرهن وبيـع

فالأمثلة عديدة لهذه المعاني التي لا تخلو عن طرافة وجمال ورقة حاشية ولكن انفرادها في البرامج الفنية دون سواها ينمي في الشباب الركود والاستسلام والتذلل وعدم الشعو بالمسئولية .

وقد وجدنا في كتب الأدب والتاريخ أمثلة عديدة للأغاني السياسية سواء للتنويه بالمعارك التي خاضتها الجيوس الإسلامية أو لإبراز مدنية معينة أو لإعلاء شأن قائد منتصر ونسوق لذلك بعض الأمثلة :

لعل من أبرز هذه الأغاني تلكم التي ارتبطت بشعور كل مسلم مثل التي استقبلت بها بنات النجار الرسول الأعظم صلى الله عليه وسلم بمناسبة الهجرة عند وصوله للمكان المعروف بثنية الوداع من المدينة المنورة :

طلـع البـدر علينـا من ثنيات الوداع

وجب الشكر علينا مـا دعـا لله داع

أيها المبعوث فينا جئـــت بـــالأمر

المطـــــــــاع

وكذلك ما تفنت به فتيات قريش خلف المشركين المحاربين في غزوة أحد في السنة الثالثة للهجرة تبعث فيهم الحماس ويقال أن هذه الأغنية موروثة من العهد الجاهلي ومطلعها :

نحن بنات طارق نمشـــي علـــى
النمـــــــــــارق
أن تقدموا نمـانق أو تحجموا نفارق
فـراق غيـر وامـق

ثم إن كتاب الأغاني يحكي لنا عدة قصص لعبت فيها الأغنية دوراً سياسياً هاماً فهذا المغني طويس يوقد ما خمد من نار حرب الأوس والخزرج بالأغنية التي تختم بـ :

رد الخليط الجمال مـاذا عليهم لـو
فانصـــــــــرفوا أنهـــم وقفـــوا

فأجرى بينهم الدماء ويخرج المغني سالماً من كل سوء .

وهذا سائب خائر يستعمل لحن أستاذه نشيط الفارسي في كلمات سيدنان حسان بن ثابت في غنائه لغرض سياسي :

لنـا الجفنـات الغـر
يلمعن فـي الضـحى
وأسيافنا يقطرن من
نجـــــدة دمـــــاً

واحتلت الأغنية السياسية مكانة مرموقة عند انتصاب الدولة العباسية ونورد من بين أمثلتها العديدة أغنية إبراهيم الموصلي لتهنئة هارون الرشيد بتوليه الحكم :

ألـم تـر أن الشـمس
كانـــت مريضـــة
فلمـا ولـي هـارون

أشـــــرق نورهـــــا

فألبست الدنيا جمالاً

بوجهـــــــــــــــه

فهـــــارون واليهـــــا

ويحيـــــى وزيرهـــــا

فأجازه الخليفة بجزيل العطايا رغم ضعف الشعر الملحن .

ومن الأغاني السياسية تلك التي بز بها ابن جامع زميليه إبراهيم الموصلي ومخارق وهي التي أنشدها بين يدي الخليفة هارون الرشيد عند فتحه لهرقلة وهي تصف لنا السلاح الذي استعمل في هذه المناسبة :

كـان نيراننـا فـي مصـــبغات علـــى

جنـــب قلعـــتهم أرســـان قصـــار

هـوت هرقلـة لمـا حوائمـــاً ترتمـــي

أن رأت عجبـــــاً بـــالنفط والنـــار

وبسقوط الدولة العباسية ظهرت بوادر الإنهيار في السياسة واختار المغنون البعد عن الأغاني السياسية إذ لو تناولوها لاضطروا إلى مدح الحكام الأجانب الذين أصبح العديد من البلدان العربية تحت سلطتهم ، والغناء تعبير صادق لا يمكن أن يصدر إلا من أعماق القلب .

ولدى مراجعتنا للتساجيل القديمة لم نجد فيها سوى بعض القطع التي تمت للسياسة بصلة منها ما سجلته شركة بيضافون للمطرب المر :

يـــا بـــلادي يـــا يـــا ضـيا البلـدان

بـــــــــــلادي

كـــل حـــب فـــي موقـــد النيـــران

فـــــــــــــؤادي

إلى أن يقول :

يا جبالي ووهادي مرتـــع الغـــزلان

أنـــت فـــوزي فـــي أنـــت ديـــن ثـــان

جهـــــــــــادي

ومنها أيضاً نشيد البرلمان للمطرب المصري الكبير المرحوم الشيخ يوسف المنيلاوي الذي سجلته شركة قرامفون :

وطنـي أنـا بـالروح حـــب الـــوطن ده

أفديـــــــــــه مـــــن الإيمـــــان

تعيش مصر حرة

تعـيش مســتقلة يعيش سعد باشا

يحيـــى الملـــك يحيـــى الـــوطن

البرلمان للمجد سبيل

ما يسلكه غير كل شرب الوفاء من

همـــــــــــام مـــــاء النيـــــل

وبعد الحركات الإصلاحية وانطلاق الشعب العربي من سباته ودخوله في الحركات التحريرية بدأت نهضة طيبة في إنتاج الأناشيد الوطنية والأغاني السياسية سواء بالعربية الفصحى أو باللهجات العامية وقد تعثر الملحنون في الخطوات الأولى إذ ظهر في العديد من هذه القطع شئ من ميوعة التلحين جعلنا نكاد لا نفرق بين تلحينها وتلحين الأغاني الغزليـــــــة مـــــــن حيـــــــث إدخـــــــال جـــــــو الطرب عليها .

والطور الثاني من تلحين الأناشيد الوطنية والأغاني السياسية كان مجرد تقليد لموسيقى المسيرات الأوروبية بحيث اقتصر الموسيقيون في هذا الإنتاج على مقامي الكبير والصغير اللذين اختصت بهما الموسيقى الغربية وتسربت هذه العاهة إلى الأناشيد المدرسية وصار بعض المشرفين على التربية الموسيقية يعتقدون أنه لا يجوز ولا يمكن تلحين أناشيد على غير هذين المقامين وعلى إيقاع غير إيقاع الخطوة . وكدنا بهذا المركب الذي أصاب الوسط الفني نفقد شخصيتنا العربية وندمج جيلنا الصاعد في ثقافة غير ثقافته فنجعل منه عنصراً متنكراً لشخصيته قاطعاً الصلة مع الجيل الذي سبقه .

وهو بذلك معذور لأنه يشعر بضرورة التخلص من الركود والميوعة التي تسلطت حتى على بعض الأناشيد الوطنية الرسمية ولا يجد أمامه إلا باباً واحداً يرميه في هوة أكثر خطورة .

وعسى أن تكرهوا شيئاً وهو خير لكم .

وقد خدمت الظروف السياسية بواسطة الأحزاب ومنظمات الشباب المختلفة وخاصة الإذاعات قضية النشيد فسخر العدد الكبير من الملحنين الذين يجندون لكل مناسبة حرجة فتوضع الأبواق على ذمتهم للإصداع بأصواتهم المدوية في قوالب موسيقية مختلفة وهكذا طلع فجر جديد للتلحين الحماسي طبقت فيه المقامات والإيقاعات العربية ، فهي بداية طيبة علينا بمواصلتها وتوسيعها للأغاني المدرسية وأغاني مختلف هيئات العمال والشباب .

وقبل تقديم العنصر الثاني من المحاضرة والتعلق بالموسيقى السياسية يجدر بنا أن نتعرض لبعض الأناشيد التي اشتهرت في بعض الأقطار العربية على سبيل المثال :

لقد تبنت الحركة الوطنية في تونس سنة ١٩٣٤ م نشيد مصطفى صادق الرافعي وجعلته رفيقها في الكفاح إلى الاستقلال وهي تنقد من ناره لمواصلة الجهاد الأكبر :

حمـاة الحمـى يـا هلموا هلموا لمجد
حمـــاة الحمـــى الـــــــــــوطن
لقـد صـرخت فـي نمـــوت نمـــوت
العـــروق الـــدما ويحيـــى الـــوطن

كما اعتمد طلبة شمال أفريقيا عند تأسيسهم للمكتب الموحد بين المغرب والجزائر وتونس بباريس على نشيد من ألحان الشيخ سيد درويش من رواية (كليوباترا) (حيوا روما) فأبقوا على الملحن وغيروا الكلمات التي صارت :

حيـــوا أفريقيـــا حيـوا أفريقيـا يـا عبـــــــــــاد
شـــمالها يبغـــى أشـــبالها تـــأبى
الاتحـــــــــاد الاضـــــــــطهاد

وظهرت عدة أناشيد في كل قطر عربي نذكر منها نماذج من تونس : نشيد عيد العروبة من تأليف الشيخ الطاهر القصار :

يـا عـرب يـا عـرب يـــــا كـــــرام
أنـــتم المغلـــب يـــا عـــرب
والحجـــي والأدب
...

وغيره لأحمد خير الدين :

يـــا شـــباباً قـــد نحـــــــــو إدراك

تســـــــــــامى المعـــــــــــالي

كسر القيد وسارع باتحـــاد للنضـــال

والناحيـة الأخرى من الموسيقى السياسية تمثل فـي فرق العزف التي تدعم هيبة الحكم وتبعث الحماس في الجيوش واكتسبت بذلك طابعاً عسكرياً بحتاً . إذا ما ربطنا بين ما جاء في مقدمة ابن خلدون من تحاشي الجيوش الإسلامية في عهودها الأولى استعمال الطبول وبين ما يذكره أبو الفرج الأصفهاني من ظهور النوبة العسكرية في العصر العباسي الثالث يكننا الجزم بأنها أخذت مكانتها الرسمية في هذا العصر الأخير .وق سميت بالنوبة لقيامها بالعزفأثناء فترات معينة ن اليوم أمام دار الخلافة فيقال هذه نوبة الصباح وهذه نوبة العصر .

وقد كانت متركبة من خمسة عازفين وخاصة بمراسم الخلافة ثم منحها الطائع في القرن الرابع الهجري ، العاشر ميلادي لوزرائه ، وجعلها تتركب لذلك م ثلاثة عازفين فقط .

ثم تفت الليفة القادر وسمح أن تكون خماسية لوزرائه وللسلاطي باعتبارهم يمثلون الليفة في مناطقهم ولكن تصبح ثلاثية عندما تعزف لهم بعاصمة الخلافة .

والمعروف أن هذه الموسيقى استعملت في الأندلس وفي المغرب العربيحيث يذكر الري غرف الأبواق للخلفاء واحتفاظ الموحدين بالطبول للولاتكما يذكر ابن خلدون اندماج الموسيقيين العسكريين مع حاملي اللواء في الجيش الإسلامي .

وقد تطورت هذه الموسيقى بتطور الجيوش الإسلامية ودخلت الأقطار التي فتحتها هذه الجيوش إلى أن دخلت أوروبا بواسطة " الطبلة " " خانة أو طبل الباشا " التي رافقت الجيش العثماني وخلفت أثرها هنالك سواء في المقامات أو الإيقاعات أو حتى الآلات حيث أخذت الزرنة عن هذه الفرق وبقيت مستعملة حتى الآن في البلقان وطورتها الأقطار الأوروبية الأخرى وأخرجت منها الآلة المعروفة " بالأوبوا " التي تمكنت من الدخول في الأركستر السمفوني .

وبعد النهضة العسكرية في مختلف الأقطار العربية أسست فرق موسيقية على الطريقة الغربية زاحمت طبل الباشا ثم احتلت مكانه وانطلقت هذه الفرق في المشرق والمغرب تعزف قطعاً من التراث التقليدي عن رؤية حيث عزفت المقامات التي تلائمها .

وقام جمع من المؤلفين الموسيقيين بإنتاج قطع خاصة لهذه الفرق أغلبها في شكل مسيرات راعوا فيها إمكانية الآلات المستعملة وأدخلوا عليها شيئاً من توافق الأصوات بقدر لا يغير من طابعها العربي .

علينا الآن بمواصلة الجهد في هذا الميدان بإنتاج عدد كبير من القطع الخاصة مع العمل على تنويعها حتى يصبح لهذه الفرق المعروفة الآن بالنحاسية برنامج مستقل عن الفرق الوترية . ويمكننا أن ننتقي لها قطعاً من التراث من المقامات التي لا تشتمل إلا على الدرجات وأنصافها ليصبح لها أداؤها وقد أجرينا في ذلك تجربة بتونس مع فرق الجيش والأمن والفرق الشعبية التي أصبح عددها يناهز السبعين تتلخص في مد هذه الفرق كل سنة بقطع جديدة نحاسبها على تطبيقها في المباراة القومية التي تجري بينها كل سنة كما شجعنا مسئوليها على الإنتاج

المركز وهكذا أخذت هذه الفرق في تكوين برنامج لها روعيت فيه القواعد والذوق .

هذه لمحة عابرة عن النشيد الوطني والأغنية والموسيقى السياسية في البلاد العربية . ويظهر لي أنه لا يكفي أن تكون لنا فرق للموسيقى النحاسية وأناشيد وطنية يرتبط أغلبها بمناسبات يسجلها المطربون والفرق وينزعونها في باب الأستوديو كما أن الجمهور إذا ما بثت له هذه القطع يتحول في الغالب بجهازه إلى إذاعات أخرى للبحث عن الغذاء الغني الذي تعلق به وأصبح لا يقبل سواه .

إن جمهورنا ميال إلى الغناء دون الموسيقى وفي ذلك يبحث عن كلمات وموسيقى ارتبطت بوجدانه وإحساسه الذي ورثه عن الأجداد .

وقد تعودنا الاستماع إلى الأغاني ولا نحكم عليها إلا بمدى اقترابها من التراث القديم أو بما ارتبطت لدينا بذكريات الشباب . وهكذا نجد كل جيل منا ميالاً إلى القطع التي استمع إليها في شبابه وينتقدموسيقى الجيل الصاعد ويعتبرها مخالفة للذوق السليم .

وفي رأيي أن أحسن تعبير عن هذه الظاهرة الخطيرة هو تسمية التراث التقليدي في تونس " بالمألوف " فنحن جميعاً ميالون لمألوف وما عدا ذلك نعتبره خطأ لا وزن له ولا قيمة .

فالمستمع العربي إذا ما عرضت عليه قطع في تراكيب غير مألوفة لديه يرميها بالخطأ والنشاز بينما المستمع الغربي يجيب في هذه الحال بأنه لم يتوصل إلى فهم ما عرض عليه وفي ذلك اعتراف بنقصه واعتبار للمنتج المجدد .

علينا حينئذ بتربية ذوق الشباب على أساس يتفتح به إلى كل تجديد مع الحفاظ على تقاليده وأصالته والكثير من الشعوب الغربية تجمعت فيهم النزعتان معاً ولم يمس ذلك من تقدمهم العلمي والفني والاجتماعي .

ففي وجود هاتين النزعتين ضمان للحفاظ على الشخصية وللتطلع لما يتماشى مع ناموس التطور .

إن مجهوداً كبيراً يبذل في أغلب الإذاعات لتغيير مواضيع الأغاني فهذه تركزت على التعريف بالبلدان والأخرى على حب الوالدين والثالثة على الإنتاج الصناعي . . . إلخ فهو عامل مهم جداً ولكن لا بد من تعزيزه بإنتاج موسيقي خال من الكلمات يتركز على الوصف أو إبراز براعة العازفين ندخله في برامج الإذاعات ونخصص له مكاناً مناسباً في الحفلات العمومية يتوسع شيئاً فشيئاً إلى أن نفرد لهذه القطع حفلات خاصة ليتعود الجمهور على استعمال العقل عند استماعه للغناء والموسيقى .

وبذلك يكون الموسيقيون قد ساهموا بقسطهم في بناء السلوك العربي الجديد الذي يحافظ على العاطفة التي نعتز بها وقد أخذت تتقلص من العالم الغربي بما ينذر بتفكك الأسرة ، ويعطي جانباً هاماً للعقل في تدبير الأمور لإعطائها الوزن الذي تستحقه .

ثامناً
الإقطاع والفكر السياسي
فى أوربا العصور الوسطى

الإقطاع فى أوربا العصور الوسطى

مصطلح إقطاع :

يبدو أن الكلمة الإنجليزية الإقطاع Feudalism وكذلك الكلمة المرادفة لها فى اللغة الفرنسية لم يكن لهما وجود من ناحية الاستعمال حتى أواخر القرن الثامن عشر بعد إن وجهت ثورة ٧٨٩ م الاهتمام العلمى إلى بعض الخصائص المبارزة لنظام الحكم فى العهد السابق على قيام الثورة . ومنذ ذلك الحين أصبحت كلمة " إقطاع " و " النظام الإقطاعى "

وما شابه ذلك جزءاً من المفردات التى استخدمها المؤرخ العادى ، لأن مثل تلك التعبيرات كانت متداولة عندما يريد الإشارة إلى العلاقة المعقدة فى العصور المنصرمة ، وعلى أية حال فقد قام الكتاب فى العصر الحديث باللجوء إلى استعمال كلمة إقطاع والبعض الآخر يقول النظامى الإقطاعى . وظل الوصف غامضاً بالنسبة لكثير من الكتاب إلى حد بعيد ، وقد أدى ذلك الغموض إلى الكشف عن أطوار الإقطاع فى تاريخ كثير من الشعوب المختلفة بداية من قدماء المصريين حتى الوصول إلى الشعب اليابانى فى القرن الماضى .

على أن المقارنة الاجتماعية لهذا النوع ليس لها مكان فى الوصف التالى مهما كانت مفيدة ، والهدف الحالى هو تفسير المؤسسات الاجتماعية التى جعلت رجال العصور الوسطى يبتكرون مصطلح " إقطاعى " بقدر ما تسمح المصادر بذلك . [١]

نشأة النظام الإقطاعى ونموه :

ظهرت بذور النظام الإقطاعى فى أوربا العصور الوسطى فى مملكة الفرنجة الميروفنجين فى القرن الثامن الميلادى . ففى تلك الأثناء طفحت تلك المملكة بالفوضى والاضطراب ، ولعل السبب الأساسى لهذه الفوضى يرجع إلى ما وقع من العداوات بين الأسرات الحاكمة ، والتى نبعت من العرف الذى يقضى بأن يقتسم الإرث أولاد الملك عند وفاته ، فنشأت بذلك ممالك أو ستراسيا ونوستريا وبرجنديا ، يضاف إلى هذا العامل ما حدث من المنازعات بين الفئات الأرستقراطية فى الأقاليم ، من اجل السلطة والنفوذ ، وزاد الأمر سوءاً أن الحكومة لم يكن بوسعها أن توطد الأمن والسلام ، وتكفل الطمأنينة للسكان نظراً لأن النظام الإدارى كان بسيطاً وساذجاً ، ولم يكن للموظفين من الدراية والخبرة بأعمال الحكومة ، ما يصح الاطمئنان إليهم ، ونتيجة لذلك لجأ الأهالى إلى أقرب قوة محلية تستطيع حمايتهم والدفاع عنهم .

والواقع أن تاريخ دولة الفرنجة فى غاليا يكشف عن كثير من العادات والتقاليد التى يمكن تسميتها إقطاعية ، والتى تعتبر جذوراً للنظام الإقطاعى ، ذلك أن محاربى الفرنجة كانوا من المشاة بوجه عام وإن اعتاد الملوك والنبلاء أن يمتطوا صهوة جيادهم فى وقت الحرب ، واستمر الوضع على ذلك حتى حاول سارل مارتل أن يتوسع فى نظام الفرسان ليجعل جيشه قوة فعالة فى ميدان الحرب ، وعندئذ اكتشف أن تعميم هذا النظام يتطلب منه نفقات ضخمة لإعداد ما يحتاج إليه الفارس من حصان ودرع وسلاح ، فضلاً عن هذا النوع من الفرسان يجب أن يتوافر لهم مورد يعيشون عليه حتى يتفرغوا لشئون الحرب والقتال . ولما كانت موارد دولة الفرنجة محدودة فى القرن الثامن بحيث لا تفى بكل هذه المطالب ، فإن شارل مارتل لجأ إلى حل يتفق وتقاليد ذلك العصر فسجل أسماء المحاربين

وجعلهم يقسمون لـه يمين التبعية والولاء ، ثم أعطى كلاً منهم إقطاعاً يكفى لسد مطالب معيشته على أن يبقى هذا الإقطاع فى حوزته مادام يقوم بالخدمة العسكرية ، والمهم فى أمر هذا التنظيم الذى وضعه شال مارتل لجيشه والذى سار عليه بيبين القصير ثم شارلمان ، أنه قام على أساس إقطاعى واضح .

ونظراً لأن الكنيسة فى مملكة الفرنجة امتلكت مساحات كبيرة من الأراضى يتولى زراعتها مستأجرون أرغمها شارل مارتل على أن تمنح أراضيها إقطاعات لجنده الذين حلفوا يمين الإخلاص وبذلوا له الولاء ووعدوا بأن يخدموه طوال حياته ، ونظراً لأن الدولة لازالت تهددها الأخطار الخارجية لم تستطيع الكنيسة أن تسترد ما لها من الأراضى ، بل بقيت فى أيدى الحاكم ، سواء كان حاجب البلاط أو الملك يمنحها لأتباعه لاستغلالها مدى الحياة ولا يؤدى التابع خراجاً بل يؤدى ما هو مقرر عليه من خدمة .

وأسهمت عوامل عديدة فى نمو النظام الإقطاعى وانتشاره فى غرب أوروبا فى القرن التاسع الميلادى وأول هذه العوامل الحروب العنيفة التى قامت بين لويس التقى (ت ٨٤٠م) – ابن شارلمان – وخلفائه كانت وحدها كافية لإثارة الفوضى والاضطرابات الداخلية ، ثم جاءت الأخطار الخارجية لتزيد من الفوضى والاضطراب الشامل ، إذا أغار الفيكنج المتبربرون على سواحل فرنسا وتعرضت البلاد لغارات المجريين القادمين من سهول المجر ، بينما احتل المسلمون دلتا نهر الرون ، ولم تجد القرى والمدن والمؤسسات الدينية حكومة قادرة على حفظ الأمن وحماية البلاد من الأعداء فى الخارج .

وفـى هـذه الأوضـاع الصـعبة أخـذ الملـوك وكبـار الأمـراء والنـبلاء وملاك الأراضى يبحثون عن أتباع مسلحين يساعدونهم فى التغلب على ما واجههم من أخطار ، وبمعنى آخر لجأ كل من يمتلك أرضاً أكثر من حاجته وحاجة أسرته إلى منح هذه الزيادة على هيئـة إقطاعات لأتباعه لـه ، أما صغار ملاك الأراضى فقد دفعتهم الفوضى الشاملة التـى تعرض لها الغرب الأوروبـى فـى القرن التاسـع إلـى الـدخول فـى حمايـة مـن هـم أقـوى مـنهم وأقدر على الدفاع عنهم ، فيسلم المالك الصغير أرضه لسيد قوى مجاور لـه ، ثم يعود فيتسلمها منـه كإقطـاع ، وبـذلك يصبح فصـلاص أو تابعاً إقطاعياً لـه ، وكان يحتفل عادة بقيام علاقة إقطاعية بين سيد وفصله فى حفل بسيط فيركع الفصل أمام سيده الإقطاعى ويضـع يده بين يديه ، ثم يقسم أن يظل تابعاً أميناً لـه ويؤدى كافة الخدمات والالتزامات الإقطاعية المتنوعة المفروضة على الإقطاع ويسمى هذا القسم " يمين الإخلاص " ومـن أيمـان الإخـلاص التـى ترجـع إلـى عصـر شـالرلمان تلـك التـى أخـذها شارلمان سنة ٨٠٢م على رعاياه ونصها : " أعد أن أكون فى إخلاصى للسيد شارل أتقى الأباطرة وابن الملك بيبين والملكة برتا ، مثلما ينبغى على التابع أن يكون لسيده فى المحافظة على مملكته وحقوقه ، وسوف أوفى بهذه اليمين منذئذ بفضل الله خالق السماوات والأرض والمقدسات الدينية " . وبعد ذلك يناول السيد الإقطاعى تابعه حفنة من التراب إشارة إلى أنه سلمه الإقطاع فعلاً ، كما يسلم لفصله علماً وعكازاً وبراءة تثبت أوصـاف الأرض الممنوحـة ومسـاحتها وتسـمى هـذه العمليـة التقليـد Investitura .

وفـى القـرن العاشـر المـيلادى أخـذ التنظـيم الإقطـاعى فـى الغـرب الأوروبـى فـى القرن العاشر الميلادى صورة الهرم الإقطاعى اتخذ الملك

قمة الهرم باعتباره سيد البلاد ، ثم تلاه أتباعه المباشرون الذين لم يكونوا إلا فئة قليلة من الدوقات والكونتات ، ولهؤلاء بدورهم أتباع ثم يتلو هذه الفئة أتباع أتباع الأتباع ، وفى أسفل الهرم استقر الفارس الذى توافر له من الأرض والعمل ما يكفل العيش والغذاء له ولأسرته وخيله ، وهنا نلاحظ أنه لم يكن يقلل من شأن الفرد أن يصير فصلاً لغيره لأن هذا الفصل كان بدوره سيداً لمن هو أصغر منه فى الدرجة ، كذلك فإن هذه التبعية الإقطاعية تعنى أن صاحبها صار عضواً فى طبقة المحاربين التى اتصف أعضاؤها بالشجاعة والكرم والمروءة ، وهى الصفات التى عرف بها فرسان العصور الوسطى

وقد بلغ النظام الإقطاعى دور النضج والكمال فى القرنين الحادى عشر والثانى عشر عندما تلاشت الحكومات المركزية فى الغرب الأوروبى ، وعندما تحول ولاء الجماعات من تلك الحكومات إلى بعض السادة المحليين الذين أسسوا أسرات إقطاعية كبيرة ترجع أصولها إلى عصور النمو الإقطاعى ، وعندما أصبح امتلاك الأرض مقترناً بحق الحكم للسيد الإقطاعى فكان أن نشأت بين السيد والتابع علاقة قوامها جملة من التعهدات والالتزامات المتبادلة بينهما ، تلك العلاقة التى أصبحت القاعدة التى سارت على مقتضاها أمور الحكم والأمن التى تتطلبها الحياة فى ذلك المجتمع الجديد والخلاصة أن الحكومة المحلية حلت محل الحكومة الملكية المركزية وأمست الحكومة السائدة فى طول البلاد وعرضها . وقد وصف أحد المؤرخين الفرنسيين المحدثين ويدعى جيرارد **Guerard** المجتمع الإقطاعى فى دور نضجه وتمامه ، فقال : " إن الأرض كانت

أساس المجتمع ، ومن كان يمتلك أرضاً صارت له بالتبعية أحقية فى السلطة " . [٢]

التشريع الإقطاعى :

كان للبارون جميع الحقوق القضائية في إقطاعه ، ولا يستطيع الملك أن يتدخل في شؤون الإقطاعية دون موافقة البارون ، كما كان البارون بدوره لا يستطيع أن يتدخل في أرض تابع له دون موافقة هذا التابع . ومن هنا نشأت جميع تشريعات الإقطاع ، وعلى ذلك فالتابع كان من حقه التشريع ، وللبارون أيضاً ، والملك ، إذا ما وافق البارون والتابع على تشريعات الملك ، أو وافق التابع على تشريعات البارون . واستناداً إلى هذا المبدأ العام قامت جميع التشريعات الإقطاعية الخارجة عن صميم سلطة التابع في صورة قانون يصدر عن محكمة السيد الأعلى بموافقة أتباعه صراحة أو ضمناً ، ويلاحظ أن الهيئات التشريعية لم تكن من الناحية التاريخية وليدة اجتماعات إقطاعية فحسب ، بل كانت بقايا مجالس شعبية أقدم منها .

وكان العرف والقانون في نظام الحكم الإقطاعي شيئاً واحد ، وعندما تعقد المحكمة وكاد قضاتها عادة من الأميين وثارت قضية ما ووجب على القضاة تحديد نرع العقوبة يسأل القضاة أكبر الأعضاء سناً عما اتبع في مثل هده الحالة من قبل ، فان وجد مثال لذلك طبقه القضاة ، وفي حالة عدم وجود سابقة استمع القضاة لأوامر الملك أو الشريف ولهم أن يوافقوا عليها أو يعترضوا ، وليس معنى ذلك خلو أوروبا العصور الوسطى من القوانين فقد كانت بعض الأماكن تطبق القوانين الرومانية الموروثة مثلما حدث فى جنوب فرنسا .

وفي شمال فرنسا حيث كان الفرنجة وذروة الإقطاع سارت شرائع الفرنجة القديمة . وتطلب توحيد القوانين في دولة ما صراع كبير بين الطبقات حتى توصلت إنجلترا على سبيل المثالى في عام ١٢٩٥ م عندما عقد البرلمان المثالي وقرر مبدأ في غاية الأهمية وهو أن ما يمس الناس جميعاً يجب أن يوافقوا عليه جميعاً .

ولما كانت الأرض عماد النظام الإقطاعي ، فقد كان القانون الإقطاعي قاسياً في عقاب من يعتدون على حقوق هذه الأرض . ومن هذه العقوبات ما كان في ألمانيا ما ينص على عقاب من يزيل لحاء إحدى أشجار الصفصاف التي تمسك أحد الجسور ، بشق بطنه ونزع أمعاءه ووضعها مكان اللحاء ، وظل في وستفاليا حتى منتصف القرن الخامس عشر الميلادي قانوناً يقضي بان يدفن في الأرض كل من يزيل أحد معالم حدود الأرض ويجرى حرث الأرض وللرجل الدفين إنقاذ نفسه إذا أمكن .

وكانت محاكم القرى تنظر في القضايا التي تقام بين مستأجر وآخر ، أو بين السيد الإقطاعي والمستأجر . أما القضايا التي كانت تقع بين السيد الإقطاعي وتابع له (فصل) أو بين سيد إقطاعي وأخر فقد كانت تعرض على محلفين لا يقلون منزلة عن مقدم الشكوى . وإذا ما جري استئناف قضية فكانت تنظر أمام محكمة الملك المكونة من الأعيان . وإذا ما خسر أحد الشاكين قضيته فكان يعاقب بنفس العقوبة التى كان من المفروض أن تقع على الخصم إذا ما كسب القضية . أما القضايا الخاصة برجال الدين فكانت تنظر في محاكم الأسقفيات أو محاكم الأديرة .

وتعددت العقوبات في المجتمع وكانت قاسية كقسوة الإقطاع ونظمه فكان منها التحكيم الإلهى والاقتتال أو المبارزة والسجن والصلب

والرجم والجلوس على كرسى الاعتراف والعمل بالسخرة فى السفن وبتر الأعضاء والتفى وقطع الرأس .

وكان التحكيم الإلهى من العقوبات التى استمرت طوال عهد الإقطاع تقريباً ومن التحكيم الإلهى مرور المتهم وسط كتلة من النيران فإن مر بسلام كان بريئاً ، أو يربط المتهم فى كرسى ويلقى به فى أحد الأنهار فإن نجا وخلص نفسه كان بريئاً واستجد الاختبار بالحديد المحمى للمارقين على الدين فإذا أمسك المتهم بقطعة من الحديد المحمى وأصيب كان متهماً ويعاقب بالحرق ، ولكن الناس كرهت مثل هذه العقوبة وبموجب قرارات مجلى اللاتيران الكنسى Lateran Council الذى عقد فى روما عام ١٢١٥م تحت رئاسة البابا أنوسنت الثالث Innocent III (١١٩٨ –١٢١٦م) ألغى هذا العقاب وعملت بذلك إنجلترا منذ عام ١٢١٩ ، ولكنه ظل فى أجزاء متفرقة فى أوروبا حتى القرن السادس عشر ومن الذين عوقبوا بهذا التحكيم عام ١٤٩م الراهب والمصلح الدينى الإيطالى سافونارولا Savonarola الذى شن حملة على الفساد الأخلاقى الذى ساد الكنيسة الأوروبية فى عصره .

والاقتتال أو المبارزة عادة جرمانية قديمة ولكنها سادت العصر الإقطاعى وقد ظلت هذه العادة فى إنجلترا النورماندية وكان الاقتتال أو المبارزة تتم بالسيف على ظهور الخيل أو على الأرض ، وربما تكسرت السيوف وقتلت الخيول أو فقداها المتبارزان فيتم الاقتتال بالأيدى ربما حتى الموت ، وفى مرحلة متقدمة من العصور الوسطى فرضت القيود على هذه العادة وذلك بالحصول على موافقة المدعى عليه ، وكان من حق المدعى عليه أن يرفض المبارزة إذا أثبت أنه لم يكن فى مكان الجريمة وقت

وقوعها ، ولم يكن بوسع أحد أن يبارز إلا فرداً مساوياً لـه فى مرتبته ، مع إعفاء المرضى وأصحاب العاهات من المبارزة ، وكان من حق المحكمة المعينة أن تمنع أية مبارزة ، وجرت العادة أيضاً اختيار البعض لأشخاص غيرهم ليبارزوا بدلاً منهم وكان هؤلاء البدلاء من الأبطال المأجورين .

وكان هؤلاء المأجورين يعلنون بأنهم على استعداد للمبارزة بدلاً من الآخرين بعد إلقاء القفاز على الأرض ولما كان هذا التحول يحط من شأن المحاكمة نفسها لأن شخصية المبارزين أصبح لا علاقة لها بالقضية نفسها فقد حرم البابا أنوسنت الثالث فى مجلس اللاتيران الكنسى هذه العادة التى ترجع فى أصولها إلى حق الناس فى الثأر لأنفسهم بعيداً عن القانون فربما يقتل إنسان فى هذه المبارزة بسبب شئ تافه يستحق الغرامة وإن تعددت شكل الغرامات فى هذه المرحلة .

وكان السجن من العقوبات المتبعة فى العصور الوسطى ورغم أن السجن نفسه كان عذاباً للمسجون لما فى السجن من حشرات ، فقد كان السجن أيضاً يتم لعزل المتخاصمين ، واستخدم الصلب للرجال والنساء وكان الصلب يتم فى أحد الساحات حتى يكون المصلوب هدفاً لسخرية الناس من المذنبين ومن العقوبات المتعلقة بالسخرية أيضاً رجم المجرم بالحجارة أو بالطعام الفاسد إذا كان جرمه أقل .

واستخدم كرس الاعتراف فى بعض الجرائم خاصة للنساء الساقطات أو الثرثارين أو أصحاب الشائعات ، وفى مثل هذه الحالات كان المذنب يربط فى كرسى ثم يلقى بالكرسى والمذنب معاً فى مجرى أحد الأنهار أو البحيرات أو برك الماء فإذا استطاع أن ينجو بنفسه كان بريئاً .

واستفاد مجتمع الإقطاع من المذنبين الأصحاء الأشرار فقد كان يحكم عليهم بالعمل فى السفن حيث يرغمون على التجديف وهم عراة ، فإذا توقفوا كان الجلد بالسوط أو الضرب بالعصا عقاباً لهم .

وكان بتر الأعضاء من العقوبات المألوفة فى المجتمع الإقطاعى ، فكان قطع اليدين أو القدمين أو صلم الأذن أو جدع الأنف أو سمل العينين من الوسائل التى استخدمت لعقاب المجرمين ليكون المجرم عبرة للآخرين .

وبالإضافة إلى ذلك فقد كان الكى بالنار برمز ما يدل على اقتراف الفرد على جريمة ما ، كما استخدم حرق اللسان والعقاب بالنفى فى جريمة القتل أو السرقة ، أو الشنق أو قطع الرأس ، أو دفن المذنب حياً . ورغم أن الكنيسة كانت تدعو للرأفة بالمذنبين إلا أنها طبقت العقوبات نفسها إذا وقعت فى دائرتها ، ومن ذلك أن محكمة أحد الأديرة عاقبت سبع نساء بالدفن وهن أحياء مقابل جريمة السرقة ، وكان أشد العقوبات فى العصور الوسطى هى التى أنزلتها الكنيسة بما سمتهم الخارجين على الكنيسة . (٣)

طبقات المجتمع الأوروبى فى ظل النظام الإقطاعى :

بعد أن وضع النظام الإقطاعى بصماته على الغرب الأوربى فى القرن التاسع ، انقسم المجتمع إلى ثلاث طبقات مختلفة كل الاختلاف : الأولى طبقة المحاربين من النبلاء والفرسان ، والثانية طبقة رجال الدين ، والثالثة طبقة الفلاحين . وقد عبر أحد المعاصرين عن طبيعة ذلك المجتمع وطبقاته قائلاً : " بيت الله مثلث : البعض يقاتل ، والبعض يصلى ، والبعض يعمل " ، والمقصود بذلك القول أن قائله شبه العالم بأنه بيت

الله ، دلالـة علـى النزعـة الدينيـة وقوتهـا فـى العصـور الوسـطى ، وأن هـذا البيت يتكون من طبقات ثلاثة هى : طبقة المحاربين أو الفرسان ، وطبقة المصلين أو رجال الدين ، وطبقة العاملين فى الأرض من فلاحين وغيرهم . وكان لكل طبقة من الطبقات الثلاثة مكانتها ووظيفتها فى ظل النظام الإقطاعى ، فطبقة النبلاء والفرسان تولت شئون الحكم والحرب ، وطبقة رجال الدين اهتمت بإرشاد الناس إلى الطريق الصحيح وهدايتهم وتطهيرهم من الآثار ، أما الطبقة الثالثة وهى طبقة الفلاحين ، فهى تمثل جموع الكادحين المغلوبين على أمرهم ، ووظيفتها سد مطالب الطبقتين السابقتين ، وسنتناول الحديث عن كل طبقة على حدة .

أ – طبقة المحاربين من النبلاء والفرسان :

اشتملت هذه الطبقة على النبلاء والفرسان ، الذين ولدوا أحراراً ، واكتسبوا صفات النبل بالوراثة ، إذ كان من الصعب أن يستطيع رجل وضيع المولد أن يصير صاحب إقطاع ولو كان حراً ، وقد جرت العادة أن ابن النبيل متى بلغ السابعة أو الثامنة من عمره تقرر إرساله بعيداً عن أبويه لكى ينشأ ويتربى فى دار سيد إقطاعى آخر ، هو فى معظم الأحوال السيد الإقطاعى للأب ، أو أقرب الناس إليه فيتعلم الصبى منذئذ الاهتمام بأدوات الحرب الدروع وخيول الحرب ويتدرب عليها فيمارس الحياة الخشنة التى تعتبر خير وسيلة لإعداده فارساً ، فإذا ثبت أنه أضحى مستعداً لأن يتخذ موضعه فى المعركة ويجرى ذلك عادة حين يبلغ العشرين أو الحادية والعشرين من عمره تقر تنصيبه فارساً بأسلحته فى احتفال مهيب ، بأن يركع أمام السيد الإقطاعى ويتلقى ضربة رمزية خفيفة من صفحة السيف تقع على الكتف ، وهذا الإجراء هو المعروف " بتنصيب الفارس " .

وارتبط الفارس Knight بعد تنصيبه بالالتزام بطابع معين فى سلوكه وأخلاقه ، سواء فى حربه أو فى معاملته مع الناس وهو ما اصطلح على تسميته باسم " تقاليد الفروسية " ، فينبغى عليه أن يكون شجاعاً لدرجة المجازفة ، لا يلجأ إلى الخديعة أو الأساليب الدنيئة للتغلب على خصمه وإذا حدث أن أحرز النصر على خصمه عامله معاملة كريمة ، وعليه التمسك بالوفاء بالعهد واحترام المرأة وحب الشرف والنزاهة .

أما عن الملبس فقد أعطانا مطرز بايو Bayeux Tapestry وأنشودة رولان Song of Roland قسطاً وافراً من المعلومات عن التجهيزات الحربية للفارس فى القرن الحادى عشر الميلادى ، ففى الجزء الأول من جسم الفارس المحارب ، ألقيناه مرتدياً صدرة مزردة Hauberk بلا أكمام تتألف من حلقات معدنة مركبة على أرضية من الجلد ، وروعى فيها أن تكون مشقوقة طولياً من أسفلها – من أمام وخلف – حتى لا تعوق الفارس عن امتطاء فرسه ، وكان الفارس يضع على رأسه خوذة حديدية مخروطية الشكل من الصلب لها قضيب معدنى عمودى فى المقدمة ، يعمل على حمايته من ضربات سيف خصمه ، ثم الدرع وهو مستطيل الشكل ينبغى أن يحمله الفارس فى يده اليسرى ليصد به الطعنات والقذائف فضلاً عن تغطيته من رقبته حتى ركبة ساقه اليسرى ، ولما كانت تلك الملابس ثقيلة فضلاً عن الأسلحة التى استخدمها فى الهجوم مثل السيف والحربة والبلطة ، فإن كل فارس استخدم تابعاً يعرف باسم Esquire اقتصرت مهمته على مساعدة الفارس على ارتداء ملابس الحرب وحمل درعه وسلاحه حتى يمتطى صهوة جواده .

ويمضـــى الفـــارس معظـــم وقتـــه فـــى القتـــال ومعالجـــة الأسـلحة وممارسـة الصـيد ، وفـى حيـاة السـلم التـى كانـت تعنـى البطالـة بالنسـبة للفرسـان أقـام أمـراء الإقطـاع معـارك غيـر حقيقيـة اتخـذ اسـم المنـازلات أو المبـارزات Tournements ، وهـى مبـارزات استعراضـية الغـرض منهـا تجهيـز الفرسـان أنفسـهم بالسـلاح ، وحـرص المتبارزين على إظهار مهارتهم وبراعتهم دون إراقة قطرة دم واحدة .

واهتم نساء الطبقة الإقطاعية بممارسة الغزل والنسيج والحياكة ، والإشـراف العـام علـى دار السـيد الإقطـاعى ، ومـن حـق المـرأة أن تـرث الإقطاع غير أنها لا تديره إلا عن طريق زوجها ، ومع ذلك فإن الزوجة تعتبر سيدة القلعة والإقطاع فى حالة غياب الزوج ، فيتحتم على أتباعه وموظفيه وخدامه أن يطيعوها .

ومـن الواضـح أن كـل فـارس اعتـد بنفسـه واعتـز بشخصـيته ، وحرص على أن يكون زميلاً وحليفاً للسيد الإقطاعى أكثر منه مرؤساً لـه ، ونظراً لما تمتع به الفرسان من مكانة هامة فى المجتمع الإقطاعى ، فقد نظروا إلى الملك – وهو قمة الهرم الإقطاعى – على أنه واحد منهم وبعبارة أخرى صار الملك على حد تعبير العصور الوسطى " أول الأسوياء " أو ألو الأنـداد المتسـاويين Primus inter Pares وقد خلقت هذه المساواة روحاً من المودة والإخلاص بين أفراد طبقة الفرسان ، وقضت على كثير من أسباب الفرقة بينهم .

أمـا الحصـون والقـلاع التـى بناهـا السـادة الإقطـاعيون فـى غـرب أوروبا فهى تلقى الضوء على النظام الإقطاعى ، فمن المعروف أن كلمة Castle الإنجليزيـة ، ومرادفهـا Chateau الفرنسـية و Burg الألمانيـة

مستقلة من المصطلح الفرنسى القديم Castel ومن اللاتينية Castellum ، أى قلعة أو حصن ، وكانت القلعة الكبيرة فى أواخر عهد الإمبراطورية الرومانية عبارة عن معسكر مبنى بالحجارة تقيم فيه الحامية ومساحته حوالى ٥٠ فداناً ، فى حين أن القلعة الصغيرة كانت تبلغ مساحتها حوالى عشرة أفدنة وكانت القلعة فى فترة العصور الوسطى المبكرة عبارة عن قطعة من الأرض تبلغ مساحتها حوالى ٣٠ فداناً يحيط بها خندق ومجموعة من المتاريس وسور من أوتاد خشبية ، وكان هذا البناء يصلح لإقامة السيد الإقطاعى ، وفى نفس الوقت ملاذاً يفر إليه الأهالى هرباً من غارات الفيكنج والمجرمين . وفى القرن العاشر شيدت الحصون من كتل حجرية ضخمة كى تستطيع تحمل معارك الهدم خلال فترات الحصار التى يفرضها الأعداء . وقد اشتمل الطابق الأسفل من الحصن على الآبار ومخازن الطعام والأسلحة فضىً عن المواشى والدواجن ، فى حين أقام السيد الإقطاعى وأسرته فى الطابق الأوسط ، وفى هذا الطابق وجدت قاعة فسيحة للاجتماع بالإضافة إلى غرف صغيرة ، وفى القاعة الفسيحة كان السيد الإقطاعى يجتمع مع أفصاله للنظر فى أحوالهم أو التشاور من أجل مشروع حربى .

أما السهرات التى كان السيد الإقطاعى يقضيها بعيداً عن الحرب وشئون الحكم والإدارة ، فأهمها الصيد وإقامة الولائم وتعاطى الشراب ولعب الميسر والشطرنج والاستماع إلى الرواة والقصاصين وإلى الأغانى ومشاهد التمثيليات الدينية . واعتمد المغنون والمؤلفون فى حياتهم على سخاء السادة الإقطاعيين ، ولذلك فإن الكرم صار فى قصصهم الفضيلة الأساسية عند الفرسان .

ب- طبقة رجال الدين :

اشتملت هذه الطبقة على رجال الكنيسة المسيحية التى تزعمها البابا ، ومن المعروف أن الكنيسة فى العصور الوسطى تمتعت بنفوذ مستقل عن السلطة الدنيوية ، فالبابا فضاً عن كونه نائب المسيح عليه السلام ، فإنه أيضاً خليفة القديس بطرس فى كرسيه الأسقفى بروما ، وقد نمت البابوية فى أوائل العصور الوسطى حتى جاء سقوط الإمبراطورية الرومانية فى القرن الخامس الميلادى ليجعل من البابوية القوة الوحيدة فى غرب أوربا ، ومن أجل الاعتراف بسمو الكنيسة وسيادتها دخلت فى صراع طويل ضد السلطة الزمنية مستخدمة فى سبيل تدعيم نفوذها سلاحين روحيين على جانب كبير من الأهمية ، أولها توقيع عقوبة الحرمان الفردى Excommunication أى القطع من رحمة الكنيسة ، فصار الفرد الذى توقع عليه العقوبة منبوذاً من المجتمع المسيحى ، ولا يصح لأحد التعامل معه أو الاقتراب منه . أما السلاح الثانى فهو عقوبة الحرمان الجماعى Interdict التى توقع على مجتمع بأكمله سواء كان هذا المجتمع مدينة أو إقليماً ، وفى هذه الحالة تغلق الكنيسة أبوابها فى الجهات المحرومة ، ومن ثم لا يجد الناس أحداً يقضى مصالحهم الدينية مثل التعميد والزواج وغيرها من الأمور المتعلقة بشئون الدين .

على أن جهاد الكنيسة فى سبيل تحقيق سموها جاء مرتبطاً بحركة أخرى داخلية غرضها تدعيم مركز البابا ونفوذه داخل الكنسية ، وقد نجحت البابوية بعد جهود مضنية فى إحكام قبضتها المطلقة على الكنيسة فى

غرب اوربا ومن ثم وصلت البابوية على عهد البابا إنوسنت الثالث (١١٨٩- ١٢١٦م) إلى مركز بالغ الرفعة وسيطرة نافذة على الهيئات الدينية وسياسة مرسومة ثابتة تجاه السلطة الزمنية ، ومن الملاحظ أن البابوية أخذت تنظم سياستها على سائر قوى المجتمع الأوروبى على أسس إقطاعية أشبه بما اتبعه رجال الإقطاع من طبقة الملوك والنبلاء فعاش الباباوات فى بلاط أشبه ببلاط الملوك والأباطرة ، ثم إنهم دأبوا على إرسال المندوبين البابويين Legati Missi من قبلهم إلى نواحى عديدة ، حيث يعقدون مجامع كنسية إقليمية ويفصلون فى القضايا التى تعرض أمامهم ، وكان للبابوية موارد مالية ضخمة فأملاكها الواسعة هيأت لها دخلاً ثابتاً ، كما أن المؤسسات الكنسية والديرية كانت ترسل نسبة ثابتة من جميع ممتلكاتها وإقطاعاتها إلى البابوية مقابل تمتعها بالحماية وازدادت أملاك الكنيسة نتيجة الهبات التى كانت تمنح لها فى صورة أراضى " من أجل خدمة الله " والتقرب إليه ، وهى إذا كانت معفاة من الضرائب والخدمات إلا أنها سرعان ما ارتبطت بالنظام الإقطاعى وأخذ الأساقفة يمارسون نفوذاً إقطاعياً عليها .

أما عن التنظيم الكنسى فقد كانت البابوية على رأسه كما رأينا ولها السيطرة التامة على جميع أعضاء الكنيسة ، ويأتى بعد البابا مجموعة الكرادلة الذين بدأت مهمتهم الأولى كمستشارين للبابوية ولكن لم يلبث أن أخذ نفوذهم فى الازدياد تدريجياً نتيجة لكثرة اختصاصاتهم ومهامهم ، وبفضل تنظيم طبقة رجال الدين انقسم العالم المسيحى فى غرب أوروبا إلى أسقفيات واسعة يرأس كل منها شخص يحمل لقب الأسقف وله حق الإشراف على شئون الكنيسة ورجال الدين فى أسقفيته ، وانقسمت كل أسقفية بدورها إلى أبرشيات بكل منها كنيسة يشرف عليها قس ، وتمتع

الأسقف فى أسقفية بحقوق قضائية وسلطات واسعة باعتباره نائباً عن البابا فى إقليمه ومسئولاً أمامه . هذا بالإضافة إلى أن الأساقفة صارت لهم ممتلكات واسعة من أراضى وعقار وغيرها أشبه بأفراد طبقة الفرسان ولهذا استلزم الأمر التفرقة بين وظيفة الأسقف الروحية وسلطته الزمنية .

وقد حاولت الكنيسة طوال الفترة التى تطور فيها النظام الإقطاعى أن تحد من الحروب الإقطاعية وأن تحول جهود الفرسان إلى ما اعتبرته سبلاً أكثر فائدة وأعم نفعاً ، وفى القرن الحادى عشر قررت الكنيسة ما يعرف بهدنة الله وسلام الله ، وهى الفترات التى يتحتم فيها تحريم القتال والراجح أنه استقر فى أذهان رجال الكنيسة فكرة تحويل نشاط الفرسان إلى قتال المسلمين ثم حدث فى القرن الثانى عشر أن أخذ الكتاب الكنسيون وأشهرهم حنا سالسبورى فى تنمية فكرة الكنيسة عن الفارس المثال بأن يكون مسيحياً تقياً غرضه الأساسى أن يحمى الكنيسة ويدافع عن عقيدتها ينكر الجرائم على اختلاف أنواعها ويرعى الضعفاء والعجزة .

ومن الجدير بالذكر أن طبقة رجال الدين تمتعت بميزة هامة انفردت بها ، فبينما ظلت طبقة النبلاء أو الفرسان مغلقة على نفسها لا تسمح لأحد لا ينتمى إلى شرف النبالة أن يتسلل إلى داخلها نجد أن أى فرد كائناً ما كان اكتسب تعلياً كنسياً كان له الحق فى الالتحاق بطبقة رجل الدين ، والارتقاء فى سلمها إلى أن يصل إلى أرقى المناصب الكنسية ، وهنا نلاحظ أن البعض من أبناء طبقة الفرسان آثر الانخراط فى سلك الكنيسة أو الرهبان . وأخيراً فإن طبقة رجال الدين كانت أملاً يسعى إليه كل وضيع تدفعه الرغبة فى التحرر من السيطرة الإقطاعية والتزاماتها الثقيلة .

جـ- طبقة الفلاحين :

كان الفلاحون أكثر عناصر السكان وأحطها قدراً فى غرب أوروبا فى العصور الوسطى وتكونت طبقتهم أصلاً من صغار الملاك الأحرار الذين اضطروا أمام الفوضى التى سادت غرب أوربا فى القرن التاسع الميلادى إلى التنازل عن أراضيهم إلى السادة الأقوياء من النبلاء والفرسان مقابل منحهم الأمن والطمأنينة ضد الأخطار الخارجية وكان أن أخذت أحوالهم فى التدهور تدريجياً نتيجة التصاقهم بالأرض وتفرغهم لفلاحتها حتى عرفوا باسم رقيق الأرض أو الأقنان Villein-Serfs ، ولكن دون أن يهبطوا إلى مستوى العبيد وقد سبق القول أن المجتمع الإقطاعى فى العصور الوسطى قام حول ثلاث شخصيات هام : الفارس المحارب ، ورجل الدين المتعبد ، والفلاح المزارع . وإذا كان الفرسان قد نالوا إقطاعيات من الأرض مقابل تأديتهم لواجباتهم الحربية ، ورجال الدين حصلوا بدورهم على بعض الأراضى مقابل تقديم الخدمات الدينية للناس وتطهيرهم من ذنوبهم فإن الأقنان هم الذين وقع عليهم الغرم كله بسبب وضعهم الاجتماعى المتدنى .

وقد ترتب على وضع القن الاجتماعى التزامات شديدة الوطأة تجاه سيده الإقطاعى فكان عليه الاشتغال أياماً معدودة من كل أسبوع فى مزرعة السيد الإقطاعى دون مقابل وأيضاً الإسهام فى حفر القنوات والخنادق أو شق الطرق وغير ذلك من أعمال السخرة التى أرهقت طبقة الأقنان وهناك ألوان من الاحتكارات خضع لها القن ، منها أنه يقوم بدفع الضرائب الباهظة التى يفرضها عليه سيده سواء نقداً أو عيناً . وكذلك يقوم القن بطحن غلته فى طاحونة سيده ، ولا يخبز عيشه إلا فى فرن سيده ولا

يستطيع أن يعصر كرومه وزيتونه إلا فى معصرة السيد ، وهذا كله مقابل أجر يحدده السيد الإقطاعى .

وفيما عدا الالتزامات السابقة امتد نفوذ السيد الإقطاعى إلى حياة القن الشخصية فلا يجوز له مثلاً الزواج أو تزويج إحدى بناته إلا بموافقة سيده ومقابل دفع مبلغ ميعن حتى صارت تبعية القن لسيده تبعية شخصية واقتصادية فى وقت واحد ، ولم تنته التزامات القن بوفاته فلا تنتقل حصته من الأرض إلى ورثته الذين يحلون محله فى الانتفاع بالأرض لا ملكيتها إلا بعد دفع ضريبة كانت فى الغالب فرساً أو ثوراً قوياً .

والواقع أن القن عاش ومات وهو يعانى شظف الحياة وبؤسها فطعامه الأساسى تألف من الخبز الأسمر والخضر العادية كاللفت والفول والبازلاء ، دون أن يطمع فى تناول اللحم والسمك إلا فى المناسبات السعيدة وقد عبر أحد المعاصرين فى القرن الثانى عشر عن القليل الذى يتناوله القن من طعام وشراب بأنه : " لم يشرب من نبيذ عنبه ، ولم يتذوق أيضاً فضله من طعام طيب ، ولكنه سعيداً للغاية لو أنه استطاع الاحتفاظ بخبزه الأسمر ، وبضع من الزبد الجبن .

على أن حياة القن لم تخل تماماً من التسلية فإذا حضر أحد المهرجين أو الممثلين إلى ضيعة سيده يجتمع الأقنان للاستمتاع بالتمثيليات الصامتة التى اشتملت على بعض المواقف المضحكة والواقع أن عقلية السيد الإقطاعى لم تختلف وقتئذ عن عقلية القن لضعف المستوى الثقافى العام فى المجتمع الإقطاعى

وعلى الرغم نمن الحالة السيئة التى وصل إليها القن فى ظل النظام الإقطاعى إلا أنه كان قانعاً بالبقاء فى كنف سيده الإقطاعى راضياً

بالحماية التى منحها لـه سيده فى عصر طفح بالفوضى والاضطرابات ، ثم كـان أن أخـذ نظـام الأقنـان فـى الانهيـار نتيجـة للتطـورات الاقتصـادية والاجتماعية التى بأت أوروبا فى اجتيازها منذ أواخر القرن الحادى عشر فالدعوة على الحروب الصليبية للاستيلاء على بيت المقدس فتحت الباب على مصراعيه أمام الألوف من الأقنان للاشتراك فى الحملة الصليبية الأولى ، وتحت هذه الذريعة كان الأمل يحدوهم فى إيجاد حظ أوفر فى مكان آخر ثم كانت نشأة المدن وتطورها التى لم تلبث أن مهدت الطريق أمام الأقنان للنزوح إلى المدن وهجرة الأرض التى ارتبطوا بها . (٤)

حالة الفلاح فى العصور الوسطى :

لقد تباينت آراء المؤرخين الغربيين الحديثين فى وصف حالة الفلاح فى غرب أوروبا فى العصور الوسطى تبايناً عجيباً وهناك رأيان على طرفى نقيض ، الرأى الأول يقول : أن الفلاح عاش عيشة طيبة فى تلك القرون العشرة التى تمثل المرحلة الوسيطة من تاريخ الإنسانية . أما الرأى المخالف : فيرى عكس ذلك على طول الخط ولذلك يتعين على الباحث مقارنة مختلفة الأصول ببعضها للوصول إلى أسلم النتائج قدر الاستطاعة ، لقد وجد الفريق الأول من المؤرخين أن مجمل ما أداة الفلاح من الحقوق والواجبات والمقررات المفروضة عليه لمختلف الجهات لم يكن مضنياً ، وأنه لم يطالب بما فوق طاقته من المكوس والضرائب ، وأن حالته الاقتصادية لم تكن مرهقة فى تلك العصور ، وعلل أنصار هذا الفريق بأن الفلاح تملك أرضاص طبقاً لنظام التبيعية الإقطاعية لم يكن من السهل انتزاعها منه أو طرده منها ، كما استطاع أن يعيش على محصـــــــــــــــــــول هـــــــــــــــــــذه

الأرض ، ولكن هذا الفريق يسئ أن الفلاح لم يكن أمامه سوى أن يرضى بهذا الوضع الذى فرض عليه والذى لم يكن له يد فيه فى عصر كانت فيه الإقطاعية متغلغلة فى كل شئ ، وأن هذه القطع الصغير المبعثرة التى عمل فيها كانت عبارة عن الإقطاع من سيده التابع نظير واجبات التبعية التى أثقلت كاهله والتى لم تكن تعرف أى حدود أو قيود ، ويجب ألا ننسى أن مستوى ذلك الفلاح ومستوى الأرض التى كان يعمل فيها كانا أقل بكثير جداي من مستوى معيشة الفلاح فى العصور الحديثة .

على أى حال لقد ظل فلاح القرون الوسطى راضياً بدون رغبة منه بحكم السيد اللورد ، ولم يكن أمامه سوى أن يتقبل السلطات والاحتكارات المقررة عليه ، والتى لم يشترك فى فرضها أو اختيارها وعلى هذا يرى فريق آخر من المؤرخين أن فلاح الوسطى عاش أسوأ أيامه وأنه كان يئن تحت عبء الواجبات واللالتزامات التى ألزم بأدائها لسيده اللورد ، وأنه عانى الكثير من القسوة والظلم والجور والاستبداد والطغيان مع ما فى ذلك من اتجاهات واضحة نحو إيذاء الفلاح ومضايقته وتوقيع العقوبات عليه أكثر مما فيه لحمايته أو الدفاع عنه وعن مصالحه ففى ظل هذه الظروف القاسية عاش الفلاح داخل حدود قريته هو ودابته سواء بسواء لا يعرف شيئاً عما يجرى حوله ، لقد عاش من المهد إلى اللحد داخل هذه الدائرة المغلقة وكفاءة فى ذلك الكفاف من العيش .

لقد عانى الفلاح الوسيط الكثير من المتاعب ، وكان هذا نتيجة لبقايا المجتمع القروى القديم ولنظام الدومين أو النظام الإقطاعى فضلاً عما فى هذا المجتمع من نقص وقصور بسبب قلة الأمن وانعدام القوة التنفيذية القادرة على تنفيذ القوانين واحترام العادات المرعية ، يضاف إلى

ذلـك الكـوارث التـى حلـت بـالفلاح أيـام المجاعـات والطـواعين والحـروب المستمرة التى كانت تأتى على الأخضر واليابس مما دفعه إلـى الهجرة من قريته إلى المدن والغابات ولم يكن الفلاح بمنجى من هذه النكبات التـى لـم يكن لـه يد فيهـا ، كمـا لـم يكن لـه حيلـة من التخلص من آثارها وعواقبها الوخيمـة وخاصـة فـى ذروة العصـر الإقطـاعى وقصـارى القـول أن فـلاح القرون الوسطى عاش عيشة لا يحسد عليها وكانت هذه القيود والأغلال التـى كبلتـه بهـا الأنظمـة الإقطاعيـة من أهم السباب التـى أدت إلـى ثورتـه على تلك الأنظمة وتكسير تلك القيود والأغلال فى أخريات العصر الوسيط (٥) .

نظام الضيعة الإقطاعية :

أدى النظام الإقطاعى فى غرب أوروبا إلـى قيام وحدات اقتصادية قائمة بذاتها مغلقة على نفسها ، لا تربطها بغيرها أيـة روابط متبعة نظام الزراعة الاكتفائيـة أى التـى تسد مطالـب الحيـاة اليوميـة دون الحاجـة إلـى تبادل فى السلع والمنتجات وتعرف هذه الوحدات بالضياع الإقطاعيـة ففى إطار الضيعة الإقطاعية Manor يعتمد أهلها على سواعدهم فى توفير ما يحتاجون إليه ، وبمعنى آخر يتعاون الجميع فى كل ما يخصهم من شون ومصالح .

واختلفت الضياع من حيث المساحة وعدد السكان وامتلك السيد الإقطاعى أحياناً ضيعة واحدة وأحياناً أخرى عدة ضياع ، وربما بعدت هذه الضـياع بعضـها عـن بعـض ومـن مجمـوع الضـياع التـى يمتلكهـا السـيد الإقطـاعى تـألف مـا يعرف باسم الـدومين Domain الـذى يمثـل المصدر الحقيقى لقوته ونفوذه ، على أن ملكية الضيعة لم تكن قاصرة على الأفراد

، بل امتلكت الأديرة والأسقفيات الضياع الواسعة وكيفما كان حجم الضياع فإن إدارتها جرت وفق أسس واحدة طبقاً للعرف الإقطاعى فانقسمت الأرض إلى قطع أو حصص وزعت على الفلاحين ، وهم من الأقنان المرتبطين بالأرض واتبع الفلاحون فى زراعة حصصهم نظام الدورة الزراعية أو الحقول الثلاثة Three Fields بمعنى تقسيم الأرض إلى ثلاثة أقسام : يزرع واحد منها فى الربيع والآخر فى الخريف والقسم الثالث يترك بدون زرع لراحة الأرض . وفى السنة التالية يحدث تبادل فيترك القسم الذى سبق زراعته فى العام الماضى دون زراعة ، وبهذه الطريقة فى الزراعة ، كان يترك قسم من الأرض سنوياً دون زراعة لعدم إجهادها ، وحتى ينال كل قسم على التوالى نصيبه من تلك الراحة .

وتطلبت الزراعة فى نظام الضيعة Manorial Regime أو كما يسمى النظام السينورى Seignorial System قيام التعاون بين فلاحى الضيعة الواحدة ، لاسيما فى أيام الحرث والحصاد ، لأن الفلاح الواحد لم تكن لديه الإمكانيات من مواشى وأدوات زراعة التى تمكنه من العمل بمفرده ، وقد ساعات طريقة توزيع الحصص على تحقيق النظام التعاونى ذلك أن نصيب كل أسرة من الأراضى الزراعية لم يوجد فى مكان واحد ، وإنما تبعثر هنا وهناك بحيث تداخلت حصص الأسر بين بعضها بعضاً ، ولذا اضطر الفلاحون إلى المساهمة بكل ما يصلح لديهم لزراعة تلك الحصص بأن يقدم هذا محراثة وذاك ثورة وهكذا .

وكان يلحق بكل ضيعة غابة كثيفة بأشجارها كانت فى العادة من مخصصات السيد الإقطاعى ويلاحظ أنه لم يحرم أتباعه من الفلاحين من دخولها ، بل أذن لهم بذلك للحصول على الأخشاب اللازمة للوقود والتدفئة

والبناء ، وكان فى بعض الأحيان يتنازل عن جزء من الغابة لأهل الضيعة ويحتفظ بالباقى بنفسه ولهوه ، وفى هذه الحالة لم يكن يسمح لهم بدخول الجزء الخاصة به .

وقد أقام السيد الإقطاعى فى الضيعة فى الدوار **Manor House** الذى أحاطت به حديقة مسورة بها أشجار الفاكهة توافرت بداخله المؤن ومستودعات الحبوب والمواشى والدواجن وعلى مقربة من الدوار قامت كنيسة محلية ملحق بها منزل قسيسها الذى يرعى شئونها الدينية . أما الفلاحون فقد عاشوا فى أكواخ قذرة من جذوع الأشجار وفروعها غطت سقوفها وأرضيتها بالطين والقش ، كما تميزت تلك الأكواخ ببساطة أثاثها وقصارى القول أن فلاح العصور الوسطى عاش عيشة لا يحسد عليها وكانت القيود والأغلال التى كبلته بها الأنظمة الإقطاعية من أهم الأسباب التى أدت إلى ثورته على تلك الأنظمة وتكسير تلك القيود والأغلال فى أواخر العصور الوسطى .

ومهما يكن من أمر فإن النظام الإقطاعى ظاهرة مر بها مجتمع غرب أوربا فى العصور الوسطى شأنه شأن غيره من ظواهر العصور الوسطى وخصائصها المميزة كالفرنسية والحروب الصليبية والرهبنة والديرية والكنيسة والبابوية . وقد ظهر النظام الإقطاعى نتيجة أسباب معينة ألمت بالغرب الأوروبى فى نهاية التاريخ القديم وبداية العصر الوسيط ثم تطور ونما واكتمل فى عملية تمازج وتفاعل بطئ . ولكن ما لبث أن تقلص وانهار واندثر آخر الأمر نتيجة لعوامل أخرى ترتبط بنهاية القرون الوسطى وبداية عصر النهضة والتاريخ الحديث . [٦]

وسائل اللهو والتسلية التى مارسها النبيل الإقطاعى :

على أية حال امتلك كل نبيل إقطاعى قلعة ، ولا يتوقع الفرسان العاديون والأتباع الإقطاعيون الصغار فى قاع النظام الدرجى أكثر من بيوت مالك العزبة المحصنة والمحاطة بحاجز من قضبان حديدية . والوقع أم كثيراً من الشخصيات الكبرى تعيش بنفس المنوال بل أن معظم كبار الملاك يقضون جزءاً كبيراً من كل عام وسط أراضيهم الزراعية وممتلكاتهم بها ، وبالطبع لم يكن السبب فى أنهم يبتهجون بالمراقبة الزراعية ، وإنما فى أن معظم دخلهم يتكون من الإنتاج والمحصول الذى كان من السهل استهلاكه بدلاً من نقله ، ومع وجود النظام الاقتصادى التقليدى فى أوائل العصور الوسطى كانت الزراعة وسيلة ضرورية للبقاء والعيش أكثر من مجرد عمل مريح . وتم ترك تنفيذ الطريقة المألوفة إلى الوكلاء الإقطاعيين Stewards المحليين أو وكلاء المزارع Bailiffs ، وبقدر الاهتمام بالإدارة المحلية فما هو عمل الزوجة لتشغل وقتها ؟ وبعبارة أخرى اعتقد النبيل الإقطاعى فى تحقيق المستوى البربرى للطبقة الأرستقراطية ، وكانت المهمة الحقيقية للنبيل الإقطاعى هى خوض المعارك ، وفى الفترات التى تقع بين الحملات الحربية يمارس النبيل الإقطاعى الصيد والاحتفالات وإقامة الولائم ومعاقرة الخمر والمقامرة ، ومغازلة النساء ومضاجعتهن ، ومع ذلك فإنه يصبح مصاباً بالضجر بشدة من وجود حالة السلام إن عاجلاً أو آجلاً ، ثم لا يمكن له أن يفعل أكثر من امتطاء فرسه للمشاركة فى مسابقة الفرسان فى العصور الوسطى .

وكانت تلك الوسيلة الرياضية المفضلة التى تمارسها الطبقة الأرستقراطية معركة بكل معنى الكلمة فى الأصل ما عدا أنها كانت يتم الإعلان عنها رسمياً وتدور رحاها وفقاً لقواعد معينة متفق عليها سلفاً ، وتحت رعاية أحد كبار الإقطاعيين الذين يتصفون بالشهامة والفروسية مع

وجود عدد من الذين يتعهدون بالكفالة والضمان مع الشخصيات القوية ، يتم تحديد يوم للمواجهة بين مجموعتين من الفرسان وغالباً ما مثلت المجموعتان أسرتين متنافستين أو مكانين مختلفين .

ويقوم المتنافسون بصف مطاياهم على كلا جانبى ساحة المبارزة بعد ارتدائهم ملابس حربية كاملة الدروع ويبدأون الهجوم بمجرد إعطائهم إشارة البدء ، وبعد أن تنكسر الحراب تستمر المعركة بالسيوف إلى أن يندحر أحد الفريقين أو تتعطل فاعلية أسلحته ، وغنى عن القول فهى مباراة محفوفة بالمخاطر حيث يتم سفك الدماء وإزهاق الأرواح ، غير أن هناك ما يحقق شرفاً عظيماً بالإضافة إلى الحصول على غنيمة ، ذلك لأن المنتصر فى استطاعته المطالبة بالفرس وأسلحة الخصم المهزوم ما لم يدفع الأخير فدية مالية عنهم ، وغالباً ما كان هذا النوع من القتال العام والمبارزة الحقيقية بين الفرسان ، وبمرور الوقت أصبحت تلك المقارعات بالسيف Jousts ، كما كانوا يطلقون شعبية وعملية مظهرية شيئاً فشيئاً ، ومع ذلك فبعد مرور كثير من الوقت انخفضت تلك المبارزات إلى صارت مجرد مهرجانات Pageants لقد كان رجال عصر الإقطاع يقاتلون لمجرد حبهم للقتال وليس – بأسلحة غير حادة – لحبهم للنساء . (٦)

الهوامش " الموضوع الثامن"

(١) كارل ستيفن : الإقطاع فى العصور الوسطى ، ترجمة : د. محمد فتحى الشاعر (القاهرة ، ١٩٩٣)

(٢) محمود الحويرى : دراسات فى حضارة أوروبا فى العصور الوسطى ، ص ص ١٣٦ ، ١٤٢ .

سعيد عبد الفتاح عاشور : أوربا فى العصور الوسطى ، النظم والحضارة ، ص ص ٤٧ – ٥٢ .

محمود سعيد عمران : حضارة أوربا فى العصور الوسطى ، (الإسكندرية ، ٢٠٠٢) ، ص ص ٥٩ – ٦١ .

(٣) محمود سعيد عمران : حضارة أوربا فى العصور الوسطى ، ص ص ٧٨ – ٨٢ .

سعيد عبد الفتاح عاشور : أوربا فى العصور الوسطى ، النظم والحضارة ، ص ص ٥٢ – ٥٩ .

(٤) محمود الحويرى : المرجع السابق ، ص ص ١٤٩ – ١٦٦ .

سعيد عبد الفتاح عاشور : المرجع السابق ، ص ص ٦٥ – ٨٥ .

كارل ستيفن : المرجع السابق ، ص ص ٢٩ – ٥٢ .

(٥) جوزيف نسيم يوسف : تاريخ العصور الوسطى الأوروبية وحضارتها ، ص ص ١٢٢ – ١٢٣ .

محمد سعيد عمران : المرجع السابق ، ص ص ٦٧ – ٦٩ .

هلستر (س. ورن) : أوربا فى العصور الوسطى ، ص ١٤٤.

(٦) محمود الحويرى : المرجع السابق ، ص ص ١٦٨ – ١٧٠ .

سعيد عبد الفتاح عاشور : النظم والحضارة ، ص ص ٧٢ – ٧٩ .

(٧) كارل ستيفن : المرجع السابق ، ص ص ٥٠ – ٥٢ .

تاسعاً
الفكر السياسي في التنظيمات الحربية والقضائية فى مصر البيزنطية

التنظيمات الحربية والقضائية فى مصر البيزنطية

أولاً : التنظيمات الحربية :

اختلفت الخصائص الأساسية للنظام الحربى الذى نشأ فى القرن الرابع عن تلك التى اختص بها النظام الحربى زمن العصر الأول من الإمبراطورية بما حدث من تأليف جيش نظام ينتقل فى يسر وسهولة من موضع إلى آخر ، وبما جرى من انفصال قوة الفرسان عن قوة المشاة واعتبارهم قوة مستقلة ، وبما حدث من تصغير أو تقليل حجم الفرق العسكرية .

ذلك أن دقلديانوس ومن بعده قنسطنطين أقام جيشاً يستطيع الإمبراطور أن يحركه إلى أى مكان من ممتلكاته يتعرض لخطر من الأخطار ، على حين أن أطراف الإمبراطورية تولى حمايتها فى نفس الوقت جيوش ترابط فى أقاليم الحدود ، وبذلك تألفت القوى العسكرية من فئتين أساسيتين : الجيش النظامى المعروف باسم ***Comitatenses*** والذى يدل على هذا الجيش يصحب الإمبراطور فى تحركاته وأن الإمبراطور يتولى القيادة فى كل الحروب الهامة ، ومن ثم تعتبر هذه القوات حاشيته وأتباعه ***Comitatus*** ، ويطلق هذا الاسم على المشاة ***Legiones*** والفرسان معاً ***Vexillationes*** ، وفى أوخر القرن الرابع الميلادى صار يدخل فى نطاق الجيش النظامى قوتان اشتهرت إحداهما باسم ***Pseudo-Comitatenses*** واشتهرت الأخرى باسم ***Palatni*** التى تعتبر من خيرة الفئات التى يتألف منها الجيش النظامى واحتفظت بما للحرس الإمبراطورى من صفات خاصة ويرابط معظمها بجوار القسطنطينية أو فى إيطاليا والمعروف أن القوات النظامية كانت أعلا مكانة من الجند المرابطين على الأطراف الخارجية للإمبراطورية ، يضاف إلى هاتين القوتين جماعات من المشاة اشتهروا باسم القوات المساعدة ***Auxilia*** التى جرى تجنيدهم أساساً من غالة ومن الفرنجة وسائر المتبربرين الجرمان ، ومن المشاة

أيضاً فرق صغيرة يبلغ عدد الفرقة الواحدة ألف رجل على حين أن عدد أفراد الفرقة من الفرسان لم يتجاوز خمسمائة فارس .

أما الفئة الثانية من الجيش الرومانى فهى المعروفة باسم جيوش الأطراف (الحدود) ***Limitanei*** الذى يرابط على أطراف الإمبراطورية ، ويقـــــــــــــــــــــــــــوم الجنـــــــــــــــــــــــــــد بزراعة الأرض الواقعة على امتداد الحدود ***Terrae Limitaneae*** ويحوزونها على أنها نوع من الإقطاع الحربى ويرث أبناؤهم هذه الإقطاعيات عند دخولهم فى الخدمة الحربية . (١)

وفى القرن الخامس تألفت فئة جديدة من العساكر اتخذت أيضاً اسم المعاهدين ***Foederati*** يجرى اختيار عساكرها من العناصر الأجنبية عادة ، وتتولى الحكومة دفع مرتباتهم ويقودهم قادة من الرومان وصاروا يؤلفون قطاعاً خاصاً فى النظام الحربى وأضحوا فى القرن السادس من أشد العساكر قوة وأكثرهم أهمية فى الجيش الإمبراطورى .

وثمة فئة أخرى من المحاربين لعبت دوراً كبيراً فى حروب القرن السادس واشتهرت باسم البقلار أى الأتباع ، إذ دأب كبار القادة بل كبار المدنيين أيضاً على أن يؤلفوا لأنفسهم حاشية مسلحة أو حرساً خاصاً ، واتخذ هؤلاء العسكر اسم البقلار وعلى الرغم من أن هذه القوات العسكرية الخاصة تعتبر غير قانونية وأن الأباطرة حرموا استخدامها فإن هذا الإجراء شاع استعماله وتوقف عدد الأتباع على ثروة السيد الذى لجأ إلى تأليف حرس خاص له ، كما اتخذ صغار القادة أيضاً أتباعاً مسلحين .

والمعروف أن السلطة فى الولايات اقتسمها أغسطس مع مجلس الشيوخ أو السناتو ، وأن مصر كانت من الولايات الخاضعة لسلطة الإمبراطور وأنه كان حريصاً على ألا يسمح لأحد من طبقة السناتو أن يدخل مصر دون تصريح خاصة منه ، وذلك لما لمصر من أهمية خاصة من حيث كونها مستودعاً للغلال فى الإمبراطورية ، ومن حيث نزوع أهلها

إلى مقاومة الدولة الحاكمة واشتداد الحاجة إلى حفظ الأمن تتطلب إقامة حامية عسكرية قوية بها ، لذا وضع أغسطس بها ما لا يقل عن ثلاث فرق رومانية ، فضلاً عن القوات المساعدة الملحقة بها ***Auxilia*** ، ثم أمر تيبيريوس الذى خلف أغسطس فى الحكم بسحب فرقة من الفرق بعد أن تبين أن الحاجة ليست ماسة إلى هذا الجيش الضخم نظراً لسهولة الدفاع عن مصر .

لم يختلف الجيش الإقليمى فى تكوينه عن الجيش الأساسى للإمبراطورية ، ونستطيع أن نتبين فيه الفئات الثلاث الأساسية فضلاً عن الأتباع :

فالفئة الأولى : المعروفة باسم ***Comitatenses*** يعتبر أفرادها من خيرة الجند ويمثلون أحسن ما تبقى من آثار الجيش الرومانى ، والمعروف أن أفرادها يجرى تجنيدهم بطريق الإلزام أو التطوع أو بالوراثة (إذ أن أبناء المسرحين يجرى إثباتهم وإلحاقهم بالفرق التى كان آباؤهم ينتمون إليها) ، وترتب على التطوع أن دخل فيها عناصر متبربرة .

وإلى جانب هذه الفئة توجد فئة أخرى من الجند ترابط على الحدود وهى المعروفة بجيش الأطراف ، ومهمتها حراسة الحدود والقلاع ، ويعيش أفرادها على الأراضى الزراعية الواقعة على الحدود بشرط ألا يغادروها ، ومن المحقق أن هذا النظام جرى تطبيقه فى إفريقية عقب هزيمة الوندال زمن جستنيان .

أما النوع الثالث من الجيوش فهو المعروف بالمعاهدين ، وهم من عناصر متبربرة ، وانحاز إليهم كل المقامرين الوافدين من خارج حدود الإمبراطورية ويتولى قيادتهم قادة معينون من قبل الإمبراطور .

ومن المأجورين أيضاً الفئة المعروفة بالبقلار التى سبق الإشارة إليها ، ويعتبرون جنداً خاصاً لكل من يقوم على دفع رواتبهم وإعاشتهم ، وهؤلاء الجند على نوعين ، فئة تنتمى إلى كبار موظفى الإمبراطورية أمثال

دوقات الأقاليم وقادة الجيش ، أما الفئة الأخرى فتؤلف جنداً خاصاً لبعض الأفراد ، ولم يكن لهؤلاء صلة بالجيش غير أنه يحدث أحياناً أن يقدم سيد هؤلاء الأفراد بعرض خدماتهم على الدولة فى مقابل أجور خاصة فيسهمون بذلك فى الدفاع عن الإمبراطورية .

هذه الفئات جميعها كانت ممثلة فى الجيش البيزنطى المرابط بمصر ، ففيما يتعلق بالجيش النظامى ***Comitatenses*** تشير البرديات إلى الحاميات المرابطة فى بعض مدن الأقاليم أمثال السييزيين ***Scythians*** فى ***Apollonopolis*** والمقدونيين فى ***Antaiou*** والداسيين فى أرسينوى ، والآيسيوريين فى الإسكندرية ، والواقع أن هذه القوات إنما جرى انتزاعها من الجيش الإمبراطوى ، وتقرر إنزالها بهذه المواضع على أن ما ارتبط بهذه الحاميات من أسماء لا يدل على أن هؤلاء الجند يرجع أصلهم إلى هذه العناصر ، إذ أن هذه الأسماء جرى إطلاقها منذ العصر الرومانى حينما ساد استخدام العناصر المتبربرة ، وبعد أن اتخذت مواضعها فى سائر جهات الأقاليم فظل الاسم عالقاً بالحاميات على الرغم من تغيير نظام التجنيد ، فالمعروف أن الجند جرى تجنيدهم بأن يقدم كل مالك عدداً من الجند يتفق مع مساحة أراضيه أو عن طريق التطوع أو الوراثة ، ومعنى ذلك أن سكان كل إقليم هم الذين يؤلفون القوة المرابطة به أو الجانب الأكبر منها ، ومن ثم كان الجيش المرابط بمصر يتألف معظمه من المصريين .

وإذا كان القتال هو المهنة الأساسية للجندى تحتم عليه أثناء أزمنة السلام المضى فى ممارسة استخدام السلاح تحت إشراف قائده وحرم القانون أن ينصرف الجند عن مزاولة استخدام السلاح ، وقضى بألا يعملوا لحساب فرد من الأفراد وألا يعملوا فى التجارة وألا يقوموا بتأجير أراضيهم .

وهذا الإجراء الأخير كان سائداً فى مصر إذ أن بعض الجند صاروا ملاكاً إما عن طريق الوراثة أو بوسيلة من الوسائل ، مثال ذلك فيكتور من

أفروديتو جرى تجنيده من بين البربر النازلين فى هرموبوليس وكان يملك فى مسقط رأسه داراً وقطعة أرض لم يكن يستغلها بنفسه إنما كان يستأجر من يقوم على زراعتها على أن بعض الجند مارسوا من الأمور المدنية ما طغى على حياتهم الحربية .

والمعروف من الناحية النظرية أن الخدمة العسكرية كانت تمتد إلى أن يبلغ عمر الجندى أربعين سنة ، كما جرت العادة بذلك فى سائر أنحاء الإمبراطورية ، فإذا جاوز هذا الحد من العمر تقرر إعفاؤه من الخدمة وصارت له امتيازات وحقوق خاصة مثل الإعفاء من الضرائب والالتزامات البلدية .

وما أصدره الإمبراطور أنستاسيوس فى مستهل القرن السادس الميلادى من مرسوم إلى دانيال حاكم ينتابوليس يوضح بعض الأمور الهامة المتعلقة بالإدارة لا سيما ما يرتبط منها بحقوق وواجبات الجند المرابطين بهذا الإقليم .

وهذا القرار يشرح لنا الوضع الحربى فى بنتابوليس وتضمن المرسوم فئتين من الجند : الجند النظاميين بالجيش ، والجند الفلاحين (جيش الأطراف ***Limitanei***) الذين يحصلون من الحكومة على أراضى على الحدود مقابل الدفاع عنها ، على أن الإشارة إلى هؤلاء الجند الفلاحين الذين تركزوا حول القلاع إنما يدل على وجود حدود ***Limes*** .

غير أن المرسوم ينطوى أيضاً على قدر من التفاصيل المتعلقة بنظامهم إذ أن من واجبهم حراسة الطرق وملاحظة القبائل المتمردة ومنع الرعايا الرومان من أن يهربوا إلى بلاد البربر إلا بعد الحصول على إذن من الدوق ، فرابط الجند الفلاحون على امتداد الحدود التى قامت عليها قلاع متقاربة ، والراجح أن ما حدث فى ليبيا من إقامة جيش حدود أو أطراف ، جرى أيضاً فى الأطراف الشرقية والجنوبية .

والمعروف أن الخدمة فى جيش الأطراف كانت وراثية إذ أن جند الأطراف كانوا يخدمون فى الجهات التى يقيمون أو ينزلون بها ، ويجرى تجنيدهم بانتظام ، فكل مجند يصير إثبات اسمه فى سجل الفرقة بناء على ما يحمله من أمر من قبل الدوق ، وهذا المر هو المعروف باسم ***Probaloria*** على أن يخصص الجند جانباً من وقتهم لممارسة التدريبات الحربية .

على أنه لم يرد إلا النذر اليسير فى البرديات والمصادر التاريخية عن جيش الأطراف والمعاهدين ***Foederati*** وما حدث من الإشارة إلى هؤلاء المعاهدين إنما تنطوى على انحياز مقدم المتبربرين فى زمن متأخر _جستنيان) إلى الجماعة التى تقدمت للاتصال ببطريرك الإسكندرية الخلقدونى للتوسط فى إعادة الدوق الأوجستالى حنا إلى منصبه بمصر لما اشتهر به من السيرة الطيبة وحرصه على نشر العدل بين الناس ومراعاة مصالحهم ، ووجه الأهمية فى هذه العبارة أنه كان بمصر وقتذاك فئة من المعاهدين غير أنه من العسير أن نتبين الدور الذى قام به هؤلاء المعاصرون فى مصر ، أما المخالفون الذين يمثلون الشعوب أو الأقوام المجاورين للإمبراطورية وتعهدوا بمقتضى المعاهدات أن يقدموا الدولة عدداً معيناً من الجند للاشتراك فى الحروب ، ويتولى قيادتهم جماعة منهم يمثلهم النوباد على الطرف الجنوبى لمصر ، وظل الأباطرة البيزنطيون يدفعون لهم ما قرره دقلديانوس لهم من الإعانات حتى يخلدوا للهدوء والسلام ، ولكى سدافعوا عن الحدود ضد غيرهم من المتبربرين ، ومن حلفاء الدولة البيزنطية فى غرب مصر قبائل البدو المعروفين بالمازيك ***Maziques*** فعلى الرغم من عدم وجود إشارات تدل على أنهم كانوا حلفاء فإن الدولة أفادت من مساعدتهم الحربية .

وما يتعلق بالجيوش الخاصة المعروفة بالبقلار ***Bucellarii*** إنما تتمثل فيما اتخذه ملاك الأراضى لأنفسهم من حرس خاص مؤلف من

الجند المأجورة وفيما لجأ إليه بعض المغامرين من تأليف جماعات مسلحة يصح أن تكون عند الحاجة قوى نظامية ، وقد أشارت بعض البرديات إلى طوائف من المأجورين انحازت بصفة دائمة إلى الجيش النظامى فتقاضوا بذلك ما هو مقرر لهم من الرواتب والجراية .

وعلى الرغم من أن الأمن والسلام توافر لمصر منذ منتصف القرن الخامس إلى أوائل القرن السابع الميلادى ، فإن الحكومة الإمبراطورية بم يسعها إلا أن تقيم فى البلاد قوة وفيرة العدد لحفظ الأمن والقضاء على ما تعرضت له من غارات المغيرين من أجل النهب ، يضاف إلى ذلك ما لهذه القوات من أهمية فى جباية الضرائب وفى حفظ الأمن داخل البلاد ، لاسيما بعد أن أدت المنازعات الدينية إلى المظاهرات والثورات ، وكان لزاماً على الحكومة أيضاً أن تظهر ما لها من السيادة المطلقة فى أمر مصر ، إذ كانت تعتمد اعتماداً كبيراً على مصر فيما تحصل عليه من القمح لغذاء أهل القسطنطينية ذلك أن أى اضطراب بالعاصمة إنما يؤدى إلى نتائج وخيمة فى سائر أنحاء الإمبراطورية ، هذه الأسباب كلها تكفى للتدليل على حرص الحكومة المركزية على أن يكون لها بالقطر المصرى جيش قوى التنظيم وعلى ما لهذا الجيش من صفة خاصة . [٢]

إصلاحات جستنيان العسكرية فى مصر :

جاء الإمبراطور جستنيان وأجرى إصلاحاته ، فأعاد للدوق الجمع بين السلطتين المدنية والعسكرية ، وقام بتحديد ثلاث نقاط دفاعية عن مصر :

١- العريش ٢- بوريون *Borion* ٣- جزيرة فيلة

وبالنسبة للعريش فإنها تقع فى أقصى الشرق وتقع حدود مصر بينها وبين مدينة رفع على الحدود المصرية الفلسطينية .

وبوريون تقع فى أقصى الغرب بإقليم ليبيا وعندما أضيفت ليبيا إلى إقليم مصر أصبحت تابعة لمصر .

أما الحد الجنوبى فكان ينتهى عند جزيرة فيلة وذلك بعد انسحاب القوات العسكرية زمن دقلديانوس من النوبة وقد اهتم دوق طيبة بعمل استحكامات قلعة فيلة لمنع غارات النوباد .

ومن المؤكد لدينا أن حكام بيزنطة قد اهتموا اهتماماً كبيراً بصحارى مصر خاصة الصحراء العربية (الشريقة) التى توفرت فيها المعادن والأحجار الكريمة مثل المرمر والزمرد ، بالإضافة إلى وجود مصادر المياه فى الآبار والعيون حيث تقوم عليها حرفة الزراعة ، وأيضاً كانت صحراء مصر العربية غنية بالأعشاب الطبيعية التى كانت تستخدم فى أغراض علاجية ، وقد جرى الاهتمام باستخراج المعادن من الصحراء العربية فى مختلف العصور ، وبفضل اهتمام الإمبراطورية الرومانية ومن بعدها بيزنطة بالطرق وصيانتها سارت القوافل من طيبة ومدينة قفط إلى موانئ البحر الأحمر مثل برنيس (قرب سفاجة) وميوس هورمز (القصير) حيث كانوا يمارسون التجارة مع الهند وغيرها من دول جنوب آسيا .

والملاحظ أن سلطة الحكومة البيزنطية فى هذه الجهات لم تكن قوية وعلى العكس من ذلك فقد كانت مدينة القلزم (السويس) يتركز فيها النفوذ الرومانى ومن بعده البيزنطى ، حيث وجد بها حاميات بيزنطية ، وكانت الأديرة المجاورة لهذه المنطقة مثل القديس أنطونيوس على البحر الأحمر يستقبل الجنود .

أما بالنسبة للصحراء الغربية فقد حرص البيزنطيون على توطيد سلطانهم فى الواحات المعروفة بخصوبتها مثل هيبس التابعة لدوقية طيبة ، وفى أنجيلا التى شيد بها الإمبراطور جستنيان كنيسة كبيرة كانت سبباً فى تحول الناس إلى المسيحية ، وعلى الرغم من ذلك فقد كان البربر يقومون بغارات على حدود مصر الغربية ، وأحياناً كانوا يتوغلون حتى نهر النيل ، وكان أن تصدرى لهم أريستوماك دوق مصر رمن الإمبراطور موريس ، وأنزل بهم الهزيمة ، وكثيراً ما كان رهبان وادى النطرون

يتعرضون لغارات المغيرين من الواحات الداخلة ، وقام المازيك بمهاجمة برقة وواحة سيوة وأديرة وادى النطرون فى القرنين الخامس والسادس الميلاديين .

على أية حال فقد كان من مهام الجنود فى العصر البيزنطى حماية البلاد من الغارات الخارجية ، وأيضاً المحافظة على الأمن الداخلى ومساعده جامعى الضرائب ، وأصبح لزاماً على كل موظف الاستعانة بالجيش والجنود فى حفظ الأمن وتوطيد مركزه داخل مصر خاصة فى مدينة الإسكندرية عاصمة مصر لما كان لها من أهمية تجارية وأهمية خاصة بالنسبة للإمبراطورية البيزنطية كما سبق لنا القول ، فكان جيش مصر الكبير الذى يتكون معظمه من المصريين إنما فى حقيقة الأمر يقوم على المحافظة على الأمن الداخلى وحماية جباة الضرائب .

ومثلما كان وضع مصر الأمنى فى القرنين الرابع والخامس الميلاديين حرص الإمبراطور جستنيان على استمرار هذا الوضع مع إضافة بعض النقاط التحصينية الأخرى التى تريد من قوة حصانة ولاية مصر .

وقد أبقى الإمبراطور جستنيان على نظام التحصينات على الحدود الليبية المصرية التى جاءت فى مرسوم الإمبراطور أنستاسيوس من شرح ما تؤديه القوات المرابطة بإقليم مصر من واجبات فكان لزاماً على جيش الأطراف الذى يرابط جنده بالقلاع الواقعة على الحدود أن يخضعوا القبائل المتمردة وأن يحرسوا الطرق ويراقبوها كما سبق وذكرنا ، ومن المؤكد أن الإمبراطور جستنيان أبقى على هذا النظام وظل كذلك منح الجند المرابطين اقطاعات مقابل الدفاع عن الإقليم .

وأضاف جستنيان فرقة عرفت بفرقة جستنيان الليبية ، وقام بتعمير أسوار عاصمة ليبيا ومدن وحصون كثيرة وتقرر إضافة تحصينات جديدة فى جنوب جزيرة فيلة من سيين وجزيرة أقنتين إلى ما وراء فيلة ، وأصبح دير القديس سيمون المواجه لأسوان مقراً لحامية عسكرية .

أما من ناحية الحدود الشرقية من جهة آسيا حد إقليم أوجستامنيكا والمناطق الواقعة إلى الشرق منها والخارجة عن حدودها جرى تحصينها مثل القلزم والعريش خوفاً من هجوم يأتى إلى مصر منها كما حدث زمن الإمبراطور أنستاسيوس الثانى ، فقد توغلت القوات الفارسية فى الدلتا حتى وصلن إلى ضواحى الإسكندرية لذلك حرص جستنيان على تحصين هذه الأماكن تحصيناً فوق تحصيناتها السابقة حتى يحافظ على الطريق المؤدى إلى العاصمة الإسكندرية ، وجرى إقامة خط حدودى قوى من ناحية السويس وعلى حافة الدلتا على امتداد خط دفاعى يتجه من بيلوزيوم إلى قلعة حصن بابليون وهذا الخط هو الخط الذى تسير فيه قوافل الشام وتركزت التحصينات عند الطرف الجنوبى للدلتا .

وقد حظيت مدينة الإسكندرية باعتبارها عاصمة الإقليم المصرى وميناء هام يشحن منه القمح إلى القسطنطينية باهتمام الإمبراطور جستنيان بتحصينها وفرض أقسى العقوبات على الموظفين الذين يتراخو فى أداء واجبهم فى مهمة شحن القمح سليماً وكاملاً إلى القسطنطينية واشتهرت الإسكندرية بأسوارها الحصينة الضخمة التى أعدت فوقها أدوات للدفاع عن المدينة فى حالة تعرضها للأخطار .

وحظيت كذلك عواصم أقاليم مصر فى الداخل والنقاط الحدودية على اهتمام من جانب الإمبراطور جستنيان ومن هذه المدن : العريش التى أحيطت بأسوار ضخمة ظلت قائمة حتى القرن الثانى عشر وبيلوزيوم وسايس وهليوبوليس ونقيوس والبهنسا فى أركاديا وانتينوى (أنصنا) الموجود حالياً ناحية الشيخ عبادة مركز منوى بمحافظ أسيوط الحالية . .

اختيار جند مصر :

ومن الملاحظ أن تنظيمات الجيوش ظلت معروفة فى مصر زمن الإمبراطور جستنيان : فكان الجيش فى مصر يتكون من الفرق النظامية *Mitatenses* مختلفة الأجناس والتى كانت ترابط فى الحاميات فى بعض مدن الأقاليم مثل البربر فى هرموبوليس والسكيزيين فى أبوللونوبوليس

(قوص) والراسيين فى أرسينوى ، والأيويسوريين فى الإسكندرية ، وقد ظلت أسماؤهم تطلق على الحاميات المرابطة فى هذه المواضع حتى بعد تغير نظام التجنيد .

على أية حال فقد أصبح جنود الجيش من المصريين ==== كانوا من سكان الأقاليم الأخرى وألزم الملاك بتقديم عدد من الأفراد يتناسب مع مساحة ما يملكونه من أراضى وأيضاً حسب ثروة المالك وتجرى القرعة تحت إشراف موظف مختص بعدها يأخذ كل مجند شهادة تثبت أنه قد تقرر تجنيده وتشتمل على أمر من الدوق موجه إلى السلطات الموكلة بالتجنيد بإثبات اسم صاحب هذه الشهادة فى سجل الكتيبة وبعدها يتقدم هذا الشخص إلى الفرقة الذى حددت له .

وغالباً ما كان الجنود المرابطين فى الحاميات إنما كانوا يرجعون أصلاً إلى نفس المنطقة ونفهم من ذلك أن سكان كل إقليم تتألف منهم القوة المرابطة به ، أو الجانب الأكبر منها والجدير بالذكر أن أبناء الجند المسرحين كان يجرى تسجيلهم فى أماكن ولادتهم ويتم تأدية خدمتهم العسكرية فى تلك الجهات وكثيراً ما كان يتم تجنيد أسرى الحرب من أجناس وأصول فارسية أو قوطية أو وندالية .

وهكذا كان معظم جنود الجيش النظامى فى مصر من الإمبراطور جستنيان من المصريين سواء كانوا فى الجيش النظامى أو جيش الأطراف فكان يتم التجديد بطريق التجنيد الإجبارى أو بالتطوع أو بالالتزام ==== على أبناء المقاتلين بضرورة أن يخلفوا آبائهم فى الخدمة الحربية وثم بالجيش إلا قلة نادرة من البربر وبعض الكتائب من الجند المرتزقة لعهد جستنيان .

وقد تراوحت فى مصر ما بين ٢٥ ألف و ٣٠ ألف جندى === وحدات فى كل وحدة ما بين ٣٠٠ و ٥٠٠ جندى ، وتولى قيادة ==== قائد عرف باسم التريبون ***Tribun*** ، وتعد هذه وحدة مقاتلة من الفرسان

والمشاة ، وعلى أية حال فلم يكن الجيش البيزنطى فى مصر جيشاً دفاعياً إقليمياً مهمته الدفاع عن الجهات التى يرابط بها والمحافظة على الأمن الداخلى ، وكان الجندى المصرى لا يترك الجهة المعين فيها إلى جهة أخرى ، وظهر القائد بمظهر أحد موظفى الإقليم يتولى قيادة الجند فى حدود منطقته المعين بها .

الدوق :

هو القائد الأعلى لكل الكتائب التى يتألف منها جيش إقليمه فكان يجمع بين السلطتين الإدارية والعسكرية

التريبون :

كان يتولى منصب الحاكم العسكرى للمنطقة التى يدير جيوشها الباجرك وكثيراً ما كان يجمع بين الوظيفتين التريبون والباجرك .

ومنذ نهاية العصر الرومانى كتان جيوش مصر تخضع لسلطة القائد الأعلى للجيش فى الشرق ولكن بمرور الوقت أخذت سلطة القائد الأعلى لجيوش الشرق تتضاءل فى مصر فلم يكن للجيش المصرى أى علاقة بجيوش الشرق ، فهو لم يخر من مصر مطلقاً ولم يكن للدوق الأوجال بالإسكندرية سلطة عامة على سائر الدوقات لذلك نجد أن الجيوش البيزنطية فى مصر قد خضعت لخمس دوقات متساويين فى المكانى ويلى الدوقات التريبونات الذين يقابلهم الباجركات فى النظام الإدارى .

ويقيم التريبون عادة فى الباجركية وبها يقع أكبر معسكر أو ثكنة للجيش جرى تشييدها خارج سور المدينة أو فى أحد أبراج سور المدينة أو اتخذت مواطن دائمة أو مؤقتة فى بعض الجهات لحماية مركز له أهمية استراتيجية أو كانت ترابط فى بعض الكفور التابعة لإحدى القرى المعرضة لخطر ما ، وكانت أحياناً ترابط فى دير قريب من القرية مثل دير ***Baullo*** فى جهة ***Apollonopolis Magna*** (إدفو) .

وعادة كان التريبون يتلقى تقليده بوظيفته من الإمبراطور من الناحية الرسمية ولكن فى حقيقة الأمر كان الدوق هو الذى يختاره وهو الذى يقوم بعزلة وكان يتم اختيار التريبون من أعيان المدينة التى يتم فيها مباشرة عمله .

وتركزت عادة الكتائب العسكرية النظامية فى الأماكن الاستراتيجية والتجارية الهامة ، وعلى الأسوار والأبراج على حدود المنطقة أو فى بعض الأديرة والقرى والنجوع فى حين كان جيش الحدود يرابط فى القلاع القائمة بالأطراف ، وقد تطلبت ضروريات الدفاع وجود هيئة عامة فى القرن السادس الميلادى لكى تشرف على جميع القوى الموزعة على القلاع والمعسكرات فى سائر الأقاليم لرد الأخطار ، وقد ظل هذا النظام معروفاً فى مصر فى القرنين السادس والسابع ، وأيضاً تألفت فى أقاليم الحدود هيئة تشرف على إدارة القوى المرابطة لكى تقوم بالفصل فى الخصومات بين الجند ، وفى تسجيل أسماء المقترعين للجندية وجباية الميرة اللازمة للجند .

أما بالنسبة للمواضع الحربية التى رابطت بها القوات بمصر فلم تقل عن ٨٤ مدينة باستثناء الإسكندرية فإذا تمت إضافة مدن ليبيا إليها أصبح المجموع ٨٧ موضعاً كل موضع رابطت فيه كتيبة وأحياناً كان يحدث أن يرابط جند موضوعين تحت قيادة تريبون واحد وربما كان سبب هذا قلة العدد نحو ٧٥ كتيبة .

رواتب الجند :

كان الجندى يتقاضى نوعين من المرتبات :

الأول : راتب نقدى ***Solatium*** الثانى : جراية .

وكانت الحكومة تتولى إمداد الجيش بالسلاح والكسوة وقد وضح ذلك فيما تقرر رصده فى ميزانية مدينة انتيابوليس من مبالغ معينة تحت بند الإنفاق على أسلحة الجند .

وإلى جانب ذلك يتم جباية المخصص لمؤونة الجيش ، فقد تكلفت كل منطقة الجند المرابطين بها ، فكان يؤخذ من القمح الميرة العسكرية لكى يعيش عليها الجند وكانت خزانية المدن وكبار الملاك يتعهدون بدفع نفقات الجند المرابطين بها ، ومثلما تكلفت كنيسة أبوللونوبوزليس بدفع نفقات السيثيين المرابطين فى منطقتها العسكرية ، وكانت قرية ***Kerke*** بالفيوم تكلفت بدفع نفقات جند أرسينوى وتشتمل جراية الجند على القمح والشعير والنبيذ والخل والزيت والأتبان للدواب والبغال والفحم النباتى ، فضلاً عن الأموال .

السفن والأسلحة :

ونظراً لأن موقع مصر استراتيجى ممتاز لوقوعها على بحرين كبيرين هما المتوسط والأحمر ، وهما من أهم طرق الاتصال البحرية بين الشرق والغرب ، ونقلت عبرهما المتاجر منذ اقدم العصور ، فقد امتلكت مصر أسطولاً ضخماً من السفن التجارية ، وأيضاً أسطولاً حربياً ضخماً ولذا برع المصريون فى صناعة السفن التجارية والحربية .

وقد صنعت فى مصر نوعين من السفن حربية والبوارج الضخمة التى تسع البارجة منها ألف رجل والطردات وهى السفن الصغيرة وتحمل الواحدة منها مائة رجل ومهمتها السير واللف بسرعة حول السفن الكبيرة .

ومن الأسلحة البحرية التى كانت تحمل على هذه السفن المنجانيق (آلات رمى الحجارة) والصروح العالية التى تحمل فوق ظهورها حتى يصبح المهاجمون فوقها على نفس العلوم من المدافعين فى حالة مهاجمتهم للأسوار أو للحصون البحرية العالية فتساعدهم على القفز على الأسوار أو إقامة قنطرة يعبرون عليها إلى الأسوار .

وفى مصر تم اختراع سلاح بحرى فى تلك الفترة ألا وهو النار الإغريقية ، وكانت مزيجاً قوياً من مواد كيماوية سريعة الاشتعال لا يمكن إطفاءه حتى فوق صفحة الماء كما كانت ذات قوة عالية فتاكة سريعة

النسف والتخريب والتمزيق ، ويقال أن صاحب هذا الاختراع رجل يدعى قلينيكوس من مدينة هليوبوليس وكان يعمل مهندساً مصرياً .

وعلى الرغم من أن هذه الأنظمة الحربية فى الجيش البيزنطى فى مصر والتى تبدو فى الظاهر أنها خلقت جيشاً قوياً عظيماً فإن عوامل الضعف والتدهور والعيوب كانت تمكن داخل جسد هذا النظام . (٤)

ثانياً : القضـــاء :

دخل القضاء ضمن الأعمال والوظائف الإدارية فى مطلع العصر البيزنطى ، فقد كان القضاء المدنى يختص به الحاكم العام ، وكان الحاكم يلقب بلقب استراتيجوس الرومانى ، وهو القائد الأعلى للنوموس والذى يتولى المسئوليات القضائية والإدارية ، وكان يلقب فى أحيان أخرى بلقب بريفيكتوس ***Praefectus*** بمعنى القائم بالأعمال وهو والى مصر ***Praefectus Aegypti*** الذى يعنيه الإمبراطور كممثل له فى حكم البلاد

أما بالنسبة للمحاكم العسكرية التى يكون فيها القاضى ***Praepositi*** فتختص بالفصل فى القضايا التى يكون أحد طرفى الخصوم من العسكريين وعادة يكون الحكم على الجانى أو المقصر هو الطرد أو مصادرة أملاكه وكانت الشرطة تختص بالقبض عليه ، وكتابة تقرير عن هذه الحالة أو الحالات الأخرى ، وقد كانت الأوامر والتعليمات الصادرة فى الفترة من سنة ٣٦٧م إلى سنة ٣٧٠م إلى جانب ما أَدره الإمبراطور ثيودسيوس الأول من مرسوم تنص على ما كان يطبق فى هذه الحالات فكانت تمنع المجرمين من الحضور إلى القضاء .

وفى أحد المراسيم الذى أصدره حاكم مصر ***Flavius Eutolmius Tatiapus*** يطلب من كل مدنى يتعرض للأذى من أحد العسكريين أن يتقدم بشكواه ضده إلى المحكمة العسكرية وعلى القاضى العسكرى أن يراعى العدالة ومصادرة أملاك هذا العسكرى حتى ولو كان سناتوريا وتحفظ لنا أوراق البردى شكاوى كثيرة فى هذا الصدد وعلى رأسها شكوى بنت أحد المتوفين ضد عمها المدعو ***Eudaemon*** الذى استولى على أملاك أخيه

وعـى مـا يبـدو أن أودامـون كـان رجـلاً عسـكرياً وقـد حكمـت المحكمـة فـى النـهاية بربـع الأملاك لـهذا الأخ والباقى لابنـه المتوفى .

وقـد أوضـحت أوراق البـردى وظـائف هـؤلاء العسـكريين فـى مصـر منـها حماية البلاد من اللصوص وقطـاع الطرق وكذلك الدفاع عن الحدود ضد أعداء البلاد والمغيرين عليها .

وقـد جـاءت إصـلاحات الإمبراطـور جسـتنيان فـى القـرن السـادس الميلاد وأدت إلى تبسط الإجراءات القانونيـة والتـى سـهلت علـى المتقاضين تقديم الالتماسات إلى محاكم الإقليم بدلاً من تقديمها إلـى محـاكم العاصمة الإمبراطورية وهكذا تحمل ولاة الأقاليم إدارة القضاء ، وقد عرفنـا من قبل أن الدوقات كـانوا يتقلـدون الوظـائف المدنيـة فأصبحوا علـى هذا الأسـاس يمارسون وظيفة القضاء .

محكمة الدوق :

وتعتبر محكمـة الدوق أهم المحـاكم المحليـة وكانـت تعقد جلساتها فى عاصمة الدوقية ، وقد مـارس الدوقات القضـاء الجـانى العـالى ، وكـانوا يفصلون بين الخصومات التـى كانـت تقـع بين المـوظفين داخـل الدوقيـة ، ومن يخضع لإدارتهم فكانوا ينظرون فـى الدعاوى المتعلقـة بـالإدارة الماليـة ويحكمون فى القضايا المدنية الهامـة خاصـة تلك التـى كـان طرفيـها القـادة والجند .

وتحتفظ أوراق البـردى بالعديد من الالتماسات التـى كانـت موجهـة إلى دوقات طيبة ونستطيع أن نعرف منـها الكثير مما كان ينظر فى محكمة الدوق ومن أمثلة ذلك التماس من جانب جماعة من السناتنوريين بجهة أومبـوس ***Ombos*** يطلبـون إلـى دوق طيبـة ويـدعى فلافيـوس ماريـانوس ***Flavius Marianos*** أن يعاقـــب شـــخاصً يـــدعى كوللوتـــوس ***Kollouthos*** لشكهم فيه بأنه وثنى وأنه أثار البلميين ضد سكان المدينـة ، وقام بشن غارات بمساعدة هؤلا البلميين على البلاد ونـهبـها ومنـها أيضاً

مثال آخر ويتضمن شكاوى سكان أفروديتو ضد الباجاركة ، وشكاوى سكان أنتيابوليس ضد الموظف المعروف باسم ***Strategе*** إلى جانب احتجاجات دافعى الضرائب على ما تعرضوا له من إيذاء الضرائب ، وقد انتهت هذه الشكوى إلى محكمة الدوق ، وما تظلمت به إحدى الأرامل لدى الدوق ضد بلدية قريتها لأنها فرضت عليها من أعمال السخرة التى زعمت أنها معفاة منها ، وتظلم أحد الفلاحين بضيعة كبيرة من ورثة سيده حيث جردوه من كل شئ وألزموه بأن يدفع من الضرائب ما لم يكن مقرراً عليه .

كما طلبت إحدى الأرامل من أفروديتو من دوق طيبة أن ينصفها من مندوب القاضى بالقرية المسمى ***Boetnos*** الذى انتزع منها طفلها ولم يرده إليها ومثال آخر لشكوى رهبان دير بطيبة ، طلبوا فيها إثبات حقوقهم فى قطعة أرض انتقلت إليهم بطريق الوصية غير أن بعض الأفراد نازعوهم على ملكيتها ، وأن راهباً آخر بدير ***St.Jermie*** فى أنتايو ***Antaiou*** استنكر ما تعرض له من اعتداءات .

وفى سيرة رئيس الدير دانيال قصة زاهد راهب شديد الورع جرى اتهامه باطلاً بأنه سرق الأوانى المقدسة فألزمه الموظف الموكل من قبل الكنيسة بعقابه بالمثول بين يدى الدوق الذى أمر فوراً بالتنكيل به ولم يستطع انتزاع اعترافاً منه بالجريمة التى ألصقت به .

وقد تفرع من ديوان الدوق إدارة خاصة كما سبق القول وكان يتولى إدارتها موظف كبير اتخذ لقب كونت ، كانت ترفع إليه الشكاوى والالتماسات وعن طريق هذا الموظف كانت ترفع الشكاوى للدوق .

إدارة الجنايات ***Commentariensis*** :

فقد اختصت لما يفهم من اسمها بالقضايا الجنائية وقد جرى تكليف الموظف الملحق بإدارات أوجستال مصر بمطاردة مثيرى الفتنة والثورة بالإسكندرية وكذلك الذين كانوا يخلون بالأمن ويفرون إلى مينيلانيس ومريوط .

المستشار القضائى :

كان للدوق مستشار قضائى تحت إمرته وارتبط بمحكمة الدوق محامون وكان بوسع المتقاضين أن يلجأوا فى بعض الحالات إلى نائب عنه ينتدبه الدوق ، ولم يكن هذا الأمر يتم إلا فى الحالات الاستثنائية ، وكان إرسال نائب الدوق إلى سائر المدن بالدوقية لا يتعارض مع الحقيقة الواقعة وهى أن الباجرك كان يقيم فى هذه المدن التى يتوجه إليها مندوب الدوق ، وأن صلاحية الباجرك للنظر فى القضايا لا تتعارض مع صلاحية مندوب الدوق ، ويمكن أن يقوم كل من الباجرك والدوق بتنفيذ الأحكام الصادرة من الدوق بين المتخاصمين الذين يقيمون فى دائرة الباجركية .

فى واقع الأمر أن الدوق قد أصبح فة يديه اختصاصات رئيس الأبروشية وعلى هذا فقد أصبح كبير القضاة فى إقليمه ، بينما فقد رئيس الأبروشية ماله من امتيازات تتعلق بالقضاء ، وأصبح مجرد مرؤوء للدوق ، صحيح أن ورود إشارة فى إحدى الوثائق التى ترجع إلى القرن السابع إلى محكمة رئيس الأبروشية فإن ما كان ينظر من قضايا فيها لا يزيد دوره على أنه مجرد قاضى .

محاكم الباجرك وحماة المدن :

قام بالباجركية محكمتان ، محكمة الباجرك ومحكمة حامى المدينة ، وتدل الوثائق على أن الباجرك لم يمارس من القضاء إلا وظيفة قاضى المصالحات فينظر فى عقود الضمان وفى الشكاوى فيرد الحقوق إلى أصحابها ، أما بالنسبة لاختصاص حامى المدينة فقد وردت فى قانون ١٣ فى الملحق ١٥ الذى قاتم جستنيان بإصداره وبمقتضى ذلك صار لحامى المدينة حق القضاء المدنى والجنائى .

فكان حامى المدينة من الناحية المدينة ينظر فى قضايا المعاملات المالية التى تتجاوز قيمتها ٣٥٠ صولداً ذهبياً وبمقتضى هذا القانون أيضاً منع الحماة من إصدار أحكاماً بالديات فى القضايا الجنائية ، لم

يسمح لهم جستنيان إلا بتوقيع العقوبة بشرط ألا تبلغ بأية حال من الأحوال حد القسوة ، وصار لحماة المدن المصرية وسائر المدن الإمبراطورية الحق فى أن ينظروا فى القضايا غير الجنائية ، أما فى حالة وقوع جريمة كبرى أو جنائية فليس من حق حامى المدينة سوى أن يأمر بالقبض على الجانى وإيداعه السجن ثم يقوم بتقديمه إلى محكمة رئيس الأبروشية وذلك وفقاً لنصوص الملحق ١٥ من قانون ١٣ .

وكان من اختصاص حامى المدينة فى العقود فكان عليه تسلم عقود الضمانات وأن يصدر القرارات بشأنها ، وربما كان ينظر فى قضايا الصلح وتلقى شكاوى من يتعرض للأذى حسبما تشير الوثائق وكان عليه أيضاً أن يقضى فى الأمور المتعلقة بالإدارة المالية ، وكان مساعده يشترك فيما يجرى بالمحاكم من مناقشات وعلى ما يبدو أن حامى المدينة كان يتم اختياره من بين المحامين .

أما بالنسبة للقرى فإن رجال الشرطة المحلية كانوا يباشرون السلطة القضائية فهم يتسلمون من سكان القرية الشكاوى ويبادرون إلى فحص موضوع الشكوى وربما كان يجوز لهم بعد فحص الشكوى أن يلزموا المتهمين بإصلاح ما أفسدوه وإذا امتنعوا عن تنفيذ ذلك قاموا بإرسال المتهمين إلى المدينة لكى يتولى محاكمتهم حامى المدينة أو الباجرك وفى حالة مثول المتهمين أمام المحكمة ، اقتصرت مهمة الشرطة على مراقبتهم حتى لا يختفوا قبل المحاكمة .

أما فى حالة المنازعات البسيطة فكان عادة يجرى الاتفاق بين المتخاصمين على أن يحتكموا إلى أشخاص يتم اختيارهم وعادة ما كان المتخاصمون يرضون بحكمهم وكانت مهمة الموظفين فى أمور التحكيم تقتصر على مجرد الإشراف والمراقبة .

القضاء الكنسى :

أنشأ القضاء الكنسى منذ زمن الإمبراطور قنسطنطين الكبير ، وكان يجير للمتخاصمين فى الأمور المدينة أن يلجأوا باختيارهم إلى تحكيم الأسقف ، وكثيراً ما أصبحت أعباء القاضى والمحاكم تثقل كاهل الأسقف وكان ما يصدره الأسقف من أحكام يجرى الاعتراف بها قانوناً .

ومع وجود هذه المحاكم إلا أنه كان من حق سكان مصر أن يرفعوا مباشرة أمورهم وقضاياهم إلى محكمة الإمبراطور بالقسطنطينية فى صورة التماس ويصدر الحكم فى هذه الحالة فى صورة أمر .

وقد حفظت لنا أوراق البردى العديد من الأوامر الإمبراطورية القضائية كانت صادرة من بيزنطة فى قضايا مصريين وربما لجأ جستنيان إلى ذلك حتى يجعل سلطته محسوسة لدى المصريين الذين كانوا يلجأون فقط إلى الأعيان وكبار الملاك لما لهم من نفوذ محلى .

وكان القضاء الخاص الذى كان يتمثل فى المحاكم العسكرية ومحاكم الكنيسة معروفاً فى القرن السادس الميلادى ولكنه كان مختلطاً بالقضاء المدنى وعلى أية حال فقد قامت محاكم عسكرية كانت تتألف من ضباط وتنظر فيها يسند إليها من القضايا التى يكون فيها الجند متخاصمين ، وكان رجال الدين يخضعون للقضاء الكنسى فلم يكن مسموح لهم المثول أمام محاكم مدينة إلا فى حالات الدعوة الجنائية وكان ما يصدره الأسقف من أحكام يتولى تنفيذها القاضى نيابة عنه إذا وافق الطرفان على ذلك ، ولا يجوز أن يلجأ أحد من رجال الكنيسة إذا اتهم إلى القضاء المدنى بعد أن اعتبرته الكنيسة الأسقفية مذنباً . (٥)

أما فيما يختص بالاستئناف فلم تكن هناك محكمة استئناف تقع وسطاً بين محكمة الدوق ومحكمة والى الشرق ، ولهذا كان الناس يضطرون للسفر مسافات طويلة للذهاب إلى العاصمة القسطنطينية ، ويتكبدون تكاليف باهظة فى ذلك ، ربما فاقت أحياناً المبالغ المتنازع عليها

فضلاً عن أن كثيراً منهم كان يترك زراعاته أو مصالحه فى مصر معرضاً تلك الزراعات والمصالح للإهمال الشديد فيفاجأ بأن موظفى القضاء فى العاصمة مشغولون بالنظر فى قضايا كانت فى كثير من الأحيان أقل أهمية من قضاياهم ، بل هى فى أكثر الأحيان قضايا تافهة ، فى الوقت الذى كانت القسطنطينية زاخرة بأخلاط الناس من سكان الأقاليم المختلفة الذين شغلت قضاياهم رجال القضاء فى العاصمة .

لهذا صمم جستنيان على تعديل نظام القضاء فى مصر والاهتمام بموضوع الاستئناف لحاجة الناس إلى محكمة استئناف لما اشتهرت به الإدارة فى مصر البيزنطية من التباطؤ والتراخى وعدم الإسراع فى حسم القضايا لهذا قرر جستنيان أن ينشى محاكم متوسطة بين محكمة والى الشرق فى بيزنطة وبين محاكم الأدواق وولاة الأقاليم فى مصر ، وجرى هذا الإصلاح بمصر البيزنطية اعتباراً من سنة ٥٣٦م بجعل دوق الإسكندرية باعتباره الوالى الكبير بمصر البيزنطية مكلفاً بالفصل فى كل القضايا التى لا تزيد قيمة الدعوى فيها على خمسمائة دينار أو (صولد) ذهبى ، وبصفة نهائية ولا يجوز استئناف مثل هذه القضايا أو القضايا من هذا القبيل أو اللجوء بها إلى سلطة أخرى .

لكن جاز لهذا الدوق فى الإسكندرية أن تستأنف لديه القضايا التى أصدر الحكم فيها رئيس الأبروشية بشرط ألا تقل قيمة المبالغ المتنازع عليها فى تلك القضايا عن خمسمائة دينار (صولد) وجاز لهذا الدوق الكبير فى الإسكندرية النظر فى الأحكام التى ترفع إليه والتى يصدرها أدواق مصر الآخرين ، وهذه القضايا التى أصدر الأحكام فيها أدواق مصر الآخرين جاز الاستئناف فيها لدى محكمة والى الشرق والمستشار القضائى فى العاصمة البيزنطية وجاز أيضاً أن يرفع المتخاصمون أحكام القضاء إلى محكمة الأسقف كمحكمة استئناف مثلما كان لهم الحق أيضاً فى رفع هذه الأحكام إلى محكمة الإمبراطور .

وعلى الرغم من تأكد جستنيان من أن هذا الاستئناف قد يؤدى إلى بطء القضاء بعض الشئ إلا أنه رأى فى هذا الاستئناف وسيلة لإقناع الرعايا بما تبذله حكومته من الهمة والنشاط والإصرار على القيام بالإصلاحات الهامة والتنظيمات التى تحتاج إليها البلاد ، على الرغم من أن هذا البطء لم يكن هو النقيصة الوحيدة التى شاعت فى القضاء فى القرن السادس الميلادى ، إذ ما لبث القضاة أن انزلقوا إلى الفساد والرشوة والاستخفاف بواجباتهم وغلب عليهم الجشع والشراهة للمال ، حتى أصبح القضاء سلعة يجرى بيعها لمن يدفع أكثر ، الأمر الذى دفع جستنيان مرة ثانية إلى إصدار القوانين وملاحق القوانين لمحاولة علاج هذا الخلل ومحاولة إصلاح ما فسد من أمر القضاء ، واشتد جستنيان كثيراً فى ذلك فتنصت مرسوماته على ما ينبغى على القضاة أن يتبعوه عند مباشرة القضاء فى أنحاء البلاد ، واهتم بصفة خاصة بتطبيق هذه الإجراءات فى مصر البيزنطية . (٦)

الشرطة :

يعتبر الدوق فى إقليمه رئيس الشرطة لأنه يقوم بمساعدة الجند على حفظ الأمن العام ، ويكفل انتظام جباية الضرائب بنما يبذله لعمال الخراج من المساعدة بالقوة العسكرية ، ويؤدى رئيس الأبروشية فى إقليمه مهمة قائد الشرطة فيصدر من ديوانه أوامر القبض والاعتقال ، وفى إقليمه سجن يلقى فيه من يعيث فساداً أو يرتكب جرماً .

وتضمن قانون ١٣ تفاصيل دقيقة تنظيم الشرطة فى منطقتى مينيلاتيس ومريوط اللتين تعرضتا بصفة خاصة للاضطرب والقلق نظراً لقربهما من الإسكندرية ، والمعروف أن هاتين الجهتين تدخلان فى اختصاص ليبيا ، فدرج حاكم ليبيا على أن يرسل إلى هاتين نائباً عنه عهد إليه بأن يقبض على من يلجأ إلى هذين الموضوعين من مثيرى الفتن بالإسكندرية ، والذين أرادوا أن يتجنبوا مطاردة مندوبى الأوجستال لهم ،

ولمندوب الوالى القضائى أن يتصرف فى هذه الحالة إما من تلقاء نفسه أو بناء على طلب الأوجستال بأن يسلم المذنبين إلى نواب الدوق الأوجستال ، ولتنفيذه ما صدر عن محكمة نائب والى ليبيا من أحكام ، ومن أجل القبض على المشبوهين وتسليمهم إلى نائب الأوجستال كان لدى نائب حاكم أو والى ليبيا إلى جانب الموظفين المدنيين الذين يؤلفون خمسون جندياً اتخذهم من الحامية المعسكرة أو المرابطة بالمنطقة ذاتها .

ومهما يكن من الأهمية لما قام به الجيش المرابط بمصر من أعمال الشرطة فإن الجند لم يكونوا وحدهم هم المكلفون بالسهر على حفظ الأمن فى البلاد إذ أن فئة خاص من الموظفين توارت أيضاً تأدية أعمال الشرطة فى المدن والقرى .

ففى المدن صارت إدارة الشرطة فى القرن السادس موكولة دائماً إلى حامى المدينة وإلى من يخضع لسلطانه من رجال الشرطة ***Riparii*** والراجح أن مهمة هؤلاء المساعدين كانت فى القرن السادس مثلما كانت فى القرن الخامس من قبيل السخرة والتكليف على الرغم من أن متوليها حصلوا على أجر وراتب أما من باشر منهم ***Riparii*** مهمة الشرطة العادية كما سبق أن رأينا فقد جرى تكليفهم بحفظ الأمن فى المدينة وفى التحرز والتحفظ على أشخاص المهتمين وجعلهم يمثلون أمام القضاء .

ونظراً لأنهم ورثوا ما كان لولاة المدن ***Strateges*** فى العصر الرومانى من امتيازات وحقوق أصدروا الأوامر بالقبض على المشبوهين والمذنبين ، وأبدوا للمحكمة استعدادهم لمساعدتها فى إعلان الأحكام ويرأسهم موظف معروف باسم ***Archiuperetes*** ويخضع لأوامرهم رجال البريد وما يصدر من إدارتهم من القرارات يجرى نقلها إلى الفئة المعروفة باسم ***Irenarques*** (الحراس) الذين يرأسهم تريبون ، وفى كل مدينة إنشاء سجن ، وفى القرى أيضاً جماعة من رجال الشرطة ***Riparii*** بينما اهتم أعيان القرية بالقبض على المتهمين وإرسالهم للمثول أمام المحاكم

مثل محكمة رئيس الأبروشية وذلك إذا تلقوا من المحكمة المذكورة أمراً بذلك .

ولاشك أن أعيان القرية برغم ما بيدهم من السلطة العامة كانوا يلجأون على المذنبين إلى الموظفين المكلفين بأعمال الشرطة أمثال الحراس ***Irenarques*** فى القرية الذين يخضعون لأوامر التريبون والذين جرى تعيينهم من قبل رئيس الأبروشية وفى القرى أيضاً كان يوجد جماعة أخرى باسم ***Phylacites*** الذين يرأسِهم ***Kephaliotes*** .

وبذلك تألف من ***Phylacites,Irenarques*** فئة أو جماعة من الشرطة المحلية التى تقابل القرية العسكرية التى يمثلها جيش الإمبراطور على أن العساكر ورجال الشرطة كانوا يتعاونون فى المحافظة على الأمن فى بعض الجهات .

وإذا حدث أنه لم يكن فى وسع أعيان القرية وقوات الشرطة المحلية أن يقوموا بتسليم المجرمين أو أهملوا تأدية ذلك الواجب نتيجة سوء قصد ظاهرة جرى الالتجاء إلى الاستعانة بالعساكر الإمبراطورية إذ أن السلطات المسئولة قد تبادر فى بعض الأحوال إلى استدعاء قائد العساكر ***Tribun*** من مدينة مجاورة فلا يلبث أن يقدم على رأس ثلة من العساكر تعيد السكان إلى رشدهم وصوابهم .

وإلى جانب الشرطة المحلية قام بالقرى المصرية فى القرن السادس موظفون صغار يعتبرون من رجال الشرطة يؤدون أعمالاً معينة على الرغم من تنوعها ، فحراس الحقول الذين يخضعون لسلطة ***Irenarques*** كانوا يؤدون أعمالاً هامة فى القرية ***Come*** ، أما الرعاة المكلفون بحراسة القطعان والحراس المكلفون بالإشراف على الحقول فينبغى عليهم جميعاً أن يلاحظوا رى المزروعات وأن يهتموا بالمنشآت العامة على اختلاف أنواعها ، وأن يعملوا على حفظ الأمن وإلزام سكان المدن بالمثول أمام المحكمة من اقتضى الأمر ذلك .

وجرى تقسيم زمام القرية إلى أقسام اختص بكل قسم منها حارس أو عدة حراس ، وذلك وفقاً لما تم الاتفاق عليه بين هيئة الرعاة ***Choinon*** وبين موظفى القرية ، وينبغى أن يخض الرعاة وحراس الحقول مباشرة لشرطة القرية ***Riparii*** ، وذلك لأنهم " رؤساء الشرطة " هم المسئولون عنهم فى تأدية أعمالهم .

وفى الجهات الواقعة على أطراف الصحراء لاسيما ما كان تابعاً منها لطيبة حيث تتعرض القوافل لهجمات المغيرين ، جرت إقامة أبراج منيعة يصح الالتجاء إليها والاحتماء بها عند حدوث خطر شديد ويعتبر حارس البرج فى هذه الحالة مندوب الشرطة ، جرى تعيينه بصفة خاصة فى هذه المواضع ، أما رجال الشرطة فى القرية فإنهم يقومون بهذا العمل فيما يبدو على سبيل التكليف والإلزام مثلما كان حادثاً فى العصر الرومانى وعلى الرغم من أن كبار الملاك صار لهم فى مصر نفوذ قوى واستقلال داخلى كبير ، وانشأوا لأنفسهم فى ضياعهم جيوشاً خاصة (البقلار) وأخذوا ينفقون عليها ، فالواقع أنه لم تكن لهم ولاية قضائية على أملاكهم ، ومع ذلك كانت لهم شرطة خاصة بهم .

ومن العقود المعروفة عقد (اتفاق) مبرم بين مالك فى البهنسا اسمه فنفيوس أبيون ورئيس حراسه المعروف باسم ***Protophylax*** ، وفى ضياع أسرة أبيون وهى أسرة من كبار الملاك الأغنياء ومنها أفراد تولوا وظائف كبيرة لم يقم بأعمال الشرطة حراس الحقول فحسب بل تولاها أيضاً فئة خاصة معينة من قبلهم من رجال الشرطة ***Riparii*** .

ولاشك أنه كان بالضياع الكبيرة الواقعة بالجنوب ، وفيما كان منها معرضاً لغارات البدو طائفة من الحراس الطوافين جرى تكليفهم بمنع ما يجئ من الأخطار من الصحراء الغربية منهم ، والراجح أنه بالضياع الكبيرة الهامة سجون خاصة .

والخلاصة أنه حدث فى القرن السادس الميلادى أن بذل مجهود كبير لإصلاح النظام الإدارى بمصر بعد أن أصابه من الانهيار الكبير ، ما ألحق الأذى والضرر بمصالح بيزنطة فى مصر ، وبفضل ما اشتهر به الإمبراطور جستنيان من المهارة الفائقة حرص على أن يجرى تغييراً حاسماً فى النظم القائمة ، فقام بإصلاحات خطيرة واستخدم فى ذلك نهجاً بالغ المرونة فكان تارة يكتفى بأن يلفت نظر سكان الإقليم والموظفين إلى الاهتمام بواجباتهم التى أغفلوها بما كان يورده فى دقة متناهية من تفاصيل الإدارة ، وكان تارة يقضى نهائية على ما جرى فى الماضى بالالتجاء إلى اتخاذ تدابير بالغة الصرامة غير أنه كان دائماً يسعى إلى تحقيق هدف واحد . (٧)

هوامش تاسعاً

التنظيمات الحربية والقضائية

(١) السيد الباز العرينى : مصر البيزنطية ، ص ١٣٠ – ١٣١ .

(٢) السيد الباز العرينى : مصر البيزنطية ، ص ١٣٥ – ١٤٣ .

- سهير إبراهيم نعينع : تاريخ مصر فى العصر البيزنطى ، ص ١٢٧ – ١٦٥
- محمد محمد مرسى الشيخ : تاريخ مصر البيزنطية ، ص ١٢٧ – ١٦٥ .
- نحوم شعير : تاريخ ======= ، ص ٢٨٣ – ٢٨٥ .

(٣) سهير إبراهيم نعينع : تاريخ مصر فى العصر البيزنطى ، ص ١٢٣ – ١٤٠ .

- السيد الباز العرينى : مصر البيزنطية ، ص ١٣٢ – ١٩٨ .
- محمد محمد مرسى الشيخ : تاريخ مصر البيزنطية ، ص

(٤) سهير إبراهيم نعينع : المرجع السابق ، ص ١٤٠ – ١٤٤ .

- السيد الباز العرينى : مصر البيزنطية ، ص ١٩٢ – ٢٤٧ .
- محمد محمد مرسى الشيخ : المرجع السابق ، ص ١٤٠ – ١٦٥ .
- مراد كامل : حضارة مصر فى العصر القبطى ، ص ٢٠ .

وعن الإمبراطور جستنان انظر :

- محمد فتحى الشاعر : السياسة الشرقية للإمبراطورية البيزنطية ، (القاهرة : ١٩٨٩) .

(٥) سهير إبراهيم نعينع : تاريخ مصر فى العصر البيزنطى ، ص ١١٥ – ١٢٠ .

- السيد الباز العرينى : مصر البيزنطية ، ص ٢١٦ – ٢٣١ .

(٦) محمد محمد مرسى الشيخ : تاريخ مصر البيزنطية ، ص ١٩٦ – ١٩٨ .

- السيد الباز العرينى : المرجع السابق ، ٢٣٠ – ٢٤٢ .

(٧) السيد الباز العرينى : مصر البيزنطية ، ٢٢٥ – ٢٢٩ .

- محمد محمد مرسى الشيخ : المرجع السابق ، ص ١٩٨ – ٢٠١ .

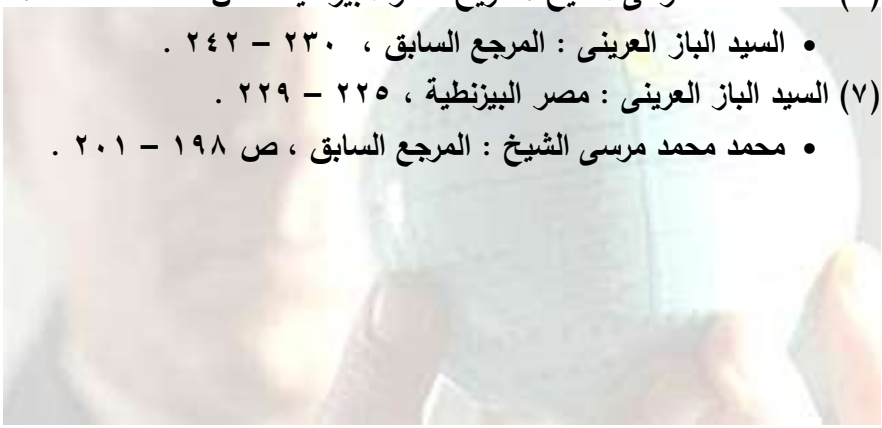

عاشراً

الفكر السياسي لدي المؤرخ المصري
أوليمبيودورس الطيبي

مقدمه :

يعـد تـاريخ أوليمبيـودورس *Olympiudorus* واحـداً مـن المصـادر التاريخيـة المحسـوبة ، التـي حفظـت للإنسـانية مشـاهدات وأحـداث تاريخيـة لشعوب وأمم في الفترة المبكرة من تاريخ أوربا العصور الوسطى ومصر ، ومصدره يعد من المصادر التي لا يستطيع الباحث الأكاديمي المدقق في مضمار الأبحاث التاريخية أن يتجاوزه . مع ملاحظة عدم اعتبار هذا القول ثناءً خالصاً .

ولقد ضن القدر علينا حيث ضاع مؤلفه الكبير الملئ بالكثير من المعلومات ، ومع ذلك فإننا محظوظون لأن القدر أيضاً حفظ لنا كتابه من خلال ما ورد في كتابات المؤرخين البيزنطيين أمثال زوسيموس *Zosimos* ، فيلوســـــتورجيوس *Philostorigios* ، ســـــوزومين *Sozomenos* ، والبطريرك فوتيوس *Photios* . (١)

---

(1) Photius, The Library, Vol. 1, trans, J. H. Freese, Translations of Christian Literature, ed. W. J. S. Simpson and W. K. L. Clarke, series I (Greek Texts), London and New York, 1920.

Philostorgius, Epitome of the Ecclesiastical History, in the Ecclesiastical History of Sozomen also the Ecclesiastical History of Philostrorgius, trans, E. Walford, London, 1855, pp. 425 – 528; Philostorgius, Church History, trans, R. Philip and S. J. Amidon, SBL 23, Brill, Leiden and Boston, 2007.

Sozomen, The Ecclesiastical History of Sozomen from A. D. 323 – 425, trans. Ch. D. Hartrant, NPNF 2, New York, Oxford & London, 1890, pp. 179 – 427.

Zosimus, The History of Count Zosimus Sometime Advocate and Chancellor of the Roman Empire (London 1814).

Baldwin (B): Philostorgios., ODB, p. 1661.

Baldwin (B): Sozomenos, ODB, p. 1923.

Baldwin (B): Zosimos, ODB, p. 2231.

Kazhdan (K): Photios, ODB, p. 1669.

جـاء تـاريخ أوليمبيـودورس الطيبـي فـي فتـرة الانتقـال مـن العصـور القديمـة إلـى ثقافـة العصـور الوسـطى وكـان أوليمبيـودورس فـي منهجـه مثـل الكتـاب الرومـان الـذين اعتمـدوا اعتمـاداً مباشـراً علـى مـا سبقوهم مـن الكتـاب اليونانيين حيث دون كتابه باليونانية . وكان انتصار المسيحية على الوثنية قد أحدث تغييرات كثيرة في مفاهيم الكتابة التاريخية فمن الوجهة الرسمية والشعبية استبعدت الثقافات الوثنية وكل ما يدور في فلكها باعتبارها عملاً من عمل الشيطان وترتب على ذلك أن اختلف منهج الكتابة التاريخية عند المسيحيين حيث احتقروا منطق العقل الذي كان سائداً عند اليونانيين واستبدلوا به منهج الإيمان الذي يسهل تصديقه وبالتالي أصبح كل فكر غير مسيحي يعتبر فكراً وثنياً يتصف بالخداع . وقد يَكون هذا هو السبب في ضياع الكتاب الأصلي لأوليمبيودورس .

وينتمي المؤرخ أوليمبيودورس إلى طائفة المؤرخين الوثنيين أمثال جوليان (٣٢١ ـ ٣٦٣ م) ويونابيوس (٣٤٥ ـ ٤٢٠ م) ، وبريسكوس (٤٢٠ ـ ٤٧١ م) وزوسيموس (ق م ٥) . [٢]

---

(2) Julian: The Works of the Emperor Julian, trans. W. C Wright, LCL (London and New York 1913).
Eunapius, FCHLRE, trans. R. C Blockley, (Liverpool, 1983) pp. 2 – 150.
Olympiodorus, In the Fragmentary Classicising Historians of the Later Roman Empire, trans. R. C. Blockley, (Liverpool, 1983). Pp, 151 – 220.
Priscus, FCHLRE, trans. R. C. Blockley, Liverpool, 1983, Pp, 221-400.
Baldwin (B): Evanaplos of Sardis, ODB, p. 745.
Breebart (A.B): Eonapius of Sardes and the Writing of Hist., Mnemosyne, vol. 32, F. 3/4 (1979) pp. 360-375.
Goffart (W): Zosimus.., AHR., p. 412.

نشأته وبدايته وتعليمه :

ولد أوليمبيودورس في طيبة (الأقصر الآن) في صعيد مصر . وغير معروف على وجه التحديد ، لا تاريخ ولادته ولا تاريخ وفاته ، ويعتقد العلماء أن أوليمبيودورس ولد في وقت ما بين سنة ٣٦٥ م و٣٨٠ م [٣] ويجمع الدارسون على أن تاريخ ميلاده كان سنة ٣٨٠ م [٤] وعلى أية حال فإن تواريخ ميلاده كلها تواريخ إحتمالية لا تقريرية ويمكن القول أنه ولد في الربع الأخير من القرن الرابع الميلادي .

يذكر البطريرك فوتيوس [٥] في مكتبته أنه سوف يقرأ أحداث تاريخ أوليمبيودورس التي وقعت في إثنان وعشرون كتاب [٦] بدأت بعصر هونوريس وابن أخيه ثيودوسيوس الثاني سنة ٤٠٧ واستمرت حتى عصر فالينتيان الثالث الذي أعلن نفسه امبراطوراً سنة ٤٢٥ م . [٧]

يبدأ فوتيوس ملخصه من خلال الإشارة إلى أن المؤرخ وصف نفسه بأنه مواطن من طيبة المصرية وأنه شاعر محترف ، وثني الديانة . [٨]

---

(3) Olympiodorus of Thebes, art. in, CDSB, art. in Ency. Britt., art. in Wikipedia, art. in vs, art. in CCE, art. enotes. com, art. in ODB.
(4) Baldwin (B): Olympiodorus of Thebes, art. AC, T. 49, 1980, pp. 212-213, Baldwin (B): Olympiodorus. ODB. P. 1537.
(5) Photius: The Library: vol. 1 (Freez 1920). LXXX. P. 134.
Olympiodorus: R.C. Blockley, FCHLRE, p. 153.
Samuel (A.J): Photius of Constantinople, LQ, vol 2. pp. 285-289.
(6) Photius: The Library: vol. 1, LXXX. p. 134.
Olympiodorus: R.C. Blockley, FCHLRE, p. 153.
(7) Olympiodorus: R.C. Blockley, FCHLRE, p. 153, 209.
(8) Photius: The Library, vol. 1, p. 134.
Olympiodorus: R.C. Blockley, FCHLRE, p. 153.
Zuccli (C): Sulla Cronologia dei "Materiali per una Storia" di Olmpidoro di Tebe., Hestoria, Bd 42, (1993) p. 252-256.
Khazhdan (A) & Tolbot (M.A): Poganism, ODB, p. 1551.

ومن الواضح أن عائلته تنتمي إلى الطبقة الطيبة من طيبة (التي كانت ممتلكاتها كثيرة بما فيه الكفاية ليطلب منهم العمل في البلدية ومجلس المدينة) لأنه وإن لم يكن من رتبة مجلس الشيوخ ، كانت غنية بما فيه الكفاية لإعطائه تعليماً جيداً باللغة اليونانية في منطقة لا يتحدث فيها الناس العاديون إلا القبطية . (٩)

والتعليم الجيد الذي تلقاه أوليمبيودورس أثمر عن إجادته لثلاث لغات اليونانية واللاتينية والقبطية . (١٠)

انتقل أوليمبيودورس إلى أوربا متجهاً إلى القسطنطينية (١١) وعاش هناك حتى أصبح له نفوذ في البلاط الامبراطوري وصار من أهم الشخصيات في الامبراطورية الرومانية الشرقية (البيزنطية) حتى أنه أرسل كمبعوث وسفير إلى قبيلة الهون *Huns* الشهيرة . (١٢) وارتحل أوليمبيودورس في أوربا من شرقها إلى غربها في ربوع اليونان وبين الشعوب الجرمانية القاطنة على البحر الأسود ونهر الدانوب واتجه إلى الغرب وزار روما . ثم عاد إلى مصر وكتب عن حدود مصر الجنوبية حيث شعب البيلمن الخطير في مهمة ربما تكون استخباراتية .

---

(9) Treadgold(w): The Diplomatic Career and Historical Work of Olympiodorus of Thebes. In IHR., vol. 26, No 4 (Dec. 2004) p. 710.
(10) Olympiodorus of Thebes. art. enotes.com.
Drayton (J.H): Pachomius as Discovered in the World of Fourth Century Christian Egypt (Australia 2002) pp. 102-104.
(11) Olympiodorus: R.C. Blockley, F.C.H.L.R.E., p. 153.
Photius: The Library., vol. 1, p 134.
(12) Thompson (E.A): "Olympiodorus of Thebes"., CQ 38/1-2 (Jan-April 1944) p. 43.

وضع أوليمبيودورس تأريخاً لأحداث تغطي الفترة من سنة ٤٠٧ م إلى ٤٢٥ م وقبل تناول هذا الموضوع ينبغي التعرف على نشأة أوليمبيودورس وديانته وثقافته ووظائفه ومصير التاريخ الذي وضعه .

لا يعرف سوى القليل جداً عن حياته ولا توجد معلومات عن أنشطته المبكرة ، ويعتقد عموماً أنه كان متعلماً تعليماً جيداً وعرف عنه أنه سافر على نطاق واسع في قارة أوربا خاصة منطقة شرق البحر المتوسط . وكثيراً ما يوصف كممثل دبلوماسي للإمبراطورية الرومانية. (١٣)

ذكر فوتيوس أن أوليمبيودورس عرف نفسه بأنه شاعر محترف . (١٤) وعرف عنه أنه شاعر وأديب وفيلسوف ولم يكن هذا غريباً فقد كانت مصر وطناً للأدب اليوناني وكان لها تأثيراً بليغاً في مجالات الأدب والشعر وفي الفترة المعاصرة لأوليمبيدورس .

زخرت مصر بعدد من رجال الأدب والشعر الذين جاءوا تحديداً من مدينة (بانوبوليس) *panopolis* إخميم حالياً بمحافظة سوهاج والقريبة جغرافياً من طيبة والتي غدت في وقتها مركزاً للثقافة اليونانية ومعقلاً للشعر والشعراء ، هؤلاء الشعراء كانت حياتهم حياة تنقل بين مدن مصر والإمبراطورية يلقون أشعار المديح لأصحاب المقام الرفيع من رجال الدولة في الإمبراطورية باحثين عن الشهرة والثروة معاً (١٥) وكان أوليمبيودورس من هؤلاء الذين نجحوا في الوصول إلى أعلى المناصب .

---

(13) Baldwin (B): Olympiodorus of Thebes. in AC, T. 49, 1980, p. 214.

(14) Photius: The Library, p. 134.

Olympiodorus: FCHLRE, p. 153.

Charles (s): Olympiodorus of Thebes. art., CDSB (2008).

(15) Cameron, A., "Wandering Poets: A Literary Movement in Byzantine Egypt", Historia 14 (1965) pp. 470-509.

ينبغي الإشارة هنا إلى أن الموهبة الأدبية والغنى المادي كان سبيلاً للحصول على الوظائف الهامة في البلاط الإمبراطوري مثل عائلة " أبيون " التي كانت أحد أبرز العائلات المصرية التي احتل بعض أفراد عائلتها مناصب هامة في القسطنطينية . (١٦)

ومدرسة الشعراء التي ينتمي إليها أوليمبيودورس كانت تضم شعراء مثل الشاعر ننوس *nonnus* والشاعر *pelladas* و *claudian* *pamprepios* . وغيرهم . وكانوا من الشعراء المحترفين المهنيين . (١٧)

سافروا تقريباً في كل أنحاء الإمبراطورية . يتقاضون صوليدس عن كل خط أو مكافأة . وكانوا يقومون بتدريس النحو وإلقاء الشعر في الأماكن العامة . (١٨)

سوى أننا نفهم من خلال المصادر أن إقليم الطبياد الذي ولد ونشأ فيه أوليمبيودورس كان يهتم بالعلم والتعليم لأنه المصدر الرئيسي للتفكير وكانت الثقافة الرومانية قد جاءت إلى مصر لتجد الثقافة الإغريقية عمرها زهاء ثلاث قرون وكان الرومان يفرقون بين مرحلتين تعليميتين مختلفتين .

Brown, G. M., "Harpocration Panegyrista". ICS 2 (1977) pp. 184-196.

Cameron, A., "The empress and the poet: paganism and politics at the court of Theodosius II". YCS 27 (1982) pp. 217-289.

(16)Cameron, A., "Poets and Pagans in Byzantine Egypt" in Bagnall R. S (Ed) Egypt in the Byzantine World 300-700 (Cambridge 2007) pp. 21-46, p. 41.

Polme (B): Flavius Flavianus-Von Herakleopolis Nach Konstantinopole? B. A. S. P 45 (2008) 143-169 p.151.

(17) Kazhdan (A): Poats-Wandering, art. In ODB., p. 1690.

Bell (J.H): Egypt from Alexandria, JRS., p. 172.

(18) Baldwin (B): Olympiodorus of Thebes., art., in ODB., p. 1524.

Nic (F): The Hun Scourge of God AD 375-365 (osprey publishing 2006).

فبالنسبة للمرحلة العمرية في التعليم ما قبل الثانية عشر كانوا يطلقون عليها *impubes* وتعني الطفل الذي لم يصل إلى مرحلة البلوغ أي المرحلة الابتدائية ، أما مرحلة ما بعد الثانية عشر فكانوا يطلقون عليها لفظة *adulescenes* وتعني مرحلة الشباب والنمو الجسدي . (١٩)

وتشير المكتشفات الحديثة إلى أن هناك عدداً هائلاً من قطع الأوستراكا *ostraka* المكتشفة في طيبة بالقرب من معبد الكرنك تعود إلى القرن الثاني والثالث والرابع الميلادي وتشمل هذه القطع تمارين مدرسية لتعليم القراءة والكتابة ودراسة الأدب والخطابة . (٢٠)

لم تكن كسر الفخار المادة الوحيدة المستعملة في التعليم ، على أن الكشوف الأثرية تفيد بأنه كان هناك لوحات خشبية مطلية بالشمع للكتابة عليها كما كان هناك ورق البردي في شكل قطع منفصلة أو متراصة (٢١) الأمر الذي يعطينا صورة عن التعليم الذي تلقاه أوليمبيودورس في تلك المنطقة .

وتشير أيضاً بعض المكتشفات الأثرية إلى أن تعليم اللغة اليونانية استمر خلال العصرين الروماني والبيزنطي وذلك من خلال لوحة من الخشب مطلية بطبقة من الشمع وعليها بعض تمارين الكتابة وهذه اللوحة موجودة في نيويورك بمتحف الميتروبوليتان . (٢٢)

---

(19) Simpson (D. P): Cassell's Latin Dictionary Latin English. (English publishereasell., 1969).
(20) Milne (J. G): Relics of Greco Egyptian Schools., JHS, 28 (1908) p. 21.
(21) Louis (N): L' introduction du Papyrus Dans L' Egypt Greco Romanie. (Paris, 1934), pp. 153-156.
(22) Klein (A): Child Life in Greek Art (New York, 1932) p. 28.

فاللغات المختلفة التي كانت شائعة في إقليم الطبياد في العصر الروماني البيزنطي اليونانية واللاتينية والقبطية حيث كانت اللغة اليونانية لغة العلاقة والتأليف ولغة التفاهم بين الطبقات الراقية ، كما كانت لغة التفاهم أيضاً اللغة المصرية الوطنية المعروفة بالديموطيقية ، لكن هذه اللغة كانت مجرد لغة حديث أنحدرت عن الهيروغليفية ثم ظهرت اللغة القبطية التي أصبحت لغة الكتابة للكتب المصرية وسير الآباء وأقوال المعلمين . (٢٣)

وعلى الرغم من أن أوليمبيودورس درس الأدب والشعر في طيبة وأشعار ومسرحيات مينادر *menandery* ومؤلفات هزيود *hesidus* (٢٤) إلا أن الأسكندرية كانت مطمحاً لأوليمبيودورس حيث كان يذهب إليها الطلاب ليستكملوا دراساتهم العليا في جامعتها الشهيرة . (٢٥)

وعلى أية حال فإن أهم ما كان يوصف به أوليمبيودورس في وقته المعاصر هي وصفه بأنه كان شاعراً وأهم ما نسب إليه من التراث الشعري هي القصيدة الملحمية والتي تتكون من ٨٦ بيت وتسمى *blemyomacbia* والتي تنسب إليه وقد وجدت مكتوبة على ورقة بردي ومدونة باللغة اليونانية . (٢٦)

---

(23) Drayton (J. H): Pachomius as Discovered in the World of Fourth Century Christian Egypt Pachomion Literature and Pachomian Monasticism: pp. 102-104.

(24) Baldwin (B) & Kzhadan (A): Nonnos of Panoplis., art. ODB, p. 1492.

(25) Macken (W. H): Christian Monasticism in Egypt to the Close of the Fourth Century. (London, 1920) p. 140.

Drayton (J. H): op. cit., pp 66-67.

(26) Cavero (L. M): Poems in Context Greek Poetry in the Egyptian Thebaid 200-600 AD (Berlin 2008) p. 11-15.

أما الفلسفة فقد شغف أوليمبيودورس بالفلسفة والفلاسفة حيث درس الفلسفة في الأسكندرية وأثينا مع صديقه السكندري هيروكليس *hierocles* ولونتيوس *Iontius* الأثيني ، وقد أرسل هيروكليز رسالة إلى صديقه أوليمبيودورس عبارة عن أطروحة عنوانها (العناية الإلهية والمصير) والتي فقدت ولم يتبقى إلا ما كتبه البطريرك فوتيوس . وصف فيها عمل أوليمبيودورس بأنه عمل متميز وأشاد بشغفه بالفلسفة وعلق على الخدمات التي قدمها للإمبراطورية من خلال عمله كسفير للعديد من الشعوب والقبائل البربرية . وقدم له المواساة في فقد ابنه المتبنى . (٢٧)

وهناك ما يشير إلى أن الثلاثة أصدقاء ليونتيوس وهيروكليس وأوليمبيودورس قد جمعتهم مدينة أثينا لدراسة الفلسفة وتدريسها . (٢٨)

ففي عهد الإمبراطور الروماني ثيودوسيوس الثاني (٤١٠ ـ ٤٥٠ م) وصلت القسطنطينية إلى مرحلة التفتح الفكري حيث اهتم الإمبراطور وزوجته الذكية بالثقافة والتعليم والأدب والخطابة ، كما جمع القانون الروماني وقام بتنسيقه واحتضن الكثير من الشخصيات الوثنية ومؤرخي الكنيسة مثل أوليمبيودورس وسقراط وفيلوستورجيوس . (٢٩)

---

(27) Photius: The Library, pp. 134-135.
Treadgold (W): The Diplomatic Career., p. 711.
Gillett (A): The Date and Circumastances of Olympiodorus of Thebes. In Traditio, vol. 48 (1993) p. 14.
(28) Treadgold (W): The Diplomatic Career., p. 712.
(29) Harris (Jill): Socrates of Constantinople. Historian of Church and State. Art. JHS, vol. 119 (1999). P. 216.
Marasco (G): The Church Historians., GRHLA, (2003) pp. 57-88.
Baldwin (B): Sokrates, ODB, p. 1923.
Mathews (J.F): Emperor and his Historians, CGRH, pp. 290-304.

وكـان بـلاط الإمبراطـور ثيودوسـيوس الثـاني ذا بيئـة سـعيدة للـوثني الموهوب بشكل عام . ربما يتضح ذلك من رعاية الإمبراطور وزوجته للتعليم والرسائل الهيلينية . فقد سادت درجة من التسامح مع الوثنية وكانت مدينة بـانوبوليس المصـرية وشـعراءها تحظـى بالهيمنـة علـى الحيـاة الأدبيـة في القسطنطينية . (٣٠)

وصل أوليمبيودورس إلى مكانة مرموقة في بـلاط ثيودوسيوس مكنته مـن مسـاعدة لونتيـوس *leontios* مـن الفـوز بكرسـي الخطابـة فـي أثينـا سنة ٤١٥ م . (٣١)

حيث كان يعد أوليمبيودورس من الشخصيات ذات التأثير البعيد في كرسي الخطابة في أثينا إلى جانب الخطيب المشهور لونتيوس . وهناك قام بتأليف العديد من القطع النثرية الكلاسيكية . (٣٢)

أما عن ديانته يتفق المؤرخون (٣٣) الذين نقلوا عنه أنه كان وثنياً علـى الـرغم مـن أن البقعـة التـي ولـد ونشـأ فيهـا والتـي انتقـل إليهـا عرفـت المسيحية ، كما أنه لم يكن يهودياً .

---

(30) Gillet (A): The Date and Circumastances Traditio, vol. 48m p. 16.

(31) Buck (D. F): Did Sozomen Use Eunaplus "Histories"?. art., MH, vol. 56, No. 1 (1999), (pp. 15-25), p. 17.

(32) Olympiodorus: R.C. Blockley, FCHLRE, pp 193-199.
Thompson (E. A): Olympiodorus of Thebes. Art. C. Q, vol. 38 No. 1/2 (Jan-Apr., 1944) p. 43.

(33) Photius, Philostorgius, Zosimosm Sozomenos.,
Baldwin (B): "Zosimus and Asinius Quariratus" art., CP, vol. 74, No. 1 (Jan 1979), p. 58.

ابتعد أوليمبيودورس عن المسيحية . ربما لأن الزمن الذي وجد فيه اتسم بالجدل المرير ، ولذلك جاهد في تجنب العداوات والكراهية الناجمة عن الاختلافات اللاهوتية .

وربمـا تـأثر أوليمبيـودورس الـذي عـرف عنـه أنـه درس العلـوم الكلاسيكية والفلسفة واطلع على مؤلفات الفيلسوف الإمبراطور جوليان المرتد (٣٦١ ـ ٣٦٣ م) [٣٤] والتي كانت ضد المسيحية حيث كان ينعت الرهبان المسيحيين بالجهل وأنهم دخلاء على المثقفين والمتعلمين . [٣٥]

لكن هناك ما يؤكد أنه على الرغم من كون أوليمبيودورس وثنياً فلم يعرف عنه أنه كان متعصباً أو مكافحاً لها كما ذكر البطريرك فوتيوس . [٣٦]

وهناك ما يفيد بأن المؤرخ سوزومينوس *sozomen* كان لديه نفور من المصادر الوثنية ولولا أن أوليمبيودورس كان نوعاً مختلفاً جداً عن الوثنية المعروفة في ذلك الوقت حيث لم يعرف عنه أنه كان من المستميتين في الدفاع عنها . وربما هو السبب الذي أثمر على أن يكون الكتاب التاسع من تاريخ سوزومين عن تاريخ أوليمبيودورس . [٣٧]

---

(34) Julian: The Works of the Emperor Julian, trans. W. C. Wright (London and New York 1913)., vol. 1, p 28.
(35) Julian: Against the Christian, Trans. Th. Taylor (Chicago, 1980).
Gillet (A): The Date and Circumastances, Traditio, vol. 48, p. 16.
(36) Buck (D. F): Did Sozomen Use Eunaplus., MH, p. 17.
Gillet (A): The Date and Circumastances., p. 16.
(37) Buck (D. F): Did Sozomen Use Eunaplus., MH, p 16.
Leppin (H): The Church Historians., pp. 219-254.

الملاحظ أيضاً أن أوليمبيودورس كان يعتقد في السحر والآلهة التقليدية وبعض الصفات الأفلاطونية الحديثة *neopletonic* ولكنها ليست كافية لتسمية عمله بالأفلاطونية الحديثة . (٣٨)

وعلى أية حال فإنه على الرغم من إنتشار المسيحية إلا أن الصعيد بشكل عام كانت الوثنية فيه ما تزال تتمتع بقوتها ويتضح من البرديات أن الوثنيين حينما كان يضيق بهم الأمر كانوا يفرون إلى الصعيد (٣٩) ويكفي أن تعرف أن مدينة أخميم *panopolis* كانت تمثل قلعة الوثنية الخصيبة في الصعيد . (٤٠)

أوليمبيودورس في أوربا :

ارتحل أوليمبيودورس إلى أوربا وأول حدث معروف في حياة ألمبيودورس هي تكليفه بمهمة دبلوماسية إلى الهون سنة ٤١٢ م على البحر الأسود (٤١) كسفير للإمبراطورية الرومانية نيابة عن الإمبراطور الشرقي ثيودوسيوس الثاني (٤٠٨ ـ ٤٥٠ م) (٤٢) وزيارته إلى الهون موثقة في تاريخه . (٤٣)

(38) Cavero (L. M): Poems in Context Greek Poetry., p 11.
Harl (K.W): Sacrifice and Pagon, Byzantium, (1990) p. 18.
(39) Bell (H. I): Evidences of Christianity in Egypr During the Roman Period. in HTR, vol. XXXVI Part. 2 July 1944, pp. 190-204.
(40) Chadwick (H): The Early Church (penguin books 1974), p. 172.
(41) Baldwin (B): Olympiodorus of Thebes ODB, p. 1537.
(42) Gregory (T.E) & Culter (A): Theodosios II, ODB, pp. 2051-2
(43) Olympiodorus: R.C. Blockly, FCHLRE, pp. 167-169.

والهون [٤٤] قبائل رحل من العنصر المغولي عرفوا في أوطانهم الآسيوية باسم هسيونج . هو *husinung – hu* عاشوا في أعالي النهر الأصفر (هوانج هو) شمال ولاية كان . سو *kan – sou* الصينية . [٤٥]

شقت قبائل الهون طريقها متجهة إلى سهول روسيا الجنوبية (شمال البحر الأسود) أواخر القرن الرابع الميلادي عندما دفعتها من الوراء تحركات غامضة قامت بها قبائل الأورال . الطائية في وسط آسيا . نظراً لزيادة أعدادها زيادة هائلة ونشوء صراع وحروب بينهما . وإن كان البعض يعزو تحرك الهون إلى تغييرات مناخية أثرت تأثيراً بالغاً جعلتهم يهاجرون من أماكنهم . [٤٦]

وكان الهون من مجموعة الشعوب الآسيوية الرعوية والتي كانت تبدو في أول الأمر بعيدة جداً عن حدود الإمبراطورية الرومانية إذ ظلت تعيش في سهول آسيا تتنقل من مرعى إلى آخر تبعاً لظروف الأمطار والمناخ . [٤٧]

زحف الهون إلى أوربا ناشرين الدمار والخراب في المناطق التي يمرون بها ، وكان ضغطهم هو المحرك الفعال لتدفق الجرمان على حدود

---

(٤٤) اختلف المؤرخون حول أصل الهون فمنهم من يرجع بأصولهم إلى الأصل المغولي والبعض يرجعهم إلى الأصول التوراتية وأيضاً إلى التركية . أنظر :

Painter (S): A Hist. of the Middle Ages 248-500 (N. Y 1953) p.22, Vasiliev (A. A): A History
of the Byzantine Empire 324-1453 (U. S. A 1958) vol. 1, p. 86.
(45) Lot (F): Les Invasion Germaniques (Paris 1931). pp. 52-54.
Cantor (N. E): Medieval History, The Life and Death of Civilization (U.S.A 1969). P.117.
(46) Hoyt (R.S) & Chodorow (S): Europein the Middle Ages (U.S.A 1975) p. 61.
(47) Cam. Med. Hist. vol. 1, pp 323-6.

الإمبراطوريـة وعجـزت كثيـر مـن الشـعوب الجرمانيـة الوقـوف أمـام زحفهـم العاصف حيث وقع تحت وطأتهم وسيطرتهم شعوب مثل القوط والصقالبة والآلان والجيبداي والسلاف وغيرهم حتى شيدوا إمبراطورية ضخمة . جعلوا مقرها في سهل هنغاريا (المجر) . وبلغ بلاط الهون منزلة عالية من الثراء بهرت عيون السفراء الوافدين . (٤٨)

والأباطرة الرومان في ذلك الوقت استشعروا أن الحضارة الرومانية كانت تترنح وفي طريقها للإنحلال عندما بدأ الجرمان يتطرقون إلى جسم الإمبراطوريـة الرومانيـة عـن طريـق الغـزو المفـاجئ السـريع أو عـن طريـق التسلل الهادئ البطئ . (٤٩)

بـل وصـلت غطرسـة الهـون أن شـعروا أن أراضـي الإمبراطوريـة الرومانية الشرقية قد أصبحت قاب قوسين أو أدنى من السيطرة عليها لذا حاول قواد بيزنطة التفاوض تارة واستخدام المال تارة . إلا أن إجابتهم كانت على حد تعبير أحد قادتهم أنه من السهل عليه أن يخضع الأراضي كلها التي تشرق عليها الشمس . (٥٠)

لذا كانت الإمبراطورية تستخدم كل الطرق المباحة وغير المباحة للتعامل مع الهون كالتفاوض أو المال أو إرسال جواسيس . (٥١)

---

(48) Ammianus Marcellinos: Resgestae. Trans. J. Rolfe, (London 1935), vol. 3, pp 435-437, ostrogorsky (G): Hist. of the Byzantine State-trans. J. Hossay (London 1968) p. 52.
Hoyt (R.S) & Chadorow (S): op. cit., p. 67.
Thompson (E.A): The Huns (U.S.A 1996) pp 26-30.
(49) Stephenson (C): Medieval History (New York 1942), p. 68.
(50) Sozomen: op. cit., p. 33.
Thompson (E.A): The Huns (U.S.A 1996). P. 67.
(51) Sozomen: op. cit., p 34.

كلف أوليمبيودورس بأن يكون على رأس هذه البعثة الدبلوماسية سفيراً من الإمبراطورية إلى الهون . [٥٢] وفي هذه المهمة التي قام بها يقدم أوليمبيودورس وصفاً مأساوياً لتهديدات الطريق الذي سلكه شمال البحر الأسود وعبر الشعوب القاطنة للوصول إلى الهون . [٥٣]

وصلت السفارة وقابلت الملك الهوني دوناتوس الذي قتل فجأة تزامناً مع وصول السفارة الأمر الذي سبب حرجاً وشكوكاً حول السفارة . [٥٤]

وحمل شاراتون خليفة دوناتوس على عرش الهون ، الرومان مسئولية مقتله غير أن أوليمبيودورس استخدم المال والهدايا التي أرسلها الإمبراطور لتهدأ استياؤه . [٥٥]

أما عن الملاحظات التي دونها أوليمبيودورس عن الهون فقد سجل موهبة ملوكهم المتفردة في الرماية [٥٦] كما أشار إلى نظام تولي قادتهم للحكم ، فلهؤلاء القادة نوع من الترتيب الداخلي ربما يشبه الشكل الهرمي للوصول إلى كرسي الحكم بما يؤكد وجود آلية محددة عملت على الحفاظ على تماسكهم . [٥٧]

Bury (J.B): History of the Later Roman Empire (U.S.A 1958), vol. 1, p. 27.

(52) Treadgold (W): The Diplomatic Career and Historical Work., IHR, p.

(53) Mathews (J.F): Olympiodorus of Thebes and the Hist. of the West (A.D. 407-425)., J.R.S, vol. 60 (1970) pp. 79-97.

(54) Olympiodorus: R.C. Blockly, FCHRE., p. 163.

(55) Olympiodorus: R.C. Blockly, FCHRE., p. 163.

(56) Thompson (E.A): Olympiodorus of Thebes., CQ, vol. 38. No. 1,

(57) Heather (P.): The Huns and the End of the Roman Empire in Western Europe., EHR, vol. 110, No. 435 (Feb. 1995) p. 11.

كانـت رحلـة أوليمبيـودورس إلـى الهـون رحلـة استكشـافية غرضـها التعرف على أصول وعادات الهون . (٥٨)

لا ينسى أوليمبيودورس في عرضه التاريخي ذكر البغبغاء الذي كان يصاحبه منذ عشرين عاماً والذي ذكر أنه كان يرقص ويغني ويقلد ويدعو الأسماء بل أنه يقول أنه لم يكن هناك أي عمل بشري يستعصي على هذا البغبغاء تقليده . (٥٩)

كانت سفارة أوليمبيودورس إلى الهون سفارة ناجحة غير أن اغتيال دوناتوس كان في نفس ليلة وصول أوليمبيودورس ولولا نجاح أوليمبيودورس فـي توظيـف الهـدايا التـي أحضـرها مـن القسـطنطينية لكـان للسـفارة شأن آخر . (٦٠)

وعلـى الـرغم مـن الشـبهة التـي ألمـت بسـفارة أوليمبيـودورس لكـون الاغتيـال حـدث مـع وصـول السـفارة إلا أن المهمـة المكلـف بهـا مـن القسطنطينية كـان لا بـد مـن استكمالها لكونهـا مهمـة شـديدة الحساسية كمـا وصفت . (٦١)

غير أن اسم " دوناتوس " ملك الهون قد لفت نظر الباحثين حيث أن الاسم من الأسماء الرومانية ويرجح معظم الباحثين تفسير هذا أنه ربما يكون اسم لأحد الضباط الرومان أو أحد المسئولين الرومان الذين هاجروا إلى الهون في وقت سابق . (٦٢)

---

(58) Mathews (J.F): Olympiodorus of Thebes, JRS, vol. 60, p. 88.
(59) Olympiodorus: R.C. Blockly., FCHRE., p. 199.
(60) Lee (A.D): Abduction and Assassination: The Clandestine Face of Roman Diplomacy in Late Antiquity. art. IHR, vol. 31, Np. 1 (Mar., 2009) p. 8.
(61) Lee (A.D): op. cit., p.9.
(62) Treadgold (W): The Diplomatic Career, IHR, p. 714.

علـى أيـة حـال فمـن اللافت للنظـر فـي وقـت غيـر محـدد سـابق أو لاحق لسفارة أوليمبيودورس إلى الهون استشعرت السلطات في القسطنطينية تهديداً خطيراً لممتلكاتها الأوربية في البلقان ، لذا قامت ببناء جدران وقلاع عظيمة غرضها رد الهجمات . (٦٣)

كما صدرت الأوامر بإعادة النظر إلى حدود الإمبراطورية من حيث حراساتها ودراسة جميع الأساليب التي يمكن أن يستخدمها الهون لاختراق هذه الحدود وتقوية وسائل الدفاع في جميع المقاطعات القريبة منها والبعيدة سواء كانت البحرية أو السواحل أو الجزائر . (٦٤)

ولعل خطورة الهون دفعت الإمبراطور ثيودوسيوس الثاني إلى بناء أسوار عرفت باسمه على الجانب البري لمدينة القسطنطينية . والتي امتدت خلف أسوار الإمبراطور قنسطنطين من بحر مرمرة جنوباً حتى القرن الذهبي شمالاً . (٦٥)

لكن السؤال الذي يقفز هنا ما الذي دفع البلاط الإمبراطوري لاتخاذ أوليمبيودورس مبعوثاً دبلوماسياً لها خاصة وأن الإمبراطورية كانت تدقق في اختيار مبعوثيها الدبلوماسيين . (٦٦)

Thompson (E.A): A History of Attila and the Huns (Oxford 1943) pp. 8-34.

(63) Heather (P): The Huns .., p.18.

(64) Thompson (E.A): The Huns (U.S.A 1996) p. 34.

(65) Whitby (M): "The Long Walls of Constantinople", BT. IV (1985) pp. 560-583.

Vasilive (A.A): A Hist. of the Byzantine Empire (U.S.A 1958) pp. 129.130.

Ebersolt (I.C.F): Constantinople (Paris 1951) pp. 13-14.

(66) Chrysos, E., "Byzantine Diplomacy, A.D. 300-800: Means and Ends". In: Byzantine Diplomacy: Cambridge, March 1990, p. 31.

هل هو معيار القدرات البلاغية والخطابية والمستمد من الموروث اليوناني . الروماني حيث كان الفلاسفة وجهاً مألوفاً في سفارات العالمين اليوناني والروماني . (٦٧)

أم كان هناك اختباراً نجح أوليمبيودورس في اجتيازه ليصبح مبعوثاً دبلوماسياً . فقد جاء ما يفيد بنشاط الإمبراطورية الدبلوماسي " أن أي مبعوث دبلوماسي يجب أن يختبر قبل أن يرسل في سفارة عن طريق تقديم قائمة من الموضوعات ، ويسأل فيها عن كيفية معالجته لكل منها في ظل ما يحيط بهذه المواقف من الظروف والملابسات " (٦٨) وإن كان هذا تقوم به الإمبراطورية من باب نقل الخبرات .

والحق أن الإمبراطورية كانت كثيراً ما تستخدم أكثر من معيار في اختيار مبعوثيها في سفارات الخارج فإلى جانب المعيار الوظيفي وما به من الخبرة المكتسبة فهناك معيار آخر وهو توظيف الأصل العرقي والجغرافي ليتناسب مع الجهة الموفد إليها . (٦٩)

وعلى الرغم من أن ما سبق لا ينطبق بشكل كبير على أوليمبيودورس إلا أن المؤكد أن إدارة الإمبراطورية وجدت أن خير من يقوم

---

(67) Julian, "On Behalf of the Argives", in: The Works of the Emperor Julian, trans, W.C. Wright, 3 vols, (London, 1913-1923), I, pp. 93-96.
Lyons, (E. Z.), Hellenic Philosophers as Ambassadors to the Roman Empire: Ph. D. Thesis, (The University of Michigan, 2011).
(68) Anonymous: "The Anonymous Byzantine on Strategy" in Three Byzantine Military. Treaties ed & Trans. Dennis (G.T) (Washington 1985) pp. 1-136, esp 127.
(69) Philostorgius: Church History., pp 40-43.
Vasiliev (A): Goths in the Crimea (Cambridge 1936). Pp. 22-23.
Pritsak (O): Samation., O.D.B., p. 1844.

بهذه المهمة هو أوليمبيودورس المصري الجنسية . ربما لتوفر عنصر لم تفصح عنه المصادر تحديداً .

كانت المحطة الثانية لأوليمبيودورس هي الرحلة إلى أثينا التي كانت حوالي سنة ٤١٠ م والتي كانت تمثل له أكثر من مجرد رحلة فهي رحلة إلى الأجواء الأفلاطونية الجديدة في تلك المدينة التي كان له نشاط علمي وفكري كبير [٧٠] كما سبق أن ذكرنا .

بعد ذلك عاش أولمبيودرس في بلاط الإمبراطور ثيودوسيوس الثاني إمبراطور الشرق البيزنطي فترة من الزمن ليعود إلى مصر بتكليف من الإمبراطور في رحلة إلى جنوب مصر في مهمة استخباراتية . [٧١]

وكانت مصر التي كانت من أهم ولايات الإمبراطورية الرومانية تدور في الفلك البيزنطي وزيارة أوليمبيودورس جاءت في فترة كانت تصاحبها ظروف فوضوية إعترت حدود الإمبراطورية الرومانية نتيجة قلق على تلك الحدود ، فكان لا بد من من الوقوف على تلك الأوضاع هناك من خلال شاهد عيان . [٧٢]

وعلى الرغم من قيام الإمبراطورية الرومانية بنشر سلسلة من القلاع الحربية المنيعة على رأسها فرق عسكرية في المنطقة الواقعة أقصى جنوب

---

(70) Olympiodorus: In FCHLR., R.C. Blockly, p.195.
Baldwin (B) & Baldwin (H): Olympiodorus of Thebes. art. AC., T. 49 (1980) pp. (212-231). P. 214.
Mathews (J.F): Olympiodorus of Thebes and the History of the West (A.D 407-225). JRS, vol. 60. (1970) pp 79 -97, p 80.
(71) Olympiodorus: R.C. Blockly., FCHLRE., p. 195.
Amelinaeu (E): La Geographie de L' Egypt. A L' Epopuecopte (Paris 1893).
(72) Kirwan (L.P): Nubia, p. 49.

مصـر حتـى قـرب مدينـة حلفـا . [٧٣] إلا أن الأمـر كـان يحتـاج إلـى متابعـة الوضـع هناك .

ففيمـا بـين القـرنين الثالـث والسـادس الميلاديـين كـان يحتـل النوبـة جنسـان مختلفـان " البلمـين *blemmys* والنوباتـاي " . وكـان البلمـين قـد استقروا أقصى جنوب مصر في الصحراء الشرقية بين النيل والبحر الأحمر وقد وصفهم المؤرخ أميانوس مارسلينيوس بأنهم محاربين نصف عرايا . [٧٤]

وكـان الإمبراطـور دقليديانوس قد أنهـى هجمـات البليميين (البجـة) *Blemmyes* سنة ٢٩٧ م بمنحهم منطقة النوبة حتى جزيرة فيلة في مقابل حمايتها وسلامتها . [٧٥]

زار أوليمبيـودورس إقلـيم البليميـين *Blemmyes* واسـتقبل بترحـاب وسجل هذه الزيارة في التاريخ الذي وضعه حيث ذكر أنه بينما كان يقضي الوقت في منطقة طيبة وأسيين (أسوان) يقوم بأبحاث تاريخية كان (زعماء) البرابـرة (الـبلمن) فـي منطقـة (تلمـيس) كـانوا حريصـين علـى مقابلتـه لشهرته .. " وأخذوني ، كما يقول حتى تلميس (فيله) ذاتها حتى أنني قمت بدراسة كل هذه المناطق التي تبعد عن فيله بنحو خمسة أيام إلى أن وصلت

---

(73) Jones (A.H.M): The Decline of the Ancient World (London 1943). P.212.
Kirwan (L.P): Nubia., p. 48.
Jones (A.H.M): The Decline of the Ancient World (London 1943). P.212.
Emery (W.B): Egypt in Nubia (London 1964).
(74) Olympiodorus: R.C. Blockly., FCHLRE., p. 199.
Hitchner (R.B) & Kazhdan (A): Art. Blemmyes. In ODB, p. 296.
(75) Olympiodorus: R.C. Blockly., FCHLRE., p. 195.
Dijkstra (J.H.F): Religious Encounters on Southern Egyption., p. 10.
Hitchner (R.B) & Kazhdan (A): Blemmyes, p. 296.

جنوباً إلى مدينة بريما (إبريم) . وهي أول مدينة تتيع طيبة يقابلها في منطقة البلمن البرابرة ولذلك سماها الرومان في لغتهم (بريما) أي الأولى . ومدن أخرى مثل (فينكون) و (كيريس) و (تافيس) و (تلميس) ويقول أنه في هذه الأماكن مناجم الزمرد والذي كان متوفراً لدى ملوك مصر ويذكر أوليمبيودورس أن الزعماء سمحوا له أن يرى هذه المناجم التي لم يكن يسمح برؤيتها إلا بإذن ملكي " . (٧٦)

ويتساءل أحد الدارسين كيف لم يذكر أوليمبيودورس أي شئ عن النوبيين أو غزواتهم ؟ . . . ربما لأن الأحداث التي تخصهم جاءت في وقت لاحق على زيارته في الربع الثاني من القرن الخامس الميلادي . وبرديات ليدن التي ترجع تاريخها على الأرجح إلى هذه الفترة تشير إلى أن أبيون *appion* أسقف أسوان وألفنتين (الجزيرة المواجهة لأسوان) قد وجه نداء إلى كل من الإمبراطور ثيودوسيوس وفالنتيان يطلب فيها حماية كنائسهم وجزيرة فيله من هجمات البلمن . (٧٧)

انتقل أوليمبيودورس إلى الواحات المصرية التي تقع في الصحراء الغربية لمصر بملاصقة الصحراء الليبية والتي وصفها المؤرخ أسترابون بأنها " مثل جلد النمر المرقط لأنها بقعاً مسكونة تحيط بها أرض قاحلة لا ماء فيها " . . . وفي موضع آخر بأنها " جزر في بحر " . (٧٨)

---

(76) Olympiodorus: R.C. Blockly., FCHLRE., p. 199.
Littman (E) & Meredith (D): Nabatean from Egypt., p. 337; Torok (L): The Blemyes in Lower Nubia, p. 75.
(77) Kirwan (L.P): Nubia and Nubian Origins., p. 48.
(78) Strabon: The Geography of Strabo., L.C.L, Translated by Jones (H.L) 8 vols (London 1967) vol. 5, pp 33-34.

كتب أوليمبيودورس عن الواحات وتحديداً الواحة الكبرى حيث يروي العديد من القصص الرائعة ويقول أن المناخ هناك جيد ويشير إلى كثرة عيون الماء النقية والتي يتدفق منها بوفرة على سطح الأرض والتي يستفيد منها ملاك الأراضي في ري حقولهم بالتناوب فيما بينهم . كما تقاسم هؤلاء حفر العيون والآبار وسحب المياه . . . . والمياه والهواء النقي جعلت المكان مكاناً للاستشفاء . . ولم ينس الإشارة إلى مساحات الرمال الشاسعة . . وأشار إلى أن الزراعة كانت متنوعة مثل زراعة الفاكهة والشعير والقمح الذي يتميز بجودته العالية . ويذكر أوليمبيودورس أن الشعير كان يزرع أحياناً هناك مرتين في العام . أما حبوب الدخن *millet* فكانت دائماً تزرع ثلاث مرات في العام . . . ذكر أيضاً أن سماء الواحات كانت دوماً صافية ونادراً ما نجد الغيوم . . . ويعزو خصوبة التربة إلى أن المزارعين هناك كانوا يروون أرضهم مرة كل ثلاث أيام في الصيف وكل ستة أيام في الشتاء . ولاحظ أوليمبيودورس أيضاً أن سكان الواحات كانوا يستخدمون المزاول الساعات الشمسية . (٧٩)

لم ينس أوليمبيودورس عند ذكره للواحات أن يذكرنا بأن هيرودوت تكلم عن هذه الواحات في السفر الكبير الذي وضعه . (٨٠)

عاد أوليمبيودورس إلى أوربا وكانت له محطات كثيرة توقف عندها يكتب عن القوط وملكهم ألارك . ومدينة روما وإيطاليا وتراقيا ، والقائد الوندالي ستيلكو وصقلية وبريطانيا . وغير ذلك من الأحداث ليغطي تاريخه

(79) Olympiodorus: R.C. Blockly, p. 195.
Beadnell (H.J.L): An Egyptian Oasis, An Account of Oasis of Kharga (London 1909). p. 107.
(80) Olympiodorus: R.C. Blockly, p. 195.

جزء كبير من أحداث الإمبراطورية الرومانية في الغرب من عهد الإمبراطور هونوريوس إلى تتويج فالنتيان الثالث . (٨١)

ذلك أنه حدث عند وفاة الإمبراطور ثيودوسيوس العظيم (٣٧٨ ـ ٣٩٥ م) أن قسمت الإمبراطورية بين ولديه فكان القسم الشرقي وعاصمته القسطنطينية تحت حكم أركاريوس (٣٩٥ ـ ٤٠٨ م) . والقسم الغربي وعاصمته رافنا بشمال إيطاليا تحت حكم هونوريوس (٣٩٥ ـ ٤٢٣ م) . (٨٢)

وفي ذلك الوقت كانت الإمبراطورية تعاني من المتاعب حيث أخذ نفوذ الجرمان السياسي والحربي يزداد قوة في عمق الإمبراطورية ، فاعتمد أركاريوس في الشرق على روفينوس *Rofinus* وهو وزير قوطي . واعتمد هونوريوس في الغرب على القائد الوندالي القدير ستيلكو *Stilicho* . ومنحه تفويضاً حربياً كاملاً . (٨٣)

مما أظهر ضعف الشخصين في مجابهة الأمور وصاحب انقسام الإمبراطورية إلى قسمين تحول خطير في السياسة الرومانية مع الجرمان . ذلك أن أباطرة القسم الشرقي عمدوا إلى حل المشكلة الجرمانية على حساب القسم الغربي .

---

(81) Olympiodorus: of Thebes. art., enotes.com.
(82) Cantor (N.E): Medieval History the Life and Death of a Civilization (U.S.A 1969) pp. 117-8.
Lot (F) & Ganshof (F): Les Destinean de L'empire en Occident 395-888 Tomel (Paris 1928) p. 24.
(83) Camb. Med. Hist., vol. 1 (1963) p. 260.

وقد سار على نفس السياسة الإمبراطور ثيودوسيوس الثالث ابن أركاريوس الذي تولى عرش الإمبراطورية في الجانب الشرقي سنة ٤٠٨ . وارتبط اسم أوليمبيودورس بهذا الإمبراطور . (٨٤)

تحدث أوليمبيودورس (٨٥) عن القوط وملكهم ألارك وتحركاتهم في الغرب ووصف التدابير المتخذة ضدهم من قبل الإمبراطور هونوريوس والقوط شعب جرماني عبروا البحر البلطي من جنوب شبه جزيرة إسكندیناوه في القرن السادس قبل الميلاد حتى وصلوا مصب نهر الفستولا حيث استقروا في حوض الدنيسبر الأدنى والساحل الشمالي للبحر الأسود . (٨٦)

ثم انقسم القوط إلى فرعين كبيرين وعرفوا باسم القوط الغربيين وقد استقروا في دلماشيا والبلقان ، والقوط الشرقيون وقد استقروا فوق سهول روسيا الجنوبية (٨٧) مع ملاحظة أنه لم يكن هناك علاقة بين الموقع الجغرافي وتقسيم القوط إلى شرقيين وغربيين إذ أن الأمر لا يعدوا إلا أنه كان خطأ أكتسب صيغة الصواب بحكم تواتره في المراجع التاريخية . ذلك أن ترجمة لفظ *visigoths* الذي تعبر عنه المراجع بالغربيين معناه القوط

(84) Olympiodorus: R.C. Blockly, p. 153.
Baldwin (B): Olympiodorus of Thebes, ODB, 537.
(85) Olympiodorus: R.C. Blockly, p. 189.
(86) Copeland (W.O.L): The Germanic Invaders, Their Orginins and Culture, Universal Hist. of the World. Edited by Hammerton (H.A) (No Date) vol. 4, p. 2212.
Deanesly (M): A Hist. of Early Medieval Europe. (London 1960). p. 26.
Lot (F): The End of the Ancient World and the Beginning of the Middle Ages (London 1931) p. 191.
(87) Moss (H.S): The Birth of the Middle Ages (Oxford 1947) p. 44.
Heather (P) & Mathees (S): The Goths in Fourth Century (Liverpool 2004).

الأذكياء *wisegoths* ولفظ *ostrogoths* والذي تعبر عنه المراجع بالقوط الشرقيون معناه القوط الساطعون "*bright goths*" . (٨٨) والملاحظ أن أوليمبيودورس حين تناول القوط لم يشر بالمرة إلى هذه المسألة . (٨٩)

وقد ظهر خطر القوط واضحاً منذ منتصف القرن الثالث الميلادي عندما اشتدت إغاراتهم البربرية على أملاك الإمبراطورية واشتدت بعد أن اختار القوط الغربيون ألاريك *Alaric* ملكاً عليهم وهو من أحد البيوت القوطية العريقة المعروفة باسم بالثي *Balthi* والتي تعني الشجعان . (٩٠)

تناول أوليمبيودورس محاولات ألاريك في تدمير الإمبراطورية وتفتيت النفوذ الإمبراطوري . وكيف قام بغزو إيطاليا أكثر من مرة ومحاولات الإمبراطور هونوريوس صاحب القسم الغربي الدفاع عنها . (٩١)

تناول أوليمبيودورس أيضاً المجاعات والأوبئة التي تعرضت لها روما أثناء الحصار وكيف كانت كل الأجزاء الغربية من الإمبراطورية في حالة ارتباك . (٩٢)

والمستعرض لتاريخ أوليمبيودورس يتأكد أن البطل الحقيقي للأحداث التي تعرضت لها الإمبراطورية في الغرب هو القائد البربري ستيلكو الذي نجح في إدارة العمليات الحربية باقتدار أمام القوط ونجح في الحد من طموحات ألاريك . (٩٣)

---

(88) Lot (F): The End of the Ancient World., p. 191.
(89) Olympiodorus: R.C. Blockly., p. 189.
(90) Bradley (H): The Goths (London 1887) p. 85.
Sass (K): Alaric King of the Visigoths (Marquette Univ. 2002).
(91) Olympiodorus: R.C. Blockly, p. 159.
(92) Olympiodorus: R.C. Blockly, pp. 159-161.
(93) Olympiodorus: R.C. Blockly., p. 157.
Bradley: The Goths., p. 66.
Orton (O): The Shorter Cam. Med. Hist., vol. 1, p. 57.

ذكر أوليمبيودورس كيف تخلص الإمبراطور هونوريوس من القائد ستيلكو بعد أن ازداد نفوذه ازدياداً خطيراً حتى أوشك أن يصبح الحاكم الفعلي في الدولة . وهو الجرماني الأصل . وجرى اعتقاله وإعدامه بتهمة الخيانة سنة ٤٠٨ م . (٩٤)

وجد هونوريوس نفسه وجهاً لوجه أمام الزعيم القوطي آلاريك الذي لم يدع الفرصة تفلت من يديه فدبر لغزو روما . ولم يصنع هونوريوس شئ حيث كان آمناً في عاصمته الجديدة راڤنا . وقد تحدث أوليمبيودورس عن كيف نهب القوط وكيف أحرقوا واستولوا على ثروات الرومان . وما ألم بالعاصمة من مجاعة وصلت إلى أكل لحوم البشر . (٩٥)

وعلى الرغم من ذلك فقد أشار أوليمبيودورس إلى أن المدينة لم تتعرض للإبادة الكاملة وأن كنيسة القديس بطرس العظيمة الواسعة كانت ملاذاً للناجين . (٩٦)

وعلى أية حال ينبغي الإشارة إلى أن هذه هي المرة الأولى التي دخل فيها البرابرة مدينة روما . منذ أن خربت على يد هانيبال عام ٢١٦ قبل الميلاد . (٩٧)

---

(94) Photius: The Library, vol. 1, Lxxx pp. 134-135.
Olympiodorus: R.C. Blockly, p. 157.
(95) Photius: The Library, pp. 134-135.
Olympiodorus: R.C. Blockly, p. 169.
Lot (F): The End of the Ancient World, p. 204.
(96) Olympiodorus: R.C. Blockly, p. 169.
(97) Pirenne (H): A History of Europe (London 1961) p 28.
Cantor (N.E): Medieval History., pp. 76-77.

كمـا أن آلاريـك تـرك رومـا بعـد أن تركهـا خرابـاً موحشـاً ولـم يحقـق أحلامه وتوفي سنة ٤١٠ م . (٩٨)

تعرض أيضاً المؤرخ أوليمبيودورس بالحديث عن أخت الإمبراطور هونوريوس وابنه الإمبراطور ثيودوسيوس الأول الأميرة جالا بلاسيديا *Galla Placidia* . وكانـت هـذه الأميـرة قـد وقعـت أسـيرة بعـد سـقوط رومـا فـي يـد أثولـف *Athaulf* الـذي خلـف آلارك . . . وكـان قـد عاملهـا معاملـة طيبـة جعلتهـا تقـع فـي حبـه . وتقبـل الـزواج منـه ، هـذا الـزواج الـذي عارضـه قنسطنطيوس قائد الجيش الروماني الذي خلف ستيلكو لأنـه كـان يـود الـزواج من بلاسيديا . وحاول منع هذا الزواج بتحركات عسكرية ضد القوط غير أن هـذه المحـاولات بـاءت بالفشـل وتـم زواج أثولـف مـن بلاسـيديا حيـث قـدم أوليمبيودورس وصفاً رائعاً لحفل الزواج . (٩٩)

ذكـر أوليمبيـودورس أيضـاً التنكيـل الـذي تعرضـت لـه جـالا بلاسـيديا بعد اغتيال زوجها أثولف على يد أحد خدمه . حيث اختار القوط سيجريك *Sigeric* خلفاً له . فاستهل حكمه بقتل أولاد أثولف . وإلحاق الأذى بالأرملة الشابه جالا بلاسيديا . من ذلك أنـه أجبرها على السير مع السجناء بجوار فرسه مسافة اثنتي عشرة ميلاً . (١٠٠)

---

(98) Hoyt (R) & Chodorow (S): Europe in the Middle Ages (U.S.A 1975).
Manitius (M): The Teutonic Migrations in Camb. Med. Hist. (Cambridge 1975) vol. 1, p. 274.
(99) Olympiodorus: R.C. Blockly., pp. 187-195.
Bradley: The Goths., pp. 101-103.
Boak (A.E.R): A Hist of Rome., pp. 378-9
(100) Olympiodorus: R.C. Blockly., p. 189.

لم يدم حكم سيجريك حيث قتل بعد أسبوع واحد من تولية العرش على يد زعيم اسمه واليا *Wallia* . والذي تولى الحكم خلفاً له . (١٠١)

كان أوليمبيودورس قد وصل إلى روما وأمضى بضعة أشهر لجمع المعلومات لكن المؤكد من خلال تاريخه أنه انضم إلى حاشية الإمبراطور فالنتيان (٤٢٥ ـ ٤٥٠ م) الذي توج إمبراطوراً للغرب ورافقه في رحلته سنة ٤٢٤ م من أجل تأكيد حكمه . (١٠٢)

والإمبراطور فالنتيان الثالث هو ابن قسطنطيوس الثالث وأمه جالا بلاسيديا ابنة ثيودوسيوس الأول العظيم وهو نفسه ابن عم الإمبراطور ثيودوسيوس الثاني إمبراطور الشرق الذي ظل الإمبراطور الوحيد للإمبراطورية الرومانية بشطريها الشرقي والغربي لبضعة أشهر عقب وفاة هونوريوس وتولى الإمبراطور فالنتيان مقاليد الغرب . (١٠٣)

لم يقتصر أوليمبيودورس في تاريخه على الجوانب السياسية فقد حوى تاريخه على بعض المظاهر الحضارية لمدينة روما هذه المدينة التي زارها والتي تلفت الناس حولهم ليجدوها . وهي المدينة الخالدة مهد الأباطرة العظام والتي سادت الشرق والغرب والتي غدت شعاراً للمدنية والحضارة وصار ما عداها رمزاً للبربرية والتأخر . أصبحت فجأة مهددة بالزوال .

قدم أوليمبيودورس وصفاً رائعاً لما شاهده في المدينة وتراثها القديم حيث وصف المعابد والنوافير وأنواع مختلفة من الحمامات خاصة الحمامات الأنطونية وحمامات ديوكليتان ، كما لم يفته ذكر ميدان سباق الخيل . ووصف منازل روما الشهيرة وتكلم عن حجم أسوار المدينة . (١٠٤)

---

(101) Olympiodorus: R.C. Blockly., p. 189.
(102) Olympiodorus: R.C. Blockly., p. 189.
(103) Gillet (A): The Date and Circumastanceses., p 19.
(104) Olympiodorus: R.C. Blockly., p. 205.

قدم لنا أوليمبيودورس في الجانب الاقتصادي معلومات لا يكتبها إلا اقتصادي متخصص حيث تناول الدخل الدقيق لكبار ملاك الأراضي في روما الذين شكلوا مجلس الشيوخ مع عينات من إتفاقهم وتناول بالحديث السلع والحبوب والنبيذ وغيرها من المنتجات ، كما تناول دخل الأسر الرومانية وإحصاءات رائعة عن دخل الخاصة . [١٠٥] وأوجه التفاوت الاقتصادي والاجتماعي في روما عن طريق دراسة رائعة عن إحصاءات ثروات الخاصة . [١٠٦]

صقلية

تحدث أوليمبيودورس عن جزيرة صقلية والهجمات البربرية التي تعرضت لها وأهميتها الاقتصادية ، حيث كانت صقلية منذ منتصف القرن الثالث قبل الميلاد مصدراً هاماً لاستيراد السلع الأولية . ولا سيما الحبوب إلى إيطاليا وظل القمح والصوف والماشية والخيول صادرات صقلية ونمت أهميتها عندما أصبحت القسطنطينية الوجهة المهيمنة للحبوب المصرية واحتلال الوندال لشمال أفريقيا . [١٠٧]

اللافت أن أوليمبيودورس ذكرها في معرض تاريخه بشكل أسطوري حيث ذكر أن آلارك ملك القوط لم يتمكن من الوصول إليها بسبب تمثال يتمتع بقوى سحرية كان منصوباً هناك وكان سبباً في عدم سقوطها في يد

Thompson (E.A): Olympiodorus of Thebes art. in C.Q., vol. 38. No. 1/2 (Jan. Apr., 1944) pp. 43-52., p. 50, Baldwin (B) & Baldwin (H): Olympiodorus art. in A.C, T. 49 (1980) pp. 212-231, p. 215.
(105) Olympiodorus: R.C. Blockly., p. 205.
(106) Olympiodorus: R.C. Blockly., p. 205.
Baldwin (B) & Baldwin: Olympiodorus., p 215.
(107) Gillet (A): The Date., p11.

القوط والتمثال في رأي أوليمبيودورس مكرس من قبل القدماء لدرء الحرائق ومنع البرابرة من العبور عن طريق البحر . (١٠٨)

وإن كان هذا الأمر لم يمنع آلارك من السيطرة على صقلية في وقت لاحق . (١٠٩)

إفريقيا وقرطاج

الملاحظ أيضاً أن أوليمبيودورس تعرض لمنطقة الشمال الإفريقي الواقع تحت السيطرة الرومانية وقد ذكرها باسم إفريقيا عند معرض حديثه عن قيام الإمبراطورية الرومانية بإرسال قوات لقمع أي تمرد هناك . وأحياناً كان يطلق عليها ليبيا . (١١٠) كما أشار إلى منطقة قرطاج وما حدث بها من تخريب . (١١١) ولا ندري أكان يقصد قرطاج الإفريقية أم قرطاجنة الإسبانية . (١١٢)

بريطانيا

في خضم وصف التدابير المتخذة ضد القوطي آلاريك في إيطاليا من قبل الإمبراطورية الرومانية ذكر أوليمبيودورس في التاريخ الذي وضعه . أن الإمبراطور هونوريوس أرسل رسائله إلى (بريطانيا) يأمرهم بالدفاع عن أنفسهم . (١١٣)

---

(108) Olympiodorus: R.C. Blockly., p. 177.
Thompson (E.A): Olympiodorus., p. 47.
Mathews (J.F): Olympiodorus., p. 97.
(109) Treadgold (W): The Diplomatic Career., p. 96.
(110) Mathews (J.F): Olympiodorus., p. 93.
Gillet (A): The Date., p 12.
(111) Gillet (A): The Date., pp. 25-26.
Thompson (E.A): Olympiodorus., p. 44.
(112) Olympiodorus: R.C. Blockly., p. 165.
(113) Olympiodorus: R.C. Blockly., pp. 171-173.

وهذا الأمر أحدث خلافاً بين الباحثين حول صحة ما ذكره عن بريطانيا فالكلمة خارج نطاق حديث أوليمبيودورس ولا ندري ماذا يعني أوليمبيودورس بهذه الكلمة . . هل أطلق أوليمبيودورس على منطقة جنوب إيطاليا كلمة (بريطانيا) أم أن المؤرخ زوسيموس انزلق في هذه الكلمة نقلاً عن أوليمبيودورس . خاصة وأن بريطانيا بعيدة كل البعد عن العاصمة رافنا . (١١٤)

حيث يرى البعض التقليل من شأن الرواية التي ذكرت فيها بريطانيا وذلك لبعد المسافة بين أوليمبيودورس وبريطانيا جغرافياً ، فضلاً على الشك في معرفة أوليمبيودورس بحقائق هذه المنطقة . (١١٥)

وعلى أية حال فإن هناك إشكالية في دقة الأسماء الخاصة بالنص التاريخي الذي تركه أوليمبيودورس . ويرى أحد الباحثين إلى أن ترجمة النص الذي تركه أوليمبيودورس من اليونانية إلى اللاتينية قد تسبب في عدم دقة الأسماء . (١١٦)

خصائص وملامح التدوين التاريخي عند أوليمبيودورس

من المعروف أن عمليات التدوين التاريخي ظلت حتى مطلع القرن الرابع الميلادي فناً وثنياً خالصاً اضطلع به المؤرخين الوثنيين فيما عدا أعمال الرسل ولم تظهر كتابات مدرستي اللاهوت الإسكندرية وأنطاكيا إلا للدفاع عن العقيدة المسيحية وتفسير الكتاب المقدس .

---

(114) Woolf (A): The Britons from Romans to Barbarians, RLMKTW, p. 346.

(115) Thompson (E.A): Zosimus and the Letters of Honorius. CQ., vol. 32, No. 2 (1982)., p. 461.

(116) Bartholomew (P): Fifth-Century Facts. art. Britannia., vol. 13 (1982) pp. 261-270, p. 264.

وبظهور التاريخ المسيحي انقسم حقل الكتابات التاريخية إلى ميدانين التـاريخ المقـدس أو الكنسـي ، والتـاريخ العلمـاني أو الـدنيوي . وعلـى نفـس السياق عبر المؤرخ المحدث نورمان بينز بالقول " أصبح لدينا تأريخين تأريخ شعبي وضع من أجل شعب الكنيسة ، وتأريخ علمي محقق كتبه هؤلاء الذين كـانوا يتمتعون بقدر كبير من الثقافة مجندين فـي كتاباتهم أسلوب مؤرخي اليونان القدامى " . (١١٧)

والمؤرخ الطيبي أوليمبيودورس وضع تاريخه وأهداه إلى الإمبراطور ثيودوسيوس الثاني . وأرخ فيه للفترة الواقعة بين عامي (٤٠٧ . ٤٢٥ م) وكان شاهد عيان لها . وقد نقل عنه عدد من كتاب المزمنات *chroniclers* البيزنطيين . وقد فقد العمل ولم يبق مما كتبه إلا ما بقي عند هؤلاء . وما لخصه فوتيوس *Photius* بطريرك القسطنطينية في القرن التاسع في مؤلفه الشهير المعروف بالمكتبة *bibliotheca* . (١١٨)

والمـؤرخ أوليمبيـودورس مـن الفريـق العلمـاني الـدنيوي فالرجـل كـان يعـيش فـي النصـف الشـرقي مـن الإمبراطوريـة التـي كانـت اليونانيـة لسـانه والهلينستية فكره وثقافته ولكون الجانب الأعظم من دراسته باللغة اليونانية والتـــــــــــــــي كـــــــــــــــان بارعـــــــــــــــاً فيها . فقد صـار واحداً مـن أبـرع الكتـاب فـي أيامـه حيث وضـع تاريخـه باللغة اليونانية . (١١٩)

---

(117) Baynes (N) & Moss (H): Byzaantium. (Oxford 1969)., p. 229.
(118) Jones (A.H.M): The Decline of the Ancient World., p. 2.
Lewrence (T.C): Honories Galaplacidia., p. 12.
(119) Evans (J.A.S): The Attitudes of the Secular Historians of the Age of Justinian., Tradito., vol. 32 (1976) pp. 353-358., p. 353.
Lee (A.D): From Rome to Byzantium., p. 309.

لكنـه وجـد أنـه لـيس مـن الضـروري تقييـد نفسـه باللغـة الأدبيـة التـي استخدمها المؤرخون القدماء لقرون عديدة والتي نمت في هذا الوقت والتي تختلف إختلافاً ملحوظاً عن لغة المحادثة . (١٢٠)

ممـا عـرض أسـلوبه للإنتقـاد مـن فوتيـوس الـذي ذكـر أن اللغـة التـي كتب بها لغة متواضعه . وإن عدة من المبتكرين . كما وصف أسلوبه بأنه كان واضحاً . يميل كثيراً إلى الأسلوب الخطابي . (١٢١)

وعلـى الرغم مـن تـأليف كتابـه باللغـة اليونانيـة امتثـالاً للحقبـة والبيئـة التي كان يعيش فيها والتي شهدت تدوين المؤلفات باليونانية القديمة إلا أن هناك ما يشير بقوة إلى معرفته باللغة اللاتينية ومعرفته الواسعة بها وضحت فـي الكلمـات اللاتينيـة المترجمـة المتكـررة فـي عملـه التـاريخي ، فضـلاً عـن استخدامه لمصادر لاتينية تتعلق بالإمبراطورية الغربية . (١٢٢)

وهـو مـا أكـده المـؤرخ المحـدث " وارين " مـن أن معرفتـه باللاتينيـة ظهرت مـن خـلال كتاباتـه كمـا أن الضـرورة اقتضـت فـي ذلـك الوقـت تعلـم اللاتينية للتعيين في حكومة الرومان الشرقية . (١٢٣)

أورد المؤرخون تاريخ أوليمبيودورس مرتبة بطريقة ارتضوها لأنفسهم . فليكن لهم ما أرادوا فنحن لا نملك الأصل . لكن المؤرخين المحدثين الذين انشـغلوا واشـتغلوا بتـاريخ أوليمبيـودورس شـغلهم كثيـراً المقارنـة بـين الـنص الخاص بكل من أوليمبيودورس ومن نقلوا عنه مثل فوتيوس و *Sozomen*

(120) Thompson (E.A): Olympiodorus of Thebes., CQ., p. 47.
(121) Thompson (E.A): Olympiodorus of Thebes., CQ., p. 47.
Baldwin (B) & Baldwin (H): Olympiodorus of Thebes., AC. T. 49 (1980). p 220.
(122) Cavero (L.M): op. cit., p. 11.
Thompson (E.A): op. cit., p. 48.
(123) Treadgold (W): The Diplomatic. Career., I.H.R., p. 713.

و *Zosimos* و *Philostorgius* فـــي طريقـــة الســـرد وحجـــم الكتابـــة عن الغرب . (١٢٤)

والترتيـب الزمنـي لكـل مـؤرخ وهـل أخـذ هـؤلاء المؤرخـون عـن أولمبيـودورس مباشـرة أم كـان هنـاك مـؤرخ وسـيط آخـر كمـا بـدلوا محـاولات مضـنية لاسـتنتاج وإخـراج السـياق التـاريخي الخـالص لأولمبيـودورس والوقـت التقريبـي للكتابـة . . غيـر أن هنـاك إتفـاق بيـنهم أن النـص التـاريخي المفقـود الخاص بألومبيودورس كان متاحاً للمؤرخين الذين نقلوا عنه . (١٢٥)

كمـا انشـغل هـؤلاء بعقـد مقارنـة بـين أوليمبيـودورس ومجموعـة مـن المؤرخين مثل المؤرخ *Asinius* والذي كان مصدراً كبيراً للمعلومات بالنسبة لأوليمبيودورس (١٢٦) وكذلك المؤرخ يونابيوس . (١٢٧)

وأيضـاً قـارن بعـض المـؤرخين المحـدثين بـين تـاريخ أوليمبيـودورس والمـؤرخ بريسـكوس وطائفـة مـن المـؤرخين الـذين سـبقوا أوليمبيـودورس . . . (١٢٨)

ويرى ثومبسون *Thomson* أن المؤرخ أميانوس مارسيلينوس *Ammienus* هو المؤسس الحقيقي للمدرسة العظيمة من مؤرخي اليونان والتي انتمي إليها أوليمبيـودورس وبرسـكوس وغيـرهم . . . وكـان مؤلـف كـل مـن أميـانوس وأوليمبيودورس محبب للقراءة ومألوف في ذلك الوقت ومن هنا فإنه كما كان

---

(124) Bleckman (B) & Stickler : Greek Seaular Historians in Late Antiquity (2005) p. XII.
(125) Gillet (A): The Date., p. 25.
(126) Baldwin (B): Zosimus and Asinius Quadratus. Art. in CP., vol. 74, No. 1 (Jan., 1979)., p. 57.
(127) Treadgold (W): The Diplomatic Career, pp 729-730.
(128) Priscus, R.C. Blockly, FCHLRE, pp. 221-400.
Girotti (B): Sponti la Continuitam Olympiodorodi Tebee, Historia, 54., H 3, p. 356.

تاريخ أميانوس واسع الانتشار ليس في روما فقط حيث كتب بل أيضاً في الشـــرق فـــإن تـــاريخ أوليمبيـــودورس يعادلـــه الانتشـــار وكـــان مألوفـــاً لدى اللاتين . (١٢٩)

وقد تغلب أوليمبيودورس على النظرية التي تقول بالجبرية الجغرافية أعني علاقة الإنسان ببيئته . فلم تسيطر قط البيئة عليه السيطرة المطلقة بحيث لا ينتقل ويرتحل من مكانه . وتنطبق عليه مقولة أفلاطون (إن البلاد لا تملك الناس ، وإنما الناس هم الذين يملكون البلاد) . (١٣٠)

ومـن هـذا المنطلـق قـارن نفـر مـن البـاحثين بـين أوليمبيـودورس وهيرودوت وترحاله ومشاهداته فقد كان هيرودوت الذي يعتبره اليونانيون أبا التاريخ يلتقي فيه المؤرخ والجغرافي حيث كان رحالة كثير الأسفار ، يرى هؤلاء أن الشبه كبير بين هيرودوت وألمبيودورس في هذا الشأن . (١٣١)

ومـن هـذا المنطلـق يمكـن القـول أن أسـفار أوليمبيـودورس وترحالـه صـقلت عقلـه ، وأغـزرت تجاربـه ، وأمدتـه بمعلومـات ومشـاهدات جمـة . وأطلعته على مصادر مختلفة للتاريخ ويسرت له استماع أخبار الرواه . كما ظهر ذلك في تاريخه . وقراءة الآثار المكتوبة وغير المكتوبة وجعلت كتابه شائقاً لمعاصريه فقد كان مؤرخ وإخباري .

الملاحـظ أيضـاً أن المـؤرخ أوليمبيـودورس (١٣٢) سـار علـى نهـج الرومـان فـي إطـلاق كلمـة " بربـري " أو " بربـر " علـى كـل الأجنـاس غيـر

(129) Thomson (E.A): Olympiodorus of Thebes., CQ, p. 52.
(130) Hoyt (J.B): Man and Earthm p. 3.
(131) Baldwin (B) & Baldwin (H): Olympiodorus of Thebes., AC, T. 49, p. 221.
Baldwin (B): Zosimus and Asinius, CP, p. 58.
(132) Olympiodorus: R.C. Blockly., p. 24.
Piganiol (A): L'empire Chartien 325-395 (Paris 1947) p.13.

الرومانية بصفة عامة بنفس فكر اليونان الذين كانوا ينعتون كل من هو غير يوناني بهذا اللقب . وهو مثل لقب " العجم " عند العرب ، " والأمم " عند اليهود .

لم يظهر أوليمبيودورس في تاريخه أي تحيز في المسائل الدينية . بل أنه كان يتجنب القضايا الدينية . (١٣٣)

وعلى الرغم من أن القرنان الرابع والخامس الميلاديين شهدا صراعاً عنيفاً بين الكنائس الرسولية الخمس . روما والقسطنطينية والإسكندرية وأنطاكيا والقدس حول الزعامة وجرى هذا الصراع تحت مظلة الجدال اللاهوتي الكريستولوجي والتي عقدت على أثرها المجامع المحلية المسكونية وصدرت عنها القرارات من نيقية والقسطنطينية وإفسوس وخلقدونية وعلى الرغم من أن مؤرخنا عايش جانباً من هذه الأحداث إلا أنه لم يتطرق إليها من قريب أو بعيد ولم يذكر من حفظوا تاريخه أنه مر عليها .

كما خلا تاريخه من الحديث عن الرهبنة أو الرهبان وجهادات مؤسسيها الأوائل في نشر الأديرة والجماعات الرهبانية . ولم يفكر في اعتناق الدين المسيحي ، وخلا أيضاً تاريخه من الصراع العقائدي والذي كان يجري في العصر الذي كان يعيش فيه ولم يمر علينا أي مصطلح من المصطلحات المختلفة التي كانت على عهده مثل (جوهر ، طبيعة ، إقنوم ، هوموسيوس) كما خلا تاريخه المحفوظ لدى هؤلاء المؤرخين من المعاني العقائدية بشكل عام وربما مرجع ذلك محاولة تجنب العداوات والكراهية الناجمة عن الاختلافات اللاهوتية .

Lot (F): Les Invasions Germaniques (Paris 1935) pp. 30-32.
(133) Thomson (E.A): Olympiodorus of Thebes., CQ, p. 43.
Baldwin (B) & Baldwin (H): Olympiodorus., AC, p. 220.

الملاحظ أيضاً أن أوليمبيودورس سار على خطى رجلي القرن الرابع المـؤرخ ليبـانيوس والمـؤرخ سـيماخوس [١٣٤] حيـث ذهـب علـى التأكيـد للإمبراطور الروماني في كل رواياته أن الأرباب القديمة بتماثيلها القائمة لها أهميتها البالغة وقدرتها على حماية الإمبراطورية . [١٣٥]

حتى أن المؤرخ المحدث كايجي [١٣٦] *Kaegi* أبدى دهشته من هذا الأسلوب الذي يخاطب بـه أوليمبيـودورس وهـو الـوثني العقيدة ، إمبراطـوراً مسيحياً عرف عنه أنه كان تقياً ورعاً متسائلاً كيف يمتلك شخص في ذلك الزمان الجرأة على مواجهة الإمبراطور الروماني على هذا النحو ؟ ويجيب على تساؤله بأنه ربما مرجع ذلك إلى الإمبراطورة أيودوكيا *Eudocia* زوج الإمبراطور ثيودوسيوس والتي كانت ابنه الفيلسوف الأثيني ليونتيوس والتي كانت تتمتع بثقافة واسعة مكتسبة من والدها . وهي التي شجعت المؤرخ المصري على أن يهدي كتابه للإمبراطور دون وجل . [١٣٧] وباعتماد هؤلاء المؤرخين على أوليمبيودورس يمكن قبول الرأي بأنهم كانوا ناسخين لما جاء لدى أوليمبيودورس حتى وإن كان هؤلاء المؤرخين قد صاغوها بأسلوبهم أو تضـمنت وجهـات نظـر أو رؤى خاصـة بهـم فهـي تعـود بالضـرورة لأوليمبيودورس . كما أن أهمية هؤلاء المؤرخين الذين نقلوا عن أوليمبيودورس وقدرهم العلمي إنما يدل على أهمية هذا العمل وتفرده .

---

(134) Libanius's: Progymnasmata. Model.
Symmachus: Memorial of Symmachus, The Prefect of the City., Nicene, X 2, p. 414.
(135) Olympiodorus: R.C. Blockly., p. 177.
Harl (K.W): Sacrifice and Pagon., p. 18.
(136) Kaegi (W.E): Byzantium and thee Decline of Rome (New Jersy 1968). p. 73.
(137) Kaegi (W.E): Byzantium., p. 89.

قضـى أوليمبيـودورس الشـطر الأكبـر مـن حياتـه فـي أوربـا . ولهـذا احتلت أوربا الجزء الأكبر من تاريخه .

وتمكـن مـن وصـف الوضـع فـي الغـرب الأوربـي وصـفاً ممتعـاً حيـاً وجاءت المادة خليطاً بين التاريخ والوصف حيث كان ما عرضه سرداً متزن وجاد للحقائق التاريخية كما أدركها . . . والحق أن حيدته وعدم انحيازه كفيلة بأن تجعله نموذجاً للمؤرخ الجاد .

يمكن القول أيضاً أن أوليمبيودورس كان مصري الشعور والفكر . وذكر المؤرخون الذين أخذوا عنه أنه كان يذكر أنه مصري ويفخر بانتمائه إلـى هـذا البلـد ويقـرر ذلـك صـراحة فـي تاريخـه . (١٣٨) والظـاهر أن أوليمبيودورس لم يرتحل بحثاً عن المال والبلد الذي ينتمي إليه أوليمبيودورس في ذلك الوقت لم يكن بلداً فقيراً معدم . . ويمكن أن نلمس تلك الحقيقة في الوثائق الرسمية المعاصرة وكتابات المؤرخين المعاصرين لهذه الفترة عن طبيعة العلاقة بين مصر والإمبراطورية الرومانية سواء عندما كانت روما عاصمة الإمبراطورية الرومانية على شاطئ التيبر أو بعدما انتقلت إلى القسطنطينية على شاطئ البسفور . (١٣٩)

هناك ما يؤكد أن أوليمبيودورس كان على معرفة واسعة بالتراث الكلاسيكي القديم ، عندما يورد أسماء فحول الشعراء الإغريق وكتاب المسرح مثل هوميروس ومناندر *Menander* ، ويوربيدس . (١٤٠)

وقراءة ما جاء به أوليمبيودورس في ضوء المنهج التاريخي لا يمكن القول ان ما نورده للقارئ من أحداث تاريخية نورده مورد الصدق الذي يعلو

---

(138) Photius: The Library., p. 134.
(139) Bell (H.J): Evidences of Christionity in Egypt During the Roman Period. art. HTR, vol. 37, (July 1944). p. 1919.
(140) Olympiodorus: R.C. Blockly., p. 193.

فوق كل ريبة . . . لكن الذي يلفت الانتباه في روايته للأحداث التاريخية أنه يجري المقاديرفي اتجاه واحد . وهو رفعة شأن الوثنية وعلو قدرها وأن ما عداها هالك لا محالة وقد تجلى ذلك في تحذيره من مغبة ما يحدث للإمبراطورية الرومانية [١٤١] من اتجاهها بعيداً عن الوثنية . وكثيراً ما يفصح عن مكنون نفسه بعلو شأن قوى الطبيعة والسحر .

ينبغي أيضاً الإشارة هنا أنه إذا عنينا هنا في ذكر ملامح وخصائص التدوين التاريخي ، أقول أنه إذا عنينا بالحديث عن أوليمبيودورس مؤرخاً ، فليس معنى ذلك أن هذه الصفة وحدها خصوصيته التي امتاز بها ، ولأجلها ذكر بين مؤرخي الدولة البيزنطية ، ذلك أنه كان كاتباً وأديباً وشاعراً قادراً ذا نزعة . وكل خصوصية من هذه جديرة بالدرس والبحث والتمحيص حتى تبرز نفاستها للعيان . غير أن فقدان العمل حال دون ذلك مما جعل الدارس يتلمس تراثه من خلال المؤرخين الذين حفظوا تاريخه .

تشير الظروف والملابسات التاريخية التي كانت تحيط بأوليمبيودورس أن تاريخه كان لغرض أكثر تحديداً وأكثر عمقاً من تسجيل أحداث ومشاهدات . كان هدفه الأكبر من كتابته لهذا التاريخ أن يكون وسيلة طبيعية لمعالجة المخاوف السياسية الراهنة . [١٤٢]

فقد أمد الإمبراطورية بالمعلومات العسكرية والتجارية [١٤٣] ويعتبر البعض تاريخه أفضل تعليق موضوعي من شاهد عيان على الأحداث المضطربة التي شهدتها بداية القرن الخامس الميلادي . [١٤٤]

---

(141) Olympiodorus: R.C. Blockly., p. 196.
(142) Gillet (A): The Date., p. 23.
(143) Thomson (F.A): Olympiodorus of Thebes, CQ, p. 46.
(144) Charles (S): Olympiodorus of Thebes., CDSB.

واستقلالية الأحكام التي أبداها ميزت عمله عن أعمال مؤرخين آخرين وجعله أكثر إثارة للاهتمام . (١٤٥)

ومن هنا فإن أهمية التاريخ الذي وضعه أوليمبيودورس تعود إلى أنه يسبق سقوط الإمبراطورية الرومانية في الغرب والتي سقطت سنة ٤٧٦ م حيث شاهد أوليمبيودورس وشهد عمليات الاضمحلال السياسي وعدم استقرار الحكومة المركزية في روما خلال الربع الأول من القرن الخامس ابتداء من سنة ٤٠٧ م وشهد أيضاً زيادة الهجرات الجرمانية المختلفة وعقود من الدمار المادي . والاضطرابات السياسية الناجمة عن عدم كفاية الاستجابة الإمبراطورية للوضع . (١٤٦)

والعمل التاريخي الذي وضعه أوليمبيودورس كان من المفترض أن يكون رؤية مستقبلية لما يجب أن تكون عليه الإمبراطورية الرومانية حيث نجح في رسم الوضع والأحداث من خلال مزيج من سوء الحظ وعدم الكفاءة السياسية . مما كان يجب عليه استعادة الوحدة السياسية لتجنب تلك المآسي غير أن التناحر والتفكك السياسي وعوامل اخرى حالت دون ذلك . (١٤٧)

وأخيراً مهما اختلف الناس في نظرتهم للتاريخ سواء اعتبروه أسلوباً روائياً لمجموعة من الأحداث أو فرعاً من الدراسات الإنسانية أو أداة أو وسيلة من وسائل خدمة العلوم الاجتماعية . فإن ما قدمه أوليمبيودورس يعتبر منهجاً لتفهم أفضل لبعض قضايا الإمبراطورية الرومانية .

هكذا عاش أوليمبيودورس زمن الواقعة التاريخية وزمن الذاكرة التاريخية وزمن كتابة التاريخ وتقلب بين الأزمنة الثلاثة ليقدم لنا تاريخاً سد

---

(145) Charles (S): Olympiodorus of Thebes., CDSB.
(146) Olympiodorus of Thebes., enotes.com.
(147) Mathews (J.F): Olympiodorus of Thebes, JRS, 60 (1970) p. 97.

ثغرة تعتبر إضافة في تاريخ الإمبراطورية الرومانية ومهما يكن من أمر فإن جوانب من تاريخ أوليمبيودورس ستظل خافية علينا ما دمنا لم نضع أيدينا على الأصل المفقود .

قائمة المصادر والمراجع الخاصة بالموضوع العاشر

أولاً : المختصرات :

AC = L' Antiquity Classique
AHR = American Historical Review.
B = *Byzantion.*
BASP = Bulletin of the American Society of Papyrologists.
BSOAS = Bolletin of the School of Oriental and African Studies.
Cam. Med. Hist. = *Cambridge Medieval History.*
CCE = *Claremont Coptic Encyclopedia.*
CDSB = Complete Dictionary of Scientific Biography.
CGRH = *Companion to Greek and Roman Historiography.*
CP = *Calssical Philology.*
CQ = The Classical Quarterly.
CR = The Classical Review.
EBE = *Encyclopedia of the Bezantine Empire.*

HER	=	*English Historical Review.*
Ency. Brit	=	*Encyclopeadia Britennica.*
FCHLRE Classicising	=	The Fragmentary Historians of the Later Roman Empire.
GJ	=	The geographical Journal.
GRHLA Histogrophy	=	*Greek and Roman in Late Antiquity.*
HER Review.	=	*The English Historical*
HTR Review.	=	The Harvard Theological
ICS	=	Illinois Classical Studies.
IHR Rview.	=	The International History
JHS Studies.	=	The Journal of Hellenic
JRS Studios	=	The Journal of Roman
LCL	=	*Loeb Calssical Library.*
LQ	=	The Library Quarterly.
MH	=	Museum Helveticum.
ODB Byzantium.	=	Oxford Dictionary of
PBSR at Rome.	=	Papers of the British School

RDSO = Ruvista degli studi oriental.
RLMKTW = The Relationship Between Late Antique and Early Medieval People and Kingdom in the Transformation of the Roman Empire.
RMFP = Rheinishes Museum Für Philologie.
VS = Vortigern Studies.
YCS = Yale Classical Studies.

ثانياً : قائمة المصادر الأجنبية :

- Amelinaeu (E): La geographie de l' Egypt a L' Epopue Copte (Paris 1893).
- Ammianos Marcellinus: Res gestae, Trans. J. Rolfe, 3 vols., LCL 314-316, Cambridge, Massachusetts and London, (1935-2000).
- Anonymous: " The Anonymous Byzantine Treatises on strategy" in: Three By@antine Military Treatises, ed 8 Trans. Dennis (G. T) Washington (D. C). 1985, PP. 1-136.
- Enapius, in the Fragmentary Classicing Historians of Later Roman Empire, Trans. R. C Blockley, (Liverpool, 1983). pp. 2-150.
- Evagrius Scholasticas: The History Trans. M 8 M. Withby, (Liverpool, 2000).

- Julian: " on Behelf of The Argives", in: The works of the Emperor Julian, Trans. Wright (W.C) 3 vol. The Loeb Classical Library.,I pp. 93-96 (London 1913-1923).
- Julian: Against the Christian., Trans Th. Taylor (Chicago, 1980).
- Julian: The Works of the Empiror Julian, Trans. W. C Wright, LCL (London and New York 1913).
- *Libanius's Progymnasmata: Model Exercises in Greek Prose Composition and Rhetoric, trans. C.A. Gibson, Atlanta, 2008.*
- Olympiodoras, in the Fragmentary Classicing Historians of the Later Roman Empire, Trans. R. C. Blockley, (Liverpool, 1983). Pp. 151-220.
- Philostorgius, Epitome of the Ecclesiastical History, in The Ecclesiastical History of Sozomen also the Ecclesiastical History of Philostorgius, trans. R. Walford, London, 1855, pp. 425-528.
- Philostorgius, Church Histry, trans. R. Philip and S. J. Amidon, SBL 23, Brill, Leiden and Boston, 2007.
- Photius, The Homilies, trans. C. Mango, Harvard University Press, Cambridge and Massachusetts, 1958.
- Photius, The Library, Vol. 1, trans. J. H. Freese, Translations of Christian Literature, ed. W. L.

S. Simpson and W. K. L. Clarke, series I (Greek Texts), London and New York, 1920.
- Priscus, in *The Fragmentary Classicising Historians of the Later Roman Empire*, trans. R. C. Blockley, Liverpool, 1983, pp. 221-400.
- Procopius of Caesarea, History of the Wars, 5 vols. Trans. H. B. Dewing, LCL, London and New York, 1941-1928.
- Socrates Scholasticus, A History of the Church, GEH 3, London, 1844; Socrates (ca. 439), The Ecclesiastical Hitory of Socrates Scholasticus from A.D. 305-439, TRANS. A. C. Zenos, NPNF 2, New York, Oxford& London, 1890, pp. 1-178.
- Sozomen, The Ecclesiastical History of Sozomen from A.D. 323-425, trans. Ch.D. Hartranft, NPNF 2, New York, Oxford &London, pp. 179-427.
- Strabon: The Geography of Strabo L. C. L. Translated by H. L. Lones 8 vols (London 1967).
- Symmachus: Memorial of Symmachus the Perfect of City, Nicene, X 2, pp. 414-417.
- *Zosimus, the History of Count Zosimus sometime Advocate and Chancellor of the Roman Empire(London 1814).*

ثالثاً : قائمة المراجع الأجنبية :

- Baldwin (B) & Kzhadan (A): Nonnos of Panoplis., art. ODB, p 1492.

- Baldwin(B): Olympiodorus of Thebes in AC, T-49,1980. Pp. 212-231(2016).
- Baldwin (B): Eusebius and the Siege of Thessalonica., 314 (1981) pp. 291-296.
- Baldwin(B): "Zosimus and Asinius Quadratus" art. In
- Baldwin(B)&Baldwin(H):" Olympidorus of Thebes", AC T. 49 (1980), pp. 212-231
- Baldwin(B); " Eunapios of Sardis" ODB, vol.2 pp. 745-6.
- Baldwin(B); " Evagrios Scholastikos" ODB, vol. 2, p. 959.
- Baldwin (B): Olympiodorus of Thebes., O.D.B., P. 1524.
- Baldwin(B); " Olympiodoros of thebes" ODB, p. 1537.
- Baldwin(B); " Philostorgios ODB, vol.3, pp. 1661.
- Baldwin(B); "Ammianus Marcllinos" ODB, vol. 1, p. 78.
- Baldwin, B., " Sozomenos", ODB 3, 1923.
- Baldwin, B., "Sokrates", ODB 3, p. 1923.
- Baldwin, B., "Synesios", ODB 3, p. 1993.
- Baldwin,B., " Zosimos", ODB3, 2231.
- Baldwine, B., Kažhdan, A., " Evagrios Pontikos, ODB 2, P. 760.
- Bell (H. I): Evidences of Christianity in Egypt During the Roman Period. In HTR, vol. XXXVI part. 2 July 1944, pp. 190-204.

- Bell(i-H): Egypt from Alexanderia The Great to the Arab Conquest- art., JRS, Vol. 39, p. 1 (1949) pp. 171-172.
- Birley, A. R., " The Historia Augusta and Pagan Historiogrsphy", in G. Marasco(ed.) Greek and Roman Historiography in Late Antiquity, Fourth to Sixth Century A. D., Leiden and Boston, 2003, pp. 127-150.
- Blockley, R., " The development of Greek historiography: Priscus, Malchus, Candidus", in G. Marasco (ed.), Greek and Roman Historiography in Late Antiquity, Fourth to Sixth Century A. D., Leiden andBoston, 2003, pp. 289-316.
- Breebart(A.B): Eunapius of Sardes and The Writing of Hist. art. Mnemosyne., Fourth Series vol.32. F. 3/4 (1979) PP. 360-375.
- Bleckman (B) & Stickler (T): Greek Secular Historians in Late Antiquity, Review-Discussion (Histos 2005 IX-XV).
- Beadnell (H.I.L): An Egyptian Oasis, An Account of Oasis of Kharga (London 1909).
- Bartholomew(P): Fifth- Century Facts. Britannia, vol. 13(1983) pp. 261-270.
- Browne, G. M., "Harpcoration Panegyrista," ICS 2(1977), PP. 184-196.
- C.P, vol.74 No. 1 (Jan 1979), pp. 57-58.

- Buck(D.F): Did Sozomen Use Eonapius Histories?, art. MH., vol. 56, No. 9 (1 999) pp. 15-25.
- Bradley (H): The Goths (London 1887).
- Bury (J.B): History of the Later Roman Empire (U.S.A 1958), vol. 1.
- Boak (A.E.R): A History of Rome to 565 A.D (New York 1930).
- Baynes(N)& Moss (H): Byzantine (Oxford 1969).
- Cameron(A. M): " Agathias and Cedrenus on Julian " JRS 53/ 1-2 (1963) 91-94.
- Cameron, A., " Poets and Pagans in Byzantine Egypt," in Bagnal, R.S.(eD.), Egypt in the Byzantine World, 300-700(Cambridge, 2007). Pp. 21-46.
- Cameron, A., "Wandering Poets: A Litrary Movement in Byzantine Egypt," Historia 14(1965) pp. 470-509.
- Cameron.A., "The empress and the poet: paganism and politics at the court of Theodosius II". YCS 27(1982) PP. 217-290.
- Cantor (N.E): Medieval History the Life and Death of a Civilization (U.S.A 1969).
- Cavaro(L): Poems in context, Greek Poetry in the Egyptian Thebaid 200-600 AD, Sozomena, 2(Berlin and New York 2008).
- Copeland (W.O.L): The Germanic Invaders, Their Orginins and Culture, Universal Hits. Of

the World. Edited by Hammerton (H.A) (No Date).
- Charles (S): Olympiodorus of Thebes, CDSB (2008).
- Chrysos, E. " Byzantine Diplomacy, A.D. 300-800: Means and Ends". In: Byzantine Diplomacy: Paper from the Twenty-Fourth Spring Symposium of Byzantine Studies, Cambridge, March 1990, ed. J. Shepard& S. Franklin, Variorum, Hampshire, 1992.
- Chadwick (H): The Early Church (penguin books 1974), p. 172.
- Drayton (J. H): Pachomius as Discovered in the World of Fourth Century Christian Egypt Pachominm Literature and Pachomian Monasticism: A Frigure of History or Hagiography Department of Studies in Religion. Pp. 102-104 (University of Sydney Australia 2002).
- Deanesly (M): A Hits. Of Early Medieval Europe. (London 1960).
- Dijkstra(J.H.F), 2005, Religious encounters on the Southern Egyptian Fronties in Late Antiquity (AD 298-642). [Doctoral dissertation] Groningen:Rijksuniversiteit. http://dissertations.ub.rug.nl/FILES/faculties/theology/2005/j.h.f.dijkstra/thesis.pdf.
- Evans(J.A.S.): The Attitudes of The Secular Historians of the Age of Justinion Towards. The

Classical Past., art. Traditio, vol. 32 (1972) pp. 353-358.
- enotes.com/olympiodourusofthebes.
- Ebersolt (I.C.F): Constantinople (Paris 1951).
- Emery(W.B): Egypt in Nubia (London 1965).
- Gillet(A): Rome, Ravenna and The Last Western Emperors, art. PBSR, vol. 69, C. vol.(2001) pp.131-167.
- Gillet(A): The Date and Circumstances of Olympiodorus of Thebes., Traditio, vol. 48 (1993), pp. 1-29.
- Girotti (B): Sponti La Continuita Tra, Olympiodorodi Tebee Prisco di Ponion. Art. Historia Bd 54, H.3(205) pp. 355-358.
- Goffart(W): Zosimus, the first Historian of Rome's Fall", AHR 76/2 (April, 1971) pp. 412-4).
- Gregory (T.E) & Culter (A): Theodosios II, ODB, pp. 2051-2052.
- Harries(J): Socrates of Constantinople, Historian of Church and State . art. JHS, vol. 119(1999).
- Heater(P) & Matthees(J): The Goths in Fouth Century((Liverpool-2004).
- Heather(P): The Huns and the end of the Roman Empire in Western Europe., art. EHR., vol. 110No. 435(Feb, 1995) pp. 4-41.
- Hoyt (R.S)& Chodorw (S): Europein the Middle Ages (U.S.A 1975).

- Harl (K.W): Sacrifice and Pagan Belief in Fifth and Sixth Century Byzantium., No. 128 (Aug. 1990)pp. 7-27.
- Hoyt (J.B): Man and Earth. (England 1967).
- Hitchner (R.B) & Kazhdan (A): Blemmes, ODB (Oxford 1991).
- Jones (A.H.M.): The Decline of the Ancient World (London 1909).
- Jones (A.H.M): The Decline of Ancient World (London 1948).
- Kaegi (W.E): Byzantine and The Decline of Rome (New Jersy1968).
- Kazhdan (A): Poats- Wandering, ODB, P. 1690.
- Kazhdan(A)& Talbot(M.A): Hogiography",ODB, 2 PP. 897-9(
- Kazhdan (A) & Talbot (M.A): Paganism, ODB, pp. 1551-1552.
- Kirwan (L.P): Nubia and Nubian Origins. Art. GJ, vol. 140, NO. 1 (Feb., 1974), pp. 43-5).
- Kazhdan (K): Photios, ODB, p. 1669.
- Klein(A): Child Life in Greek Art (New York 1932).
- Lawrence (T.C): Honorius, Gatla Placidia, and the Struggles for Control of the Western Roman Empire 405-425 PhD diss, (University of Tenessee 2013).
- Lee (A.D): Abduction and Assassination: the Clandestine Face of Roman Diplomacy in Late

Antiquity. Art. IHR, vol. 31, Np. 1(Mar., 2009) pp. 1-23.
- Lyons (FZ): Hellenic Philosophers as Ambassadors to the Roman Empire Performance, Parrhesia and Power, ph. D Thesis (University of Michigan 2011).
- Leppin, H., " The Church Historians(l): Socrates, Sozomenus, and Theodoretus", in G. Marasco(ed.), Greek and Roman Historiography in Late Antiqiuity, Fourth to Sixth Century A.D. Leiden and Boston, 2003, pp. 219-254.
- Lot (F): The End of the Ancient World and the Beginning of the Middle Ages (London 1931).
- Lot (F)les invasion germaniques (paris1953)
- Louis(N): L' introduction du Papyrus Dans L' Egypt Greco Romanie. (Paris 1934).
- Littman(E)& Meredith(D): Nabatean from Egypt., BSOAS, vol. 16, NO. 2(1934), PP. 211-246.
- Lot (F)& Ganshof (F): Les Destinean de L'empire en Occident 395-888 Tomel (pariss 1928)
- Lot (F): Les invasions Gremaniues(Paris 1953).
- Lee (A.D): From Rome to Bezantium AD 363 to 565 (England 1988).
- Macken (W.H): Chritian Monasticism in Egypt to the Close of the Fourth Century. (London, 1920)

- Manitius (M): The Teutonic Migration in Camb. Med. Hist. (Cambridge 1975).
- Marasco, G., "The Church Historians(ll): Philostorgius and Gelasius of Cyzicus", in G. Marasco(ed.), Greek and Roman Historiography in Late Antiquity, Fourth to Sixth CenturyA.D., Liden and Boston, 2003, pp. 257-88.
- Marincola, J. (ed.), A Companion to Greek and Roman Historiography, 2 vols, Malden and Oxford, 2007.
- Mathisen, R.W., " Ammianus Marcellinus", in W.W. Briggs(ed.) Dictionary of Literary Biography, Vol. 211(Ancient Roman Writers), London and Boston, 1999, pp. 7-16.
- Matthews, J. F., " Olympiodorus of Thebes and the History of the West(A.D. 407-425)", JRS60 (1970), PP. 79-97.
- Matthews, J.F., " Emperor and his Historians", in J. Marincola (ed.), A Companion to Greek and Roman Historiography, vol. 1, Malden and Oxford, 2007, pp. 290-304.
- Milne (J.G.): Relics of Greco Egyptian School., JHS, 28 (1908).
- Moss(H.S): The Birth of the Middle Ages (Oxford 1947).
- Nic(F): The Hun Scourge of God AD 375-365 (Osprey Publishing 2006).
- Ostrogorsky (G): Hist. of the Byzantine State-trans. J.Hossay (London 1968).

- Orton (P): The Shorter Cambridge Medieval History. (Cambridge 1971).
- Polme (B): Flavius Flavianus- Von Herakleoplis nach Konstantinopole? BASP 45 (2008) 143-169 P. 151.
- Painter (S): A Hist. of the Middle Ages 248-500 (N. Y 1953)
- Pritsak (O): Sarmatians, ODB, p. 1844.
- Piganiol(A): L' empire christien 325-395 (Paris 1947).
- Pirenne (H): A History of Europe (London 1961).
- Sass(Katie): Alaric: King of The Visigoths and Tool of the Roman.(Marquette University 2012).
- Simpson (D.P.): Cassell's Latin Dictionary Latin English. (English poblishereasell., 1969).
- Samuel(A.J): Phtoius of Constantinople art. LQ,vol. 21, No. 4(Oct., 1951) pp. 285-289.
- Stephenson (C): Medieval History (New York 1942).
- Thompson(EA):" Olympiodorus of Thebes", CQ38/1-2 (Jan- April., 1944) pp. 43-52.
- Thompson(F.A): Zosimus and the Letters of Honorius. Art. CQ. Vol. 32, No. 2(1982) pp. 445-462.
- Torok (L): A Contribution to Post Meroitic. Chronology: the Blemyes in-Lower Nubia. Art.

R.D.S.O., vol. 58, Fasc 1/4 (1984) pp. 201-243 (Sapienaa University)
- Treadgold(W): The Diplomatic Career and Historical Work of Olympiodrus of Thebes, IHW, vol. 26, No. 4 (DEC. 2004) PP. 709-733.
- Treadgold(W): The Eaylr Byzantine Historians, art. CR, vol. 59 1(Apr., 2009) pp. 104-106.
- Thompson(E.A): A History of Attila and The Huns, (Oxford 1943.
- Thompson (E.A): The Huns (U.S.A 1996).
- Vasillive (A.A)A History of the Byzantine Empire 324-1453 (U.S. A 1958).
- Vasiliev (A): Goths in the Crimea (Cambridge 1936).
- Whitby, M., "Byzantine Diplomacy: Good Faith, Trust and Co-operation in International Relations in Late Antiquity", in: War and Peace in Ancient and Medieval History, ed.Ph. De Souza& J,France, Cambridge, 2008, pp. 120-140.
- Whitby (M): The Long Walls of Constantinople, B., T. IV (1985) pp. 560-583.
- Woolf (A): The Britons from Romans to Barbarians, RLMKTW, pp. 345-380, (Brill 2003).
- Zuccali(C): Sulla cronologia dei" Materiali Per Una storia" di Olimpiodoro di Tebe., Historia, - Bd- 42, H-2(1993), PP. 252-256

ملحق الكتاب
المصطلحات والمسميات السياسية

ماذا تعني هذه الكلمات ؟

الكلمة	المعنى	الكلمة	معناها
الليبرالية	الحرية المطلقة	الميتافيزيقيا	ما وراء الطبيعة
الإمبريالية	الاستعمارية	الأستاطيقا	علم الجمال
الديمقراطية	حكم الشعب لنفسه	الإيستمولوجيا	علم المعرفة
الأرستقراطية	طبقة النبلاء	الميثيلوجيا	علم الأساطير
البرجوازية	الطبقة بين العمال والنبلاء	أنطولوجيا	علم الوجود
البروليتاريا	الطبقة العاملة	جيولوجيا	علم الأرض
التكنوقراطية	حكم الطبقة العلمية	الميثودولوجيا	علم المنهج

الأيديولوجية	علم الأفكار	الباثولوجيا	علم الأمراض
السيميائية	علم العلامات	الشيلوجيا	علم الإلهيات أو اللاهوت
السايكوبوتية	العدائية أو النزاعية	الأنثروبولوجيا	علم الإنسان
البراغماتية	المنفعة	البانثولوجيا	علم الإنسان القديم
العلمانية	فصل الدين عن الدولة	الأركيولوجيا	علم الثقافات البائدة
البلشفية	الأغلبية	المنطق	علم بقوانين التفكير
الغائبة	علم الغايات	الديالكتيكية	فن الجدل والحوار

حواشي الكتاب

أولاً : استعراض عام لتاريخ الفكر السياسي :

نقلاً عن د. رائد بخغيرات و د. صادق عبد الحميد المالكي .

ثانيـــــــاً : الفرق بين الفلسفة السياسية والعلوم السياسية :

نقلاً عن د. مصطفى النشار : تطور الفكر السياسي من صولون حتى ابن خلدون (القاهرة ٢٠١٣ م) .

ثالثـــــــاً : تطور الفكر السياسي :

نقلاً عن د. وفاء لطفي : محاضرات في تطور الفكر السياســـي (٢٠١٧ ـ ٢٠١٨ م) .

رابعـــــــاً : أفلاطون السياسي :

نقلاً عن معن زيادة : أفلاطون السياسي ـ مثال منشور في مجلة الآداب ، عدد ٢ ، ١ فبراير ١٩٦٣ م .

وعن أفلاطون أنظر :

منى عبد الرحمن ، محاضرات في بالفلسفة اليونانية .

جيرار دروزي وأندريه روسيل ، قاموس ناثان الفلسفي .

ماجدة عبد الرحمن ، مدخل إلى الفلسفة العامة .

خامســـــاً : ملامح من الفكر السياسي عن روسو :

نقلاً عن عارف عادل مرشد : ملامح من الفكر السياسي عند روسو ، مثال منشور في مجلة أفكار ، العدد ٢٩٧ ، ١ أكتوبر ٢٠١٣ م .

هربرت فيشر ، تاريخ أوروبا في العصر الحديث (القاهرة

١٩٥٦ م) .

روسو مبادئ الحقوق الأساسية (تونس ١٩٤٣ م) .

سادســـــــاً : ميكيافلي (١٤٦٩ ـ ١٥٢٧ م) :

نقلاً عن د. صلاح علي بقوق : مدخل إلى الفكر السياسي الغربي (الدنمارك ـ الأكاديمية العربية) .

عن ميكيافلي أنظر :

كتـــاب ميكيـــافلي والميكيافلليـــة ، كمـــال مظهـــر أحمـــد ، الموســـــــــــــــــوعة الصـــــــــــــــــغيرة ، (بغداد ١٩٨٤ م) .

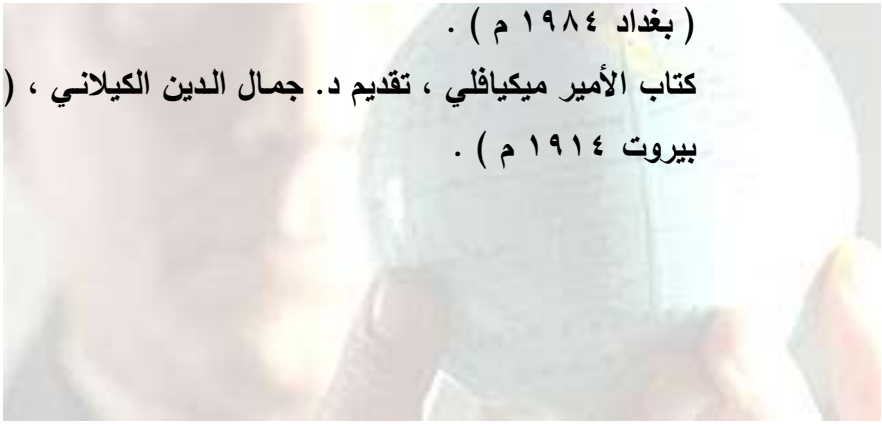

كتاب الأمير ميكيافلي ، تقديم د. جمال الدين الكيلاني ، (بيروت ١٩١٤ م) .

ســـــــابعاً : الأغنية السياسية والنشيد الوطني :

نقـلاً عـن صـالح المهـدي : الأغنيــة السياسـية والنشـيد الـــــــــــوطني فـــــــــــي الموســـــــــــــيقى العربية ، مقال منشور في مجلة الآداب ، رقم العدد ٦ ، ١ يونية ١٩٧٤ م .

ثامنًـــــــا : الإقطاع والفكر السياسي في أوروبا العصور الوسطى :

د. محمـد عبـد الشـافي المغربـي : محاضـرات فـي حضـارة أوروبـــــــــــــــــــــا فـــــــــــــــــــــي العصور الوسطى .

تاســـــــــعًا: الفكر السياسي في التنظيمات الحربية والقضائية في مصر البيزنطية :

د. محمد عبد الشافي المغربي : محاضرات في تاريخ مصر البيزنطية .

عاشـــــــرًا : الفكـر السياسـي عنـد المـؤرخ أوليمبيـادورس(توثيق فـي الموضوع)